الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية

قسم التاريخ وعلم الآثار

الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي

أسسه، مجالاته وانعكاساته

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المغرب الاسلامي

إعداد الطالب الباحث

سبع قادة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور

بن معمر محمد

2015/06/23

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د/ بوباية عبد القادر	جامعة وهران	رئيسا
أ.د/ بن معمر محمد	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
أ.دة/ بلهواري فاطمة	جامعة وهران	عضوا مناقشا
أ.د/ مبخوث بوداية	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
أ.د/ بلعربي خالد	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د/ بن داود نصر الدين	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 1436 – 1437 هـ/ 2014 – 2015 م

الإهـــداء

أهدي عملي هذا إلى

كل محب للحقيقة ناشد لها

ومعول في الوصول إليهاعلى العقل

الصريح والنقل الصحيح اللّذينلا يتناقضان

بل يتطابقان ويكمل أحدهما الآخر، هذا من جهة؛ كما أدعوه

تبارك اسمه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، ومن الصدقات غير المنقطعة

الأجر إلى يوم الدين مصداقا لقول الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم):

"إِذَامَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلّامِنْ ثَلاثَةٍ:...أَوْعِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ..."

[حديث رقم 1631 من صحيح مسلم]: حيث ينتفع به الأصول وإن علوا، مادام سعي

الابن من سعي والديه ووالدي والديه...كما قرر ذلك علماء التفسير

فيمايخص قوله تعالى:

وَ(أَن لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلّا مَا سَعَى(39)

وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى(40) **ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى**(41)**)**

[الآيات:39-40-41 من سورة النجم].

شكــر وعرفــان

أتقدمبجزيل الشكروكبير الامتنان والتقدير

لأستاذي وموجهي أ.د. بن معمر محمد: مكبرا فيه

مزاياه عليّ وكم هي كثيرة، خصوصا منها صبره الطويل بالنسبة

لإنجاز هذه الأطروحة، فضلا عن كل أستاذ وناصح له فضل عليّ طيلة تعلـميبكل

مراحله، والذين اعتبرهم سببا بعد الله سبحانه وتعالىفي إخراج هذه الرسالة -

باكورة تلمذتي على أيديهم- إلى حيز الوجود؛ زد على ذلك كل مرشد لي

بملاحظات وتوجيهات سديدة من قريب أو بعيد: فلهم مني جميعا أطيب التحيات

وجميل العرفان؛ كما أخص بالذكر والإشادة منهم السيد شرقي عمر صاحب

الجهد الأكبر في إظهار هذه الدراسة بشكلها النهائي وكلما تعلق

بجانبها التقني، فضلا عن ذلك تنبيهه إياي لملاحظات لغوية

ومعرفية: بحكم يفاعة عمره وثقافته الواسعة؛ من غيرنسيان كذلك

جهد الآنسة ـ في هذا المجال: فنزاري حفيظة كاتبة مخبر تاريخ الجزائر، الذي

هو تحت إشراف أ.د. بوباية عبد القادر.

مقدمــــة

مقدمـة

ننبهكم- بادئ ذي بدء- سيادة الرئيس وأعضاء اللجنة المناقشة جميعهم، بأننا أدخلنا تعديلا طفيفا جدا على صياغة كل من كلمة "الغرب" وكلمة "أسسه"في عنوان الأطروحة: فغيرناهما إلى "المغرب" بالنسبة للأولى، وإلى "ملابساته" بالنسبة للثانية، ليصير العنوان الكلي المعتبر هو "الصراع المذهبي العقدي بالمغرب الاسلامي: ملابساته، مجالاته وانعكاساته"بدل"الصراع المذهبي العقدي بالغرب الاسلامي: أسسه، مجالاته وانعكاساته"المسجل على غلاف الأطروحة.

فلقد تعمدنا الكلام عن تعديله هنا بالمقدمة دون تعديله بالغلاف مباشرة، كل هذا تفاديا للاجراءات الإدارية الشاقة نوعا ما، وربحا للوقت ليس إلا: ما دام ذلك لا يتطلب عرض الأطروحة من جديد على المجلس العلمي ويخضعها لإجراءات أخرى...كما أخبرت، مما يستلزم مدة من الوقت ليست في صالحنا، هذا من جهة.

فضلا عن كون المعطيات المعالجة في مثل هذا الموضوع والنتائج العلمية التي توصلنا إليها تأبى إلا التقيد بهذا البناء اللفظي والصيغة اللغوية الحرفية لعنوان الدراسة المعدل لا المسجل على الغلاف.

بدخول نطاق المغرب فترة تاريخية كانت بمثابة عهد جديد اصطلح عليه الدارسون المختصون بالعهد الوسيط المغربي، أو بداية المرحلة الإسلامية له إثر استكمال عمليات الفتح الإسلامي مع نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، فإنه سيعرف في وقت مبكر بداية وصول مذاهب عقدية إلى أرضه تمثلت في: السنية والإعتزالية والإباضية والصفرية والشيعية الإسماعيلية.

وهذا بعد انتقال هذه المذاهب كلها من المشرق الإسلامي مكانها الأصلي بواسطة دعاة ورسل بشروا بها ودعوا بربر النطاق إلى تبنيها، لينجحوا كلهم وبلا استثناء في دعاياتهم تلك، ويكتسب كل مذهب لصالحه شيعة وأنصارا كثمرة لمرحلة الدعوة بداية، ثم ليمكن لنفسه: فينجح في إقامة كيان سياسي ضمن ما يعرف بمرحلة الدولة لاحقا.

إذ تم ذلك في إطارعلاقات جمعت بين كل مذهب وآخر طبعت بالصراع كلية: الذي تراوح بين السلمي تارة والتصادمي العسكري تارة أخرى، حيث وظف فيه البيان (من دين

وفكر...) من جهة، والسنان أو السيف (من اصطدامات ومعارك) من جهة أخرى؛ كل هذا لا لشيء إلا للاستفراد الفكري الأحادي بالنطاق، والمسحالجغرافي له بالمذهب العقدي الواحد.

وما ترتب عن هذا الصراع العقدي بين المذاهب المذكورة من نتائج وانعكاسات: إن على المستوى الفكري، أم على المستوى العقدي، أو على المستوى السياسي...

تلك إذن هي الصورة الملخصة جدا أو الهيكلية الكبرى للبحث عبر معالمه وخطوطه المحورية.

أما عن الإطار الزمني للبحث: فإنه يغطي قرنين من الزمن كلها تنافس وصراع من أجل الغلبة والهيمنة المذهبية العقدية الأحادية على النطاق، وتحديدا مع بداية القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، والذي يلي القرن الأول الهجري/السابع الميلادي وبالضبط نهايته: كمعلم تاريخي كبير وبارز وأمارة على استكمال عمليات الفتح الإسلامي، ودخول النطاق إلى حظيرة العالم الإسلامي إلى الأبد.

أما بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي بالذات، فلأنها تعد تاريخ نجاح دعوات هذه المذاهب العقدية من حيث: كسبها عددا معتبرا من بربر هذا النطاق كأنصار وأتباع،ومعلنة بداية شروعها في تحقيق أهدافها وتجسيد مشاريعها.

وانتهاء حتى بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي: تاريخ مظهر آخر صراع مذهبي عقدي شيعي إسماعيلي- سني، وتراجع الأول أمام الإكتساح والتمدد الكلي للثاني بالنطاق حتى السيادة النهائية.

أما فيما يتعلق بالإطار الجغرافي للبحث: فالمقصود به ذلك النطاق الشاسع المساحة والمترامي الأطراف، الذي درج الباحثون المتخصصون في التاريخ الإسلامي على تسميته بالمغرب الإسلامي: لأنه كان يومها يمثل الشطر الغربي للعالم الإسلامي المقابل لمشرقه.

حيث قسمت المصادر الجغرافية والتاريخية وغيرها...هذا النطاق إلى ثلاثة مكونات جغرافية بإمكاننا حصرها في: منطقة إفريقية أولا، ومنطقة المغرب الأوسط ثانيا، ومنطقة المغرب الأقصى ثالثا وأخيرا.

بهذا النطاق الكبير بالذات وعلى أراضيه تحديدا وحصرا جرى صراع هذه المذاهب

العقدية فيما بينها طيلة هذه الفترة الزمنية المذكورة، ولم يتعدها إلى المكون الجغرافي الرابع القريب جدا منها ألا وهو منطقة بلد الأندلس.

حتى وإن كانت بعض المصادر تعد الأندلس من مكونات هذا الإطار أو النطاق، إلا أنها غير مشمولة ومعنية بدراستنا هذه، لكون الصراع لم يمسها لا من قريب ولا من بعيد وهكذا صارت بعيدة عنه بحكم ظروف وملابسات انفردت بها، والتي هي ليست من صميم دراستنا هذه.

فلقد اعتبر الدين والعقائد الإيمانية خلال العصر الوسيط عموما والإسلامي منه خصوصا- ولا يزال (وتحديدا الدين الإسلامي)- من العوامل الأكثر بروزا والأكبر وزنا والأشد تأثيرا في بناء شخصية الفرد: فكريا وعاطفيا وسلوكيا، فضلا عن ضبط وتسييرعلاقات أفراد المجتمع الواحد فيما بينهم بكل مجالاتها ومناحيها: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها..زد على ذلك علاقات ومواقف أي مجتمع بغيره من المجتمعات الأخرى.

لكن ما حدث في الدين الاسلامي، وحدث كذلك في كل دين عرفته البشرية هو تفاوت واختلاف العلماء والأتباع في فهم وقراءة نصوصه وأدلته، تبعا لاختلاف وتفاوت الظروف من خلفيات ومشارب...هؤلاء.

فكانت النتيجة الكبرى لذلك بأن ظهرت المذاهب والفرق التي طبعت بطابع الصراع والتصادم فيما بين أتباعها بهدف السيطرة الأحادية لمذهب أو فرقة عقدية ما، وإزالة الفرق الأخرى المخالفة: للإعتقاد بأن الحق معها وحدها، وكونها ,,الفرقة الناجية,,وغيرها من ,,الفرق الهلكى,,؛ وفعلا هذا ما حدث ووقع في المغرب الاسلامي، والذي سيكون مجال بحثنا هذا.

كما أخذنا على عاتقنا في هذه الدراسة أن لا نخلط بين الجانب العقدي الأصولي والجانب الفقهي الفروعي فيما يخص هذه المذاهب، بحيث لم نهتم فيها ونقتصر إلا على الجانب الأول منهما فقط.

ولما حضي ويحضى به دوما من التأثيرالبالغ الأهمية في كل حيثيات البحث وتفاصيله، وكونه الفيصل والمحك الأول بلا منازع في صنع أحداثه، بل لا نبالغ إذا قلنا

بأنه اعتبر عهدئذ صاحب الضلع الأكبر في تحريك عجلة تاريخ النطاق.

لأن على أساسه تكونت عقيدة الولاء والبراء أو الموالاة والمعاداة،والتي على ضوئها يحكم على الغير بالكفر أو الإيمان، كما نشبت من أجله الحروب وسلت السيوف إلى أن بذلت من أجله التضحيات الجسام بالنفس والنفيس، وهذا ما لم يتوفر في الجانب الثاني.

بالتالي فهو أحسن وأفضل ما وظف - ويوظف دوما- من قبل كبار أصحاب تلك المذاهب في بلوغ المآرب ودرك المقاصد وتحقيق الأهداف المتنوعة المجالات والميادين: من سياسية وعسكرية واقتصادية وغيرها...

فضلا عن غياب الدراسة الجامعة بين الجانبين الديني والتاريخي، ما دام أن مثل هذه البحوث لاشك تتطلب إلماما بعلوم الدين الإسلامي من: عقائد ومذاهب ولغة...من جهة، زد على ذلك علم التاريخ وما تعلق به من معارف ومناهج وتقنيات...من جهة أخرى.

إذ أن هذا التكامل بينها قلما نجده بارزا عند من تعرض وخاض في مثل هذا الموضوع أو قريبا منه، بل وجدنا أكثر هؤلاء قد غلّب جانبا على حساب جانب آخر، وأخل بهذا التكامل مما يؤثر لا محالة على دراسة هذا منطلقها، فينتقص من قيمتها ويقلل من مصداقيتها: إن على مستوى المعلومات والمعارف، أم على مستوى الطرق والمناهج.

لهذا حاولنا قراءة الموضوع قراءة مكتملة لكل ما أمكننا التوصل إليه من النصوص المصدرية المتنوعة المواضيع والمتعلقة بالبحث، بحيث لا نشك أنها نصوص غابت نسبة ليست بالقليلة منها عن دارسين قبلنا ممن خاضوا في مثل هذا الموضوع، سواء من قريب أو بعيد.

وهذا أمر طبيعي بحكم التقدم في الزمن، واكتشاف مصادر جديدة ما عرفت طريق النور عبر النشر والطبع إلا مؤخرا، بالتالي فإنه لم يتأت لهؤلاء الدارسين الاطلاع عليها حين أنجزوا ما أنجزوه، وخرجوا بالأحكام والنتائج التي توصلوا إليها.

زيادة على ذلك خلو مكتباتنا من البحوث الوافية الشاملة التي تجمع بين المذاهب العقدية المذكورة في إطار علاقات فيما بينها وتداعيات ذلك...لهذا إذا أردنا التعرف على موضوع من هذا النمط الدراسي، فإننا لا نجد ونعثر إلا على الدراسات الأحادية عن هذه

المذاهب العقدية: فهذا تأليف عن الخوارج، وذاك مؤلف عن الفاطميين، وآخر عن المذاهب السنية وهكذا...

ولعل هناك إشكالية كبرى قد حذت بنا هي الأخرى لاختيار مثل هذا الموضوع والخوض فيه هو بالذات، والمتمثلة بشكل ملخص في:

محاولة دراسة ظاهرة الصراع والتصادم بين المذاهب العقدية الإسلامية من: إعتزالية أو واصلية وإباضية وصفرية وشيعية إسماعيلية وأخيرا سنية بنطاق المغرب الإسلامي.

حيث استمر هذا الصراع أزيد من قرنين من الزمان: بدءا من أول منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، حتى المنتصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي - مثل ما ذكرنا- المعتبر مؤشرا وأمارة لنهاية هذا الصراع والتصادم، ثم زواله لصالح المذهب العقدي السني في آخر المطاف.

تلك إذن هي الإشكالية الكبرى والأساس لبحثنا؛ من هنا فهي بالضرورة تستدعي منا طرح تساؤلات عديدة قد نحصرها فيما يلي:

1- لماذا التعرض لهذه المذاهب العقدية الخمسة المذكورة بالذات؟

2- ما هي ملابسات ظهورها بالمشرق الاسلامي: مكانها الأصلي التي انطلقت منه؟ وكيف انتقلت إلى المغرب الاسلامي؟ وكذلك كيف حقق أغلبها التمكين في إطار كيان سياســي؟

3- ما هي أصولها وعقائدها الكبرى؟ ثم ما مدى أصالتها وتعلقها بنصوص الدين الاسلامي من جهة؟ ثم ما مدى ارتباطها وتأثرها بالتراث الفكري البشري السابق على الإسلام المختلف المشارب والمنابع: كالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية، فضلا عن الديانتين اليهودية والمسيحية السابقتين على الإسلام؟

4- لماذا هذا الصراع التصادمي المرير الشاق والاقصائي لمثل هذه المذاهب العقدية باعتبار أن الأمر غريب وغير مستساغ، ما دامت كلها تدعي وتزعم بأنها تنطلق من نصوص الإسلام فيما تعتقد وتذهب؛ والتي ما وجدت إلا لتحقيق مقصدها الأكبر المتمثل

في: الوحدة والألفة والتكامل على أرض الواقع، لا الفرقة والاختلاف والتصادم بالنسبة للمؤمنين بها؟

5- ثم ما هي مجالات هذا الصراع فيما بينها، فضلا عن الطرق والوسائل المستخدمة ضمن كل مجال؟ وهل القناعات الدينية هي التي كانت تحرك هذا الصراع، أم هو مجرد التستر به بغية تجسيد مصالح سياسية وعسكرية وغيرها...؟

6- وأخيرا الكلام والحديث عن ماهية وحقيقة نتائج وانعكاسات هذا الصراع الذي عبرنا عنه بالإقصائي: من خلال الوقوف على محاسنها ومساوئها؟ ثم محاولة الوقوف كذلك على علل سيادة المذهب العقدي السني في نهاية الأمر على هذا النطاق الجغرافي الواسع وعلى حساب المذاهب العقدية الأخرى السالفة الإيراد؟

وإتماما منا لإنجازهذه الأطروحة، كان لابد علينا من الإستعانة بمناهج متنوعة اقتضتها طبيعة البحث هذا وفرضتها علينا مباحثه، بحيث لم تتعد الآتي منها في الغالب:

1- المنهج التأريخي: المتعلق بإيراد أخبار وتواريخ حيثيات كل مذهب عقدي بداية على حدة، ثم معرفة كيفية ظهوره وآليات انتشاره، مع ذكر أهم شخصياته من خلال توضيح كل واحد منها، ومدى نجاحه أو إخفاقه، رفقة التركيز على صراعات المذاهب فيما بينها عبر المجالات والطرق الموظفة من قبلها.

2- المنهج الحفري: وهذا عبر تتبع كل ما من شأنه أن يخدم موضوع البحث سواء من طريق مباشر أو غير مباشر، وبعد بذل مجهود في شتى أنواع المصادر والوثائق بغض النظرعن طبيعتها: التاريخية أو الدينية أو الشعرية أو النثرية أو الفلسفية أوغيرها من ضروب العلوم الأخرى...كل هذا إذن بغية الوصول إلى المظان الأصلية الأولى ما أمكننا ذلك.

3- المنهج الاستردادي: برد الأفكار والمعتقدات وسائر التعاليم الدينية إلى جذورها الفلسفية وأصولها الدينية: أي ما اقتبس عن هذه المذاهب القديمة من التراثي الفارسي واليوناني، فضلا عن نصوص دين الاسلام، فنحلتي اليهودية والمسيحية، وغير ذلك من مناحي تراث الشرق الأدنى القديم؛ زد على ذلك الوقوف على الأساليب والطرق المتبعة في

تحوير نحو هذه العقائد والأفكار من أجل توظيفها بالشكل الذي يتلاءم تماما مع الأهداف المسطرة سلفا.

4- المنهج البنيوي: بالاقتصارعلى تحديد سمات كل مذهب عقدي على حدة: ببيان مبادئ دعوته ورواده مع توضيح معتقداته الكبرى، وهذا بهدف الوقوف على مدى ترابط وتناسق هذه الكليات العقدية أو تنافرها وتضادها.

5- المنهج المقارن: بانتهاجنا له إن على مستوى المصادر والروايات التي لا تعدو كونها: من قسم المعادة والمكررة المفضية إلى الإطمئنان بصدق المعلومة في أحيان كثيرة...أو من قسم المختلفة بالتنوع والزيادات التي تزيد في توضيح الغامض من المعلومات وفك مبهمها، فضلا عن ملء فراغاتها...أو القسم الأخير ألا وهو قسم المختلفة بالتضاد والتعارض بحيث لا يصلح معها إلا ترجيح إحداها على الأخرى، طبقا للضوابط العلمية والمقاييس الموضوعية.

وإن على مستوى الدراسات والأبحاث: المختلفة المشارب والخلفيات والثقافات، وهذا بتبني بعض منها عن بعضها الآخر بعد الوقوف على نتائجها ومخرجاتها.

6-المنهج التحليلي: متخللين ومرفقين هذه الأنواع من المناهج المتكاملة بالطريقة أو المنهج التحليلي الذي يقضي بتفسير المعطيات والعناصر المكتسبة تفسيرا علميا: قائما على التحليل تعليلا وبرهنة واستنتاجا- لا سردا وعرضا صرفا- كل ذلك بعيدا عن العاطفة والذاتية والانحياز...حتى تكون هذه الدراسة في مستوى البحوث المستوفاة للشروط الأكاديمية التي نطمح إليها.

أخيرا وحتى نتقيد بحدود البحث والأطروحة ولا نحيد عن مضمونها جملة وتفصيلا: فنوفيه حقه من العناصر الرئيسة والفرعية، وكذا مستحقه من الأفكار المطلوبة،فإننا ارتأينا بأن نرسم مخططا أوهيكلية تفصيلية تكون دليلا لنا حتى لا نخرج عن سكة الدراسة ودوربها والتي احتوت على ما يلي:

مدخل حول: „الإطار الجغرافي للمغرب الاسلامي بكل مكوناته والوضع الديني له قبيل وفود المذاهب العقدية عليه"؛ والذي احتوى بدوره على مبحثين: „مبحث الإطار

الجغرافي للمغرب الاسلامي بكل مكوناته„، حيث تضمن: مطلب الإطار الجغرافي له إجمالا، ومطلب المكونات الجغرافية له تفصيلا.

و„مبحث الوضع الديني العقدي للمغرب الإسلامي قبيل وفود المذاهب العقدية عليه„ المحتوى هو الآخر على: مطلب مذهب الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) وتواجده بالمغرب الاسلامي، ومطلب مذهب الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في مجال الاصول والعقائد؛ وهذا كله كتمهيد وتوطئة ضرورية لتسعة فصول لاحقة بالتتابع، راعينا في ترتيبها الجانب التأريخي أو الكرونولوجي بدءا من:

الفصل الأول الحامل لعنوان „تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الاسلامي„؛ والذي ينقسم بدوره إلى مبحثين: „مبحث أصل التسمية بالمذهب الواصلي أو المعتزلي„، ليحمل هذا المبحث: مطلب أصل التسمية بالمذهب الواصلي، ومطلب أصل التسمية بالمذهب المعتزلي؛ و„مبحث تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الاسلامي„ ليحمل هو الآخر: مطلب كيفية دخول المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي إلى المغرب الإسلامي، ومطلب الأماكن الأولى لتواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الاسلامي.

الفصل الثاني باسم „الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الادريسي وانعكاساته بالمغرب الأقصى„؛ والمحتوي على ثلاثة مباحث: „مبحث الأصول العقدية الكبرى للمذهب الواصلي أو المعتزلي„، وتحته: مطلب الأصلين العقديين الكبيرين المتعلقين بذات الخالق في المذهب الواصلي أو المعتزلي، ومطلب الأصول العقدية الكبرى الثلاثة المتعلقة بذات المخلوق في المذهب الواصلي أو المعتزلي.

ثم „مبحث ماهية المذهب العقدي للأدارسة بالمغرب الأقصى„، بمطلبين: مطلب اختلاف الآراء حول مذهبية الأدارسة العقدية بالمغرب الأقصى، ومطلب ترجيح سنية مذهبية الأدارسة العقدية بالمغرب الاقصى؛ ومبحث „المجال السياسي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الإدريسي بالمغرب الأقصى„، بمطلبين: مطلب المجال السياسي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الإدريسي بالمغرب الأقصى

ومطلب انعكاسات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الادريسي بالمغرب الأقصى.

الفصل الثالث تحت عنوان „الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط‟؛ والذي بدوره يوزع على مبحثين: „مبحث المجال الفكري أو المناظراتي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الاباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط‟، المتضمن لثلاثة مطالب: مطلب المناظرة الاولى، ومطلب المناظرة الثانية، ومطلب انعكاسات هذا المجال أو الضرب من الصراع على الطرفين بالمغرب الأوسط.

و„مبحث المجال الاقتتالي أو المواجهة العسكرية للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط‟، والمحتوي بدوره على مطلبين اثنين: مطلب مجال الاقتتال أو المواجهة العسكرية للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- الإباضي بالمغرب الأوسط، ومطلب انعكاسات هذا المجال أو الضرب من الصراع على الطرفين بالمغرب الأوسط.

الفصل الرابع بلفظ „ملابسات وظروف تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بإفريقية‟؛ المتضمن لأربعة مباحث: „مبحث ملابسة أو ظرف العامل التجاري‟، و„مبحث ملابسة أو ظرف العامل الجغرافي‟، و„مبحث ملابسة أو ظرف العامل الحضاري‟ و„مبحث ملابسة أو ظرف العامل السياسي‟.

الفصل الخامس باسم „مجالات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- السني وانعكاساته بإفريقية‟؛ المقسم إلى: „مبحث مجالات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- السني بإفريقية‟، المتضمن لثلاثة مطالب: مطلب مجال تأليف الكتب وإصدار الرسائل، ومطلب مجال المناظرات، ومطلب مجال استخدام الغلظة والتشدد مع استعمال القوة والعنف.

„فمبحث انعكاسات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي- السني بإفريقية‟ المتضمن هو الآخر لمطالب أربعة: مطلب تفوق وسيادة المذهب العقدي السني بإفريقية ومطلب التحاق علماء أحناف بالمذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي على أرض

إفريقيةومطلب التزام علماء المذهب العقدي السني وخصوصا المالكيين بمنهج جديد في التعامل مع النصوص الدينية، ومطلب الإيذان بربح المذهب العقدي السني عموما والمالكي خصوصا للساحة الجغرافية المغربية.

الفصل السادس تحت عنوان „انتقال المذهبين العقديين الاباضي والصفري من المشرق إلى المغرب الاسلاميين"؛ الموزع على مبحثين: „مبحث ظهور المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمشرق الاسلامي"، المتضمن لمطلبين: مطلب النواة أو الجماعة الأولى للمذهبين العقديين الإباضي والصفري قبل الافتراق بالمشرق الاسلامي، ومطلب افتراق تلك النواة أو الجماعة على نفسها إلى فرق بالمشرق الاسلامي.

ثم „مبحث تواجد المذهبين العقديين الاباضي والصفري بالمغرب الإسلامي" وضمنه مطالب ثلاثة: انتقال المذهبين العقديين الاباضي والصفري من المشرق إلى المغرب الاسلاميين، ومطلب تواجد المذهب العقدي الاباضي بالمغرب الاسلامي، ومطلب تواجد المذهب العقدي الصفري بالمغرب الإسلامي.

الفصل السابع باسم „العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي"؛ المحتوي بدوره على: „مبحث العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي والمتعلقة بالعرب"، والحامل لخمسة مطالب: مطلب جور الولاة في معاملتهم للبربر، ومطلب الغنيمة هي الهم الأكبر للولاة ومطلب التجاوزات الممارسة من بعض الخلفاء، ومطلب تجاوزات من هم دون الولاة من العرب في حق البربر، ومطلب الصراع القبلي العربي- العربي.

و„مبحث العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي والمتعلقة بالبربر"، وتحته مطلبان: مطلب النزعة الاستقلالية لدى البربر، ومطلب حسن الدعاية الصفرية والاباضية.

الفصل الثامن الذي يحمل عنوان „العقائد الكبرى للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي"؛ وضمنه: „مبحث العقائد الكبرى المتعلقة بالذات الإلهية للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي"، وتحته أربعة مطالب: مطلب موقع „النقل" من المعرفة، ومطلب مسألة الذات والأسماء والصفات الالهية، ومطلب القرآن كلام الله(تعالى)

المخلوق، ومطلب رؤية الله (عز وجل) المنتفاة.

و„مبحث العقائد الكبرى المتعلقة بالأسماء والأحكام الشرعية والصحابة (رضي الله عنهم) في المذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي"، والمتضمن لمطالب أربعة: مطلب الايمان ومتعلقاته، ومطلب الكفر ومتعلقاته، ومطلب الصحابة (رضي الله عنهم) ومطلب الإمامة أو الحكم.

الفصل التاسع المعنون بـ „الصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي- السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي"؛ والذي ينضوي تحته: „مبحث تواجد المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي بالمغرب الاسلامي"، بثلاثة مطالب: مطلب التسمية بالمذهب الاسماعيلي، ومطلب جذور نشأة المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي ومساره التاريخي بالمشرق الاسلامي، ومطلب انتقال المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي إلى المغرب الاسلامي.

„فمبحث عقيدة الإمامة أو الولاية والحكم في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي" والمحتوي هو الآخر على مطالب ثلاثة: مطلب الإمامة وموقعها في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي، ومطلب الإمامة والنص في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي، ومطلب الامامة والعصمة في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي.

ثم „مبحث الصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي- السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي"، وتحته ثلاثة مطالب: مطلب المجال الديني للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي-السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي، ومطلب المجال المناظراتي للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي- السني وانعكاساته بالمغرب الإسلامي ومطلب المجال العسكري للصراع المذهبي العقدي الشيعي الإسماعيلي-السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي.

ثم خلاصة في نهاية المطاف مكملة للبحث كما هي عادة كل دراسة: إعتبرناها نتائج أوصلنا هذا البحث إلى تحصيلها على شكل نقاط مختصرة تماما؛ كما أنها في نفس الوقت عدت كإجابات ملخصة جدا على تساؤلات وإشكالات طرحت سابقا ببداية المقدمة.

من هنا وسعيا منا للوقوف على مظان لمعطيات ومـادة نصية من أحداث وغيرها...

متنوعة قديمة سابقة من: تاريخية ودينية وسياسية وغيرها...حوتها المصادر أو الأصول مادام أنه „لا تاريخ بدون أصول‟: كما هي القاعدة الكبرى الذهبية في علم التاريخ؛ بحكم كون هذا الأخير مرتبط بالأصول والمصادر وجودا وعدما: بحيث أنه إذا وجدت وجد هذا العلم، والعكس صحيح.

وأخرى معاصرة لاحقة من: دراسات واستنتاجات وآراء...توصل إليها متخصصون في هذا المجال، واتفق على تسمية مظانها بمصطلح المراجع؛ وإن كانت كلها (أي معطيات ومادة المصادر والمراجع) ذات تعلق وارتباط وثيق جدا بالأطروحة، وضمن إطار محتوى فكري محدد ومقيد بمناهج وفصول سبق إيرادها.

بالتالي فإن أهم المظان التي عدنا إليها في الأعم الغالب فيما يخص إنجاز نحو هذه الدراسة، قد قسمناها إلى:

المصادر أو الأصول

لقد حاولنا ما أمكننا ذلك حين الحديث عن أي مذهب عقدي الرجوع إلى مصادره بالذات، والمعروفة عن مؤلفيها انتماءاتهم إليه لا محالة، بغية الوقوف على ما قالوه هم أنفسهم عن مذهبهم إن وجد: حتى لا يقال عمن كتب حول مذهب عقدي ما، واعتمد علىمصادرمخالفيه بأنه قوّل هذا المذهب ما لم يقله.

فالحديث عن المذهب العقدي الاعتزالي أو الواصلي مثلا، إستلزم منا العودة إلى مصادر أعلامه ومنظريه الكبار المتخصصين مثل: عبد الجبار في مؤلفيه „شرح الأصول الخمسة‟ و„طبقات المعتزلة...‟، والبلخي في كتابه „باب ذكر المعتزلة...‟، والجاحظ في „العثمانية‟ وغيرهم...وإن لوحظ الشح الكبير جدا للمعطيات والأحداث عن المذهب المذكور خاصة فيما يتعلق بجانب تاريخ الدعوة لأصحابه ورؤوسه، وتواجدها بالمغرب الإسلامي.

نفس الأمر سلكناه مع المذهب العقدي الإباضي: فلقد اعتمدنا على ابن سلام الإباضي في „كتاب فيه بدء الإسلام...‟، والدرجيني في „كتاب طبقات المشائخ بالمغرب‟، والشماخي في „كتاب السير‟.

حتى وإن اعتبر بأن أغلب هذه المصادر متأخرة زمنيا، إلا أنها احتوت على معلومات ليست بالقليلة عن المذهب، لا نشك بأنها مرويـة ومنقولة عن مصادر قديمة

سبقتها هي اليوم في حكم المفقود من التراث المكتوب.

كما أن ذات الخطوة اقتفيناها فيما يتعلق بالمذهب العقدي السني، وإن لوحظ على مصادره ومصادر المذهبين العقديين السالفي الذكر كذلك ظاهرة الانحياز والذاتية: فالانتقاص المبالغ فيه والتحامل على المخالفين هو القاسم المشترك للمذاهب العقدية المدروسة، ولو بقدر متفاوت من مصدر لآخر.

لأن هذه المصادر ما وجدت إلا من أجل مناصرة المذاهب التي تنتمي إليها والدعاية لها من أجل تحسين صورتها، وفي نفس الوقت تشويه صورة الخصوم المخالفين لها.

ومما سنقفعليه كذلك فيما يتعلق بهذه النقطة: هو الحديث عن مصادر الموضوع فيما يخص المذهب العقدي السني، لأنها موجودة بنسبة أكبر بكثير مقارنة بمصادر المذاهب العقدية الأخرى، وإن تنوعت مضامينها وموضوعاتها من: تاريخية مغربية خصوصا „كتاب العبر..." لابن خلدون، و„البيان المغرب..." لابن عذاري وغيرهما..ثم مشرقية التي منها: „الكامل في التاريخ" لابن الأثير.

فضلا عن أخرى تراجمية مغربية معروفة ببيوغرافيتها المنقبية الخالصة، والمجردة عن مثالب وسلبيات أصحابها المترجم لهم، كما هو الشأن في: „رياض النفوس..." للمالكي و„ترتيب المدارك..." لعياض، و„معالم الإيمان..."للدباغ...و„طبقات علماء إفريقية" لأبي العرب و„كتاب طبقات علماء إفريقية" للخشني وغيرها...وجغرافية: إذ نخص بالذكر منها „مسالك الممالك" للبكري وغيرها...كل هذا إذن هو بحكم سيادة المذهب بالنطاق، وغلبته على المذاهب الأخرى في نهاية الأمر وإلى الأبد.

نفس هذا المعنى من الحديث كلية قد يقال، إذا تعلق الأمر بالمصادرالشيعية الاسماعيلية: حيث أننا اعتمدنا كثيرا على القاضي النعمان أحد أعلام المذهب القدامى المشهور بموسوعيته عندهم يومها، والمقدم لديهم -بلا منازع- في التأريخ له سياسيا وعقديا وفقهيا.

ومما يزيد في أهمية مردوده التأليفي: كونه أحد المعاصرين لجل مدة فترة الدولة العبيدية بالمغرب الاسلامي، والمقرب جدا، بل المعدود من بطانة أئمتها الخاصين، لأنه ممن خدمهم خـدمـة متفانية لا مثيل لها، بدءا من المهدي بالله-فالقـائم بأمـر

الله-فالمنصور بالله-فالمعز لدين الله.

لأجل ذلك كله اعتمدنا عليه كثيرا، خصوصا في مؤلفه:„كتاب افتتاح الدعوة„ كتأريخ للدعوة الاسماعيلية بالمغرب الاسلامي حتى التمكين، ثم ما بعد التمكين حتى المعز لدين الله وتحديدا قبيل وفاة النعمان المؤرخة بسنة 363هـ/973م، ثم „كتاب المجالس والمسايرات„ الذييغطى نفس الإطار الزمني السابق الذكر، وإن كان قد طغى عليه الجانب العقدي لمذهب الدولة لا الجانب السياسي الذي تميز به المصدرالذي سبقه.

فضلا عن„آداب اتباع الأئمة„ المتخصص في المجال العقدي، و„دعائم الاسلام...„ المغطي هو الآخر للجانب العقدي، مضافا إليه الجانب الفقهي- المنفرد به- من منظور المذهب؛ زيادة على ذلك تعويلنا وإن بدرجة أقل جدا على أعلام شيعية كإدريس القرشي في „عيون الأخبار...„ بأسباعه الأربعة: الرابع والخامس والسادس والسابع؛ والمقريزي في مؤلفيه „كتاب المقفى الكبير...„، و„اتعاظ الحنفا...„

من هنا اضطررنا أن نتحفظ في الأخذ من نصوص هذه المصادر المختلفة الإنتماءات: فنتعامل معها بحس نقدي صرف، محاولين تقديمعملية الجمع بينها إن أمكننا ذلك، وإلا فالترجيح لإحداها على الأخرى تبعا لمقياس ومواصفات موضوعية.

كل هذا من خلال إجراء المقارنات والاستقراءات...خصوصا بالنسبة للقضايا والأحداث- وكم هي كثيرة - التي تستدعي ذلك بالضرورة، إذا أريد فعلا إنجاز دراسة أكاديمية ترتكز على المنهج العلمي والمعالجة الموضوعية، المفضيان لا محالة إلى النتائج والأحكام الصحيحة أوالأقرب إليها، هذا على مستوى المصادر.

المراجع

أما على مستوى المراجع، وبالتحديد تلك الدراسات المتخصصة: حيث استفدنا منها في الوقوف على وجهات نظر أصحابها وآرائهم المحترمة، والتي قد نؤيدهم في بعض منها ونخالفهم في أخراها.

لأن مما يؤاخذ على هذه الدراسات كونها قديمة هذا أولا، وثانيا إنجازها في زمن سابق بمدة ليست بالقصيرة، وفي ظل غياب مصادر كانت وقتها في عداد التراث المفقود

في حين هي اليوم في عداد المنشور والمطبوع منه: كما هو الشأن بالنسبة لدراسة الباحث محمود إسماعيل المعنونة بـ „الخوارج‟.

فضلا عن استفادتنا من „مغربياته‟، خاصة بالنسبة للصراع السني المالكي-الشيعيالاسماعيلي؛ لكننا لا نوافقه في تعليله لهذا الصراع وتفسيره له بالعامل الاقتصادي فقط، بل نرى بأن هناك عوامل متنوعة هي صاحبة التأثير مجتمعة في الصراع المذكور، إلا أنه قد يختلف في تحديد من هو العامل الأكثر تأثيرا من بينها فيما يخص هذا الحدث: إذ ليس بالضرورة أن يكون عامل ما له نفس التأثير في حدث آخر وهكذا...هذا من جهة أولى.

زد على ذلك اقتصار بعض هذه الدراسات على المذاهب الفقهية لا العقدية والمرتبطة بجزء من النطاق لا كله: نحو ما أنجزه الدارس عبد العزيز المجدوب في مؤلفه „الصراع المذهبي بإفريقية...‟ من جهة ثانية.

ثم دراسات، خاض أصاحبها بحوثهم تلك انطلاقا من وجهة نظر دينية، حيث غلب عليها الطرح الشرعي، من نماذجها ما نجده عند: محمد بن حسن شرحبيلي في مؤلفه „تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي...‟، وإن اقتصر وركز صاحبه على الجانب الفقهي الفروعي للمذهب.

كم تمنينا أن يستفيد أصحاب هذه الدراسات مما توصل إليه الدارسون المتخصصون في حقل التاريخ ويستغلونها في إثراء أبحاثهم، بحيث لو كان الشأن كذلك لجاءت كتاباتهم أثقل وزنا معرفيا وأعلى مكانة علمية.

وإن كان هذا لم يمنع من استغلالنا لبعض ما توصلا إليهما: من آراء وتعليلات دينية ذات ارتباط بالمذهب المالكي، فضلا عن ملابسات ونتائج الصراع المذهبي بإفريقية خاصة في العصر الأغلبي وغير ذلك...

كما أننا انتفعنا بباحثين متخصصين في العقائد والفرق الاسلامية من الوجهة الفلسفية وهم كل من: علي سامي النشار في „نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام‟، وأحمد محمود صبحي„في علم الكلام‟، والمفكر المغربي محمد عابد الجابري في جل مؤلفات مشروعه الموسوم بـ „نقد العقل العربي‟ وغيرهم...

كما لا يفوتنا أن ننبه إلى تعويلنا كثيـرا على دراسات لباحثين إباضيين، خصوصا في

القضايا والمطالب التي لها تعلق بالمذهب الإباضي: سواء كانت مطالب عقدية أم تاريخية أم سياسية...وعلى رأسهم الإمام القطب أطفيش، ليليه السالمي: ضمن مراجع عدة مخطوطة ومنشورة؛ فالباحثون المعاصرون كل من: علي يحيى معمر، ومصطفى بن ناصر وينتن فخضير بن بكير وغيرهم...مرصودة مؤلفاتهم تلك جميعها ضمن قائمة المراجع العربية.

وأخيرا فيما يخص المذهب الشيعي الاسماعيلي: كتاب „أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية" المكتوب بالإنجليزية لصاحبه: برنارد لويس، ومترجمه إلى العربية: حكمت تلحوق، وأنه كتاب مهم لكونه تضمن نصوصا مصدرية نصيرية نادرة الوجود ساعدتنا في فك ألغازورموز،وملء فراغات بالنسبة للدولة العبيدية:كمبدإ الاستيداع والاستقرار للأئمة، ومبدإ الستر والظهور لهم، وتسلسل أسماء المستورين منهم تصاعديا من الإمام إسماعيل حتى الإمام عبيد الله المهدي.

وإن طبعت نسبة ليست بالقليلة من هذه النصوص بالطابع الأسطوري الخارق للعادة حينا، والمنحى الباطني لأخراها حينا آخر...

مدخل حول

الإطار الجغرافي للمغرب الإسلامي بكل مكوناته والوضع الديني العقدي له قبيل وفود المذاهب العقدية عليه

1- الإطار الجغرافي للمغرب الإسلامي بكل مكوناته

1أ- الإطار الجغرافي للمغرب الإسلامي

1ب- المكونات الجغرافية للمغرب الإسلامي

1ب1- إفريقية

1ب2- المغرب الأوسط

1ب3- المغرب الأقصى

2- الوضع الديني العقدي للمغرب الإسلامي قبيل وفود المذاهب العقدية عليه

2أ- مذهب الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) وتواجده بالمغرب الإسلامي

2ب- طبيعة مذهب الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في مجال الأصول والعقائد

لقد ارتأينا من خلال هذا المدخل أن نسلط الضوء علىعنصرين:

الأول هو الحديث عن الإطار الجغرافي لموضوع البحث الذي كان يعرف في العصر الإسلامي الوسيط بمصطلح المغرب[1].

حيث سنحاول عبره بأن نبسط الكلام عن مكوناته الفرعية بجميع تخومها وحدودها الجغرافية حسب الدلالات المستعملة عند جغرافيي ومؤرخي ذلك العصر، حتى نحصر الدراسة ضمننطاق طبيعي جد محدد (أو ما يطلق عليه بالإطار المكاني)، مادام هذايعتبر من الشروط الأساس لأي بحث علمي أكاديمي بالدرجة الأولى.

أما الثاني فهو رصد وتحديد الوضع الديني بالمغرب الإسلامي: بتقصي حالته المذهبية، وما تميزت به في هذا المجال وبالتحديد الجانب الأصولي العقدي – لا الفروعي الفقهي– منه، والتي وجدت قبيل توافد المذاهب العقدية التي هي المحور الرئيس لموضوع الدراسة من المشرق[2] الإسلامي عليه.

1- الإطار الجغرافي للمغرب الإسلامي بكل مكوناته

1أ- الإطار الجغرافي للمغرب الإسلامي

إن كلمة المغرب المتداولة لأول مرة عند الجغرافيين والمؤرخين المسلمينفي العصر الإسلامي الوسيط[3] هي لفظة أطلقها هؤلاء في مقابل نطاق المشرق: لأنه يقع غربه مباشرة، فضلا عن كونه مهبط دين الإسلام، ومنه انطلق الفاتحون الأوائل للتبشير به والدعوة إليه عبر الآفاق عهدها، والذي كان المغرب من بينها.

[1] سنعرّف به لاحقا.

[2] دلالته في العصر الإسلامي الوسيط هي: كل ما وقع شرق العالم الإسلامي انطلاقا من مصر وقتها. الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط 1399 هـ/ 1979 م، 1/ 54. محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1398 هـ/ 1978 م، 1/ 14.

[3] إبن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، ليدن، ط 1989 ص: 87. المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، علق عليه ووضع حواشيه: محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424 هـ/ 2003 م، ص: 179. إبن حوقل أبو القاسم محمد بن علي، كتاب صورة الأرض المعروف أيضا بكتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، مطبعة بريل، ليدن، ط 2، 1938، ص: 60. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ط 1892، ص: 332، 356. المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ط 1، 1426 هـ/ 2006 م، ص: 249. إبن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي بيروت د. ت، 6/ 99.

Charles-André Julien, histoire de l'Afrique du nord : Tunisie, Algérie,Maroc des origines à la conquête arabe (647 ap. j - c), S.N.E.D, Alger, 1978, p : 22.

من هنا نفهم بأن المغرب هو كذلك نطاق شاسع كبير، محدد ضمن إطارجغرافي بأماكن وتخوم: فمن جهة غربه وجد البحر المحيط[1] أو البحر الأعظم[2]، وهو المسمى اليوم بالمحيط الأطلسي الممتد من الشمال إلى الجنوب؛ ومن ناحية الشرق الموقع المقابل لهذا الغرب المذكور: فإننا نقف فيه على مدينة برقة[3] كحد لذلك[4].

أما من جهة الجوف أو الشمال: فأقصاه من هذه الناحية البحر الرومي أوالشامي[5] (والمسمى حاليا بالبحر الأبيض المتوسط)،كما عرف أيضا ببحر المغرب وهيتسميةأوردها صاحب „كتاب صورة الأرض[6]"؛ وأخيرا من جانب تخومه القبلية أو الجنوبية: فالصحراء الكبرى المترامية الأطراف، والتي سنوثق لها خلال الحديث عن مكوناتهذا النطاق، بحكم كونها القاسم المشترك لها.

لا يتجلى لنا الأمر أكثر وضوحا وبيانا فيما يخص هذا الإطار الجغرافي الكبير إلا بالتعرف على مكوناته وتقسيماته الثلاثة: إفريقية، ثم المغرب الأوسط، وأخيرا المغرب الأقصى.

وإن كانت هذه التقسيمات قديمة، ما تغيرت في الغالب إلا أسماؤها لا مسمياتها حيث أن أول ما ظهرت: فتحت مصطلحات "إفريقية...نوميديا...موريتانيا القيصرية...وموريتانياالطنجية"[7] في العهد الروماني[8] بدءا من سنة 42 م حتى 290 م[9].

---

[1]المصدر السابق، 6/ 99. إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 61.

[2]المراكشي، المصدر نفسه، ص: 254.

[3]إسم لصقع كبير كان يشمل قرى ومدنا بين الإسكندرية (بمصر) وإفريقية، أهم مدنها أنطابلس (بمعنى المدن الخمس) بين برقة والإسكندرية مسيرة شهر: علما بأن اليوم يقدر بمرحلة أو أربعين كيلومتر؛ ومنها إلى القيروان (بإفريقية) مائتان وخمسة عشر فرسخا: علما بأن الفرسخ يساوي ثلاثة أميال أو 5544 متر. الحموي، المصدر نفسه، 1/ 388، 389. محمد رواس قلعة جي وحايد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط 2، 1408 هـ/ 1988 م ص: 343. حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، دار العصر الحديث بيروت، ط 1، 1412 هـ/ 1992 م، 1/ 380.

[4]إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 60. المراكشي، المصدر نفسه، ص: 249. البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424 هـ/ 2003 م، 2/ 193.

[5]إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 101. إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 61. إبن عذاري أبو عبد الله محمد بن عذاري البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2009، 1/ 6.

[6]إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 60.

[7]E.cat, petite histoire de l'Algérie – Tunisie – Maroc, Adolphe Jourdan, librairie, – éditeur Alger, 1/ 68, 69.

[8]نسبة إلى الكيان السياسي الروماني الذي حكم جل أروبا وشمال إفريقيا وقسما من آسيا عمرا أطولا: بدءا من سنة 509 ق.م حتى سنة 476 م تاريخ سقوط روما بيد البرابرة. المنجد في الأعلام واللغة: المنجد في الأعلام، دار المشرق بيروت، ط 11، 1976، ص: 313، 314.

[9]Petit Larousse illustré, librairie Larousse, Paris VI^{e}, 1984, p : 1651 – 1652. E.cat, Op. cit 1/ 68.

كل هذا لما في هذا التقسيم والتجزئة الجغرافية من ابتغاء تحقيق أهداف وتحصيل مصالح، منهاالسياسية: كاستتباب الأمن، وضمان استمرار طاعة وتبعية هذه المناطق والتقسيمات لعاصمة الحكم؛ والاقتصادية: كالتنظيم، ودوام تدفق المنافع من منتجات وضرائب متنوعة وبضائع وغيرها...والعسكرية: كالإمداد بالجند وقت الحاجة وغير ذلك...

إذن فهذه المجالات أو المناطق الجغرافية بتفاصيلها بالنسبة لهذا الإطار أو النطاق الشاسع امتدادا متصلا من الشرق إلى الغرب هي كالتالي ترتيبا:

1ب- المكونات الجغرافية للمغرب الإسلامي

1ب1- إفريقية

تعتبر أقصى مجال أو منطقة جغرافية لنطاق المغرب الإسلامي من ناحية الشرق حيث تحد عرضا بحدود طبيعية صرفة متمثلة في: "البحر [الرومي جوفا] إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان[1] [قبلة]، وهي جبال رمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق"[2].

أما عن موقعها طولا، فقد حدتها أغلب المصادر التي تحدثت عن هذه المسألة من: برقة أو أنطابلس شرقا[3] حتى بجاية[4] غربا[5].

إن هذا التحديد ببرقة هو جد مقبول، لأنه مبني على أساس: إن لم يكن طبيعيا فهو جنسي، باعتبار أن هذه الأخيرة هي بمثابة الحد الفاصل لشعوببربرية كانت تعيش غربها مقابل شعوب أخرى مغايرة أقامت شرقها[6].

بالإتجاه غربا وانطلاقا من إفريقية نفسها، فإنه يصادفنا مجال أو منطقة متاخمة لها مباشرة اصطلح عليها خلال العهد الوسيط الإسلامي باسم المغرب الأوسط.

---

[1] هي بلدان كثيرة وأرض واسعة جدا وقفراء، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط. الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1937، ص: 40. البكري المصدر نفسه، 2/ 193.

[2] المصدر السابق، 2/ 193.

[3] المراكشي، المصدر نفسه، ص: 250، 251. القزويني أبو يحيى زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار بيروت، ط 1404 هـ/ 1984 م، ص: 163.

[4] مدينة كبرى بالمغرب الأوسط، تشرف على البحر الرومي الذي يحيط بها من ثلاث جهات: شرقا وغربا وشمالا وبالجبال العالية من الجنوب، وهي محدثة: بناها الملك الصنهاجي الناصر بن علناس سنة 457 هـ/ 1065 م، لذا تعرف بالناصرية؛ عمرت نتيجة خراب قلعة بني حماد من قبل الأعراب، بين هذه الأخيرة وبجاية مسيرة أربعة أيام. الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنـان، بيروت، ط 2 1984، ص: 80، 81.

[5] الحموي، المصدر نفسه، 1/ 228.

[6] القزويني، المصدر نفسه، ص: 163.

1ب2- المغرب الأوسط

إننا نذهب إلى القول بأن مصطلح المغرب الأوسط فيما يخص المغرب الإسلامي لم يصر متداولا إلا في زمن متأخر من عصره الوسيط، لأن الجغرافي البكري المتوفى سنة 487 هـ/ 1094 م يعتبر من أوائل المستعملين له في كتاباته، حيث نجد من بين إيراداته له: ذكره في سياق وصفه لمدينة تلمسان[1]بقوله أنها: "...قاعدة المغرب الأوسط"[2].

وإن كانت لفظة المغرب المطلقة والمجردة عن أي قيد، والتي كانت دلالتها الجغرافية أوسع من دلالة المصطلح المذكور قد وجدت قبله بمدة، حيث يعتبر اليعقوبي المتوفى سنة 284 هـ/ 897 م أقدم من سجلها لنا من خلال مرات ثلاث[3].

وإن كنا نفهم بطريق الإشارة والإيحاء من نص البكري السابق الإيراد: بأن منطقة المغرب الأوسط هي ذات إطار جغرافي جد محدد،حتى ولو لم يتعرض لتوصيف امتداداتها وذكر تخومها وأطرافها بدقة وتفصيل.

بحيث يستشف ذلك من اعتباره حاضرة تلمسان قاعدة، خصوصا إذا علمنابأنها لمتكن تقل أهمية ومكانة عن مدينتي فاس[4] أو القيروان[5]، والتي تعد كل واحدة منهما بأنها قاعدة هي الأخرى لمنطقة جغرافية مغايرة قائمة بذاتها.

لا نشك بأن البكري كان على دراية بدلالة هذا المصطلح، حتى وإن لم يسجلها ضمن مؤلفه هذا، لأن ذلك قد يكون راجعا لاشتهارها وقتئذ، فلم تدع الحاجة عنده إذن لإيرادها.

---

[1]هي مدينتان في واحدة، متجاورتان ومسورتان بينهما رمية حجر: إحداهما قديمة سميت أقادير، وأخراهما حديثة اختطها المرابطون وسموها تاقررت، تبعد تلمسان عن وهران بمرحلتين. اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 356. الحموي المصدر نفسه، 2/ 44. الحميري، المصدر نفسه، ص: 135.

[2]البكري، المصدر نفسه، ص: 2/ 259.

[3]اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 346، 353، 355.

[4]قطب المغرب الأقصى، أسسها إدريس الأول، بينها وبين تلمسان عشرة أيام. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1983، ص: 94. الحموي، المصدر نفسه، 4/ 230. الحميري، المصدر نفسه، ص: 434، 435. التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق وتقديم: عبد الحميد حاجيات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1984، ص: 65.

[5]قاعدة إفريقية، إختطها عقبة بن نافع سنة 60 هـ/ 679 م، وهي كلمة معربة من ,,كاروان,, الفارسية. اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 347. إبن خرداذبة، المصدر نفسه، ص: 65. قدامة بن جعفر أبو جعفر، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتاب، دار صادر، بيروت، د. ت، ص: 265. المقدسي، المصدر نفسه، ص: 212. إبن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2، 1982، ص: 144. الحميري، المصدر نفسه، ص: 486، 487. الحموي، المصدر نفسه، 4/ 420، 421.

كما يستبعد جدا أن لا تكون متداولة ومتعارفا عليها قبل ظهور البكري بمدة، حتى وإن لم نعثر على مستند لإثباتها، بحكم أن تراث البشرية المكتوب، وبشكل أخص تراث المنطقة بالنسبة لهذا العهد: إذ المفقود منه أكثر من المنشور.

فضلا عن كون البكري لم يجب ويعاين بنفسه البلدان والأماكن ويتنقلخلالها أثناء إنجازه لكتابه، كما هو شأن غيره من أنداده الجغرافيين وما أكثرهم، إنما سجل ما سجله من معلوماته جميعها عن طريق الدراسة لمصادر كتبها سابقوه أولا، ثم تمحيص ما أخبر به وروي له بالسند[1] ثانيا.

إن دلالة هذا المصطلح المفصلة والدقيقة، قد لا نهتدي إليها إلا بعد الجمعبين نقولات شتى عن جغرافيين جاءوا بعد البكري، حيث بإمكاننا حوصلتها في كون المغرب الأوسط يحد عرضا من ناحية الجوف بالبحر الرومي[2].

كما يحد من جهة القبلة بالصحراء الشاسعة المترامية الأطراف[3]: بالتالي فلا فواصل ولا تخوم حدودية معلومة من هذه الناحية، بحكم كون الصحراء تشكل حدا طبيعيا مشتركا لكل من إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى.

أما فيما يخص موقعه طولا ومن جهة الشرق: فإنه يحد بمدينة بجاية[4]، وإن وجد من يذكر بأنها مليانة[65]؛ لكن بعد التحقيق في المسألة فإنه بإمكاننا الخروج بالجمع بين الرأيين باعتبار: بجاية هي حده من قبل الساحل، ومليانة حده هي الأخرى لكن من جهة الداخل وبالتحديد جنوب المدينة الأولى ألا وهي بجاية.

وإن كان هذا لا يتعارض كذلك مع ما أورده المقدسي حين اعتبر مدينة أربة[7] هي

[1]السند في اصطلاح علماء الحديث: هو سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر أو الرواية. محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط 1989، ص: 30.

[2]مؤلف مجهول، كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية الدار البيضاء، ط 1985، ص: 176. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 101.

[3]مؤلف مجهول، المصدر نفسه، ص: 176، 179. الحموي، المصدر نفسه، 1/ 229.

[4]المراكشي، المصدر نفسه، ص: 253، 256.

[5]مدينة كبيرة بالمغرب الأوسط، ومن أعمال بجاية؛ تستند إلى جبل زكار، وهي مدينة رومية قديمة، بينها وبين تنس أربعة أيام. القزويني، المصدر نفسه، ص: 273. الحموي، المصدر نفسه، 5/ 196.

[6]المصدر نفسه، 5/ 196.

[7]إحدى مدن الزاب: والذي هو أحد أعمال إفريقية؛ وتقع بالتحديد أقصى غربه على أطراف الصحراء. المقدسي، المصدر نفسه، ص: 108.

الحد الأقصى للمغرب الأوسط من جهة الشرق[1]، لنفس الاعتبار السابق الذكر: بمعنى كون مدينة أربة هي الأخرى من المدن الداخلية التي تحد المغرب الأوسط من ناحية الشرق.

فكأننا من جهة شرقه أمام خط حدودي طويل من المدن: ممتد من بجاية شمالا ليتجه جنوبا مارا بمليانة ثم أربة...واصلا بينها[2].

مما يلاحظ هو أنه قد اعتد في ضبط حدوده من هذا الجانب الشرقي بهذا الحد لا على أساس الإعتبار الطبيعي أو الجنسي، بقدر ما هو على أساس الإعتبار السياسي: التي تنتهي عنده سلطة الأغالبة[3]، الذين عرفوا طيلة تاريخهم بموالاتهم للخلافة العباسية[54].

أما غربا: فيعتبر حد المغرب الأوسط حدا طبيعيا: هذا الحد الذي يتمثل في وادي ملوية، الممتد من الجنوب والنابع من جبال الأطلس الصغير – وهي التسمية الحالية– المعروف بسيره نحو الشمال باتجاه شمالي شرقي ليصب في البحر الرومي[6].

إذنفكل هذا مجمع عليه من طرف جميع من حده من هذه الناحية سواء كان من جغرافيين وغيرهم...قدامى ومحدثين كما لا يفوتنا تسجيل معلومة مهمة، ألا وهي علّية نعته بالأوسط: لا لشيء إلا لكونه واقع وسطا بين إفريقية وبين المغرب الأقصى.

1ب3- المغرب الأقصى

يعتبر آخر وأقصى منطقة أو مجال جغرافي بالاتجاه غربا فيما يخص نطاق المغربالإسلامي، فهذا المجال إذن يحده "من جهة المغرب [أو الغربوالمغرب نسبةلغروبالشمس بالغرب]: بحر المحيط..."[7].

---

[1]المصدر السابق، ص: 108.

[2]عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000، 2/ 32.

[3]نسبة لمؤسسها إبراهيم بن الأغلب، حكمت الإمارة الأغلبية إفريقية من قبل العباسيين طيلة (184 هـ/ 800 م – 296 هـ/ 908 م). الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1990، ص: 176 فصاعدا. محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي: حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160 هـ - 296 هـ)، دار القلم، الكويت ط 3، 1408 هـ/ 1987 م، ص: 196.

[4]حكمت العالم الإسلامي بعد قضائها على الخلافة الأموية سنة 132 هـ/ 749 م لتستمر حتى سقوطها سنة 656 هـ/ 1258 م. مصطفى مؤمن، قسمات العالم الإسلامي المعاصر، دار الفتح، بيروت، ط 1، 1394 هـ/ 1974 م ص: 15 .28

[5]اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 351، 352. حسين مؤنس، المرجع نفسه، 1/ 374.

[6]مجهول، المصدر نفسه، ص: 177.

[7]إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 99.

ومن ناحية الشرق: فإنه يحد بالمغرب الأوسط المذكور بتفاصيله أعلاه، أما من جهة الشمال فيحد بالبحر الرومي[1]، وأخيرا "حده من جهة القبلة والجنوب: فالرمال المتهيلة[2] الماثلة حجزاء[3] بين بلاد السودان وبلاد البربر"[4]؛ وهكذا نخلص بالنسبة لهذا المجال أنه محاط بتخوم طبيعية صرفة من جميع جهاته الأربع.

2- الوضع الديني العقدي للمغرب الإسلامي قبيل وفود المذاهب العقدية عليه

بعد تصديرنا لهذا المدخل بالحديث عن ضبط وتحديد النطاق الجغرافي أو الإطار الأساس لموضوع البحث وحيثياته التفصيلية، والمتمثل في المغرب الإسلامي، ثم عن مكوناته: أي مناطقه ومجالاته الفرعية حديثا جغرافيا بحتا عبر تحديد مواقعها بتفصيل ودقة؛ كل هذا لا لشيء إلا بحكم كون هذا النطاق ومجالاته هو بمثابة إطار الدراسة المكاني.

فها نحن نشرع في إرداف ذلك بتوطئة نراها لازمة ولازبة، ما دامت تمهد لصلب الدراسة أطروحة البحث هذا، عبر التعرف من خلالها على الحالة أو الوضع الديني العقدي بأرض المغرب الإسلامي.

هذا الوضع الذي نعتبره سابقا مباشرة عن تواجد المذاهب العقدية موضوعهذه الرسالة، نظرا للعلاقات الكائنة بينها جميعا، والتأثيرات المتبادلة من قبلها كلها أيضا، فضلا عما ترتب عن ذلك من نتائج وتداعيات...كل هذا هو ما سنتطرق له طيلة هذه الدراسة.

2أ- مذهب الصحابة[5] والتابعين[6] (رضي الله عنهم) وتواجده بالمغرب الإسلامي

باستكمال عمليات فتح نطاق المغرب الإسلامي: أي إفريقية والمغربين الأوسط

---

[1] المصدر السابق، 6/ 101.

[2] بمعنى الرمال الكثيرة الهائلة التي لا يثبت مكانها. إبن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط 1، 1977، 6/ 379.

[3] الصحيح لغة „حاجزا„. الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 6، 1419 هـ/ 1998 م، ص: 507، 508. إبن منظور، المصدر نفسه 2/ 31، 32.

[4] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 101.

[5] مفرده صحابي، ودلالته في الاصطلاح: كل من لقي النبي (صلى الله عليه وسلم) مؤمنا به ومات على الإسلام، ولو تخللت إيمانه ردة على الأصح. إبن حجر أبو الفضل أحمد بن علي، نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، تعليق: أبو عبد الرحيم محمد كمال الدين الأدهي، شركة شهاب، الجزائر، د. ت، ص: 64.

[6] مفرده تابعي، ومفاده عند أهل الحديث: كل من لقي الصحابي (رضي الله عنه) مؤمنا بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، ولو تخللت إيمانه ردة. إبن حجر، نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، تعليق: أبو عبد الرحيم محمد كمال الدين الأدهي، شركة شهاب، الجزائر، د. ت، ص: 67.

والأقصى كلية تقريبا في أواخر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، بدليل شروع المسلمين في فتح بلاد الأندلس[1] عقب هذه الفترة الزمنية مباشرة، مما يدل دلالة جلية على أسلمة هذا النطاق غالبا.

لأنه يستحيل الشروع في فتح الأندلس، والمغرب الإسلامي لم ينته بعد من فتحه، إذن بهذا الاستكمال فإن سكان هذا النطاق سيبدأون حياة جديدة بكل مجالاتها: طبقا لما يمليه عليهم الدين الإسلامي الجديد الذي آمنوا به، حيث صار لزاما عليهم أن يكيفوا تصوراتهم وعواطفهم، فضلا عن سلوكاتهم وممارساتهم تبعا لما يأمر به وينهى حتى يصح منهم.

لأجل ذلك كله كان لا بد من وسيلة أو واسطة تعلمهم وتعرفهم بهذا الدينالذي سيصبغ حياتهم صبغة فريدة متميزة لم يعهدونها من قبل، ألا وهي واسطة الصحابة (رضي الله عنهم) الوحيدة التي بقيت بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) مستمسكة به أشد الاستمساك.

على أساس أنهم قد تميزوا عن غيرهم من الناس بأن "...شهدوا الوحي والتنزيل وعرفوا التفسير والتأويل...[وأن الله تعالى] اختارهم لصحبة نبيه (صلى الله عليه وسلم) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضيهم له صحابة..."[2]، وخصوصا أولئك الذين سموا طيلة صدر الملةبالقراء[43].

لقد كان هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم) بمثابة الزعماء الروحيين طيلة الفتوحات الاسلامية: حيث الجنود والعساكر تتبرك بهم، لأنهم اقتبسوا الكثير منه (صلى الله عليه وسلم) نظرا لمصاحبتهم له وملازمتهم إياه[5] مدة بعثته، فضلا عن تحميسهم وتحريضهم لهم

---

[1]تقع بالتحديد شمال غربي منطقة المغرب الأقصى، مثلثة الشكل وذات البلدان العريضة والمدن الكثيرة الكبار العامرة المتميزة بالخصوبة والسعة، يحدها: بحر المحيط غربا، والبحر الرومي شرقا حتى أرض إفرنجة، وشمالا هي متصلة ببرّكلّ من بلدان علجكس وبسكونس والجلالقة، إذ كلهم نصارى. الإصطخري، المصدر نفسه، ص: 41.

[2]إبن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمان، كتاب الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، الدكن الهند، ط 1، 1/ 7.

[3]وهم الحافظون للكتاب (القرآن)، ومن باب أولى السنة النبوية سماعا عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من غير كتابة ولا قراءة، لأنهم كانوا أمة أمية؛ لقد استمر هذا الاصطلاح قائما حتى ظهور مصطلح „الفقهاء„ أو „العلماء„ المتميزين بممارسة الكتابة وتمكن الاستنباط. إبن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دراسة وتحقيق وتعليق: على عبد الواحد وافي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، أكتوبر 2006، 3/ 947، 948، 1122، 1123.

[4]المصدر السابق، 3/ 947، 1122

[5]الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن على، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2 1401 ه/ 1981 م، ص: 35.

في ساحات الجهاد بغية الاستماتة والتضحية بكل نفس ونفيس جلبا للنصر، ونشرا لدعوة الدين الجديد، وتوسيعا لرقعة ديار الإسلام أخيرا.

حتى أننا وجدنا بأن صاحب „كتاب رياض النفوس..." قد أفرد لمن تفرغ منهم للمغرب الإسلامي ما تعداده تسعة وعشرون ترجمةمطولة[1]، كما تكلم عن بعض منهم وإن باختصار شديد أبو العرب تميم[2].

وإن كنا نعتبر بأنهم كانوا في الواقع أكثر من ذلك بكثير استنادا إلى رواية مؤلف „طبقات علماء إفريقية وتونس"، يقول فيها بأن "...معاوية بن حديج[3] كان معه من المهاجرين[4] الأولين ناس كثير"[5]، وإن لم نعثر ضمن المصادر المنشورة التي بين أيدينا على ذكر مفصل لهذه الكثرة المتبقية.

2ب- طبيعة مذهب الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في مجال الأصول والاعتقاد

من هنا إذن، فإن: "...الصحابة رضي الله عنهم [بتفرقهم] في النواحي والأمصار والثغور، وفي فتوح البلدان والمغاري، والإمارة والأحكام، [ونشر] كل واحد منهم في ناحيته، وبالبلد الذي هو فيه ما وعاه وحفظه عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)..."[6] قد بثوا فكرا ممنهجا منضبط القواعد ومحدد المعالم.

---

[1] المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: البشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1414 هـ/ 1994 م 1/ 60 - 98.

[2] أبو العرب محمد بن أحمد، طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر تونس، ط 2، د. ت، ص: 73، 78.

[3] إبن جفنة بن قتيرة الكندى ثم السكوني، أمير وقائد للكتائب، ولي مصر لمعاوية (رضي الله عنه) وغزا المغرب، ممن شهد وقعة اليرموك، له صحبة ورواية قليلة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) وعن عمر وأبي در ومعاوية (رضي الله عنهم)، حدث عنه ابنه عبد الرحمان وعلي بن رباح وآخرون...مات بمصر سنة 52 هـ/ 672 م. أحمد فايز الحمصي تهذيب سير أعلام النبلاء للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1420 هـ/ 1999 م، 1/ 84.

[4] هم الصحابة (رضي الله عنهم) الذين هاجروا إلى المدينة المنورة في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) قبل فتح مكة نصرة للدين ونبيهم، وهم المذكورون في القرآن الكريم صراحة مرارا خلال سياقات كلها مدح، كقوله جل وعلا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾ الآية 100 من سورة التوبة. وقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيءِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالاَنصَارِ...﴾ الآية 117 من سورة التوبة. وقوله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ...﴾ الآية 8 من سورة الحشر. محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، ط 4، رمضان 1427 هـ، ص: 463.

[5] المصدر السابق، ص: 78.

[6] إبن أبي حاتم، المصدر نفسه، 1/ 8.

حيث يقوم هذا الفكر أساسا على الرواية والنقل: عقيدة وفقها[1]، بحكم بيئة الحجاز[2] – المهد والمنشأ الذي أتوا منه أولئك الصحابة (رضي الله عنهم) – المناسبة لبيئة المغرب من حيث: بساطة التفكير، وتفشي البداوة، وتخلف "...تنقيح الحضارة وتهذيبها..."[3].

بالتالي فلا تستلزم مثل تلك الأرضية أو البيئة إيجاد القضايا والنوازل المتجددة المعقدة، والموجبة لإعمال النظر وتركيز الفكر من قبل المختصين من العلماء بهدف وضع الحلول لها.

وإن كانت حقائق هذه الأصول والاعتقادات، مما سنقوم بتناولها بشكل مستفيض وتبسيط واسع لاحقا من خلال فصل هذه الدراسة الأخير، وتحديدا عبر سياق الصراع المذهبي العقدي الشيعي الإسماعيلي – السني، في إطار عرض عقائد هذا الأخير، والتي ما هي في الحقيقة إلا استمرارية لمذهب الصحابة والتابعين العقدي.

لقد استمر هذا الفكر قائما بالمغرب الإسلامي حتى بعد وفاة كل هؤلاء الصحابة (رضي الله عنهم)، حيث حمل لواءه بعدهم التابعون بما "...حفظوا عن صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما نشروه وبثوه من الأحكام والسنن والآثار..."[4].

لا نشك في أن التابعين كانوا أكثر عددا من الصحابة (رضي الله عنهم)، بحكم الاستقرار النسبي الذي عرفته المنطقة من جهة، وظهور مراكز للإشعاع العلمي التي خرجت العدد الغفير منهم من جهة أخرى، وهكذا انتشروا وتوزعوا عبر الديار الإسلامية[5] ليبلغوا ما تعلموه تبرئة للذمة أمام الله تعالى.

كما لا يفوتنا أن نخص بالذكر أولئك الفقهاء العشرة من طبقة التابعين[6]، لما لهم من آثار بالغة الأهمية[7]: قد نحوصلها في التعريب، ثم نشر وترسيخ الدين الإسلامي، فضلا عن

---

[1] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، يونيو 1999، ص: 183. الجابري، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1 مارس 1998، ص: 33.

[2] منطقة تمتد من تخوم صنعاء: حيث العبلاء وتبالة إلى حدود الشام؛ سميت كذلك: لأنها حجزت بين غور تهامة الهابط ونجد الظاهر. الحموي، المصدر نفسه، 2/ 219.

[3] إبن خلدون، المصدر نفسه، 3/ 954.

[4] إبن أبي حاتم، المصدر نفسه، 1/ 8.

[5] ذكرت على شكل أبواب: كل مركز أو مصر إشعاعي ضمن باب يصدر باسمه، مع ذكر أعلامه من هؤلاء التابعين فلتنظر عند: الشيرازي، المصدر نفسه، ص: 57 - 94.

[6] وردت تراجم عنهم كلهم مفصلة واحدا واحدا عند: المالكي، المصدر نفسه، 1/ 99 - 118.

[7] للوقوف عليها باستفاضة يرجع إلى: المصدر السابق، 1/ 99 - 118.

الاستقرار السياسي شبه التام والمؤقت الذي أوجدوه، حيث اعتبروا عامل تأخير للفتن والقلاقل التي ظهرت لاحقا.

فقد بعث عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي الثامن، الذي حكم أثناء(99 هـ/ 717م – 101 هـ/ 719 م)، والمنعوت بالخليفة الراشد الخامس: لاقتفائه نفس سيرة الخلفاء الراشدين الأربعة (رضي الله عنهم) هؤلاء التابعين إلى النطاق لهدف واحد فقط ألا وهو تفقيه البربر في الدين.

وبهذا يكون هذا الخليفة قد انتهج مسلكا حضاريا ساميا، ودشن سنة حميدة يا حبذا أن لو احتذاها خلفاء المسلمين الذين جاءوا بعده لتغيرت وصارت إلى أوضاع أحسن من التي آلت إليها فيما بعد.

وهكذا نخلص في آخر ونهاية هذا المدخل إلى أن مذهب الصحابة والتابعين هذا: والذي سيتطور إلى أن يعرف لاحقا بالمذهب العقدي السني، لأن هذا الأخير ما هو إلا امتداد له؛ سوف تزول عنه هذه السيادة والريادة بالنطاق لاحقا –ولو مؤقتا - لتزاحمه وتنافسه مذاهب عقدية مختلفة عنه تماما ومناقضة لأصوله وعقائده، بغية التمكين السياسي والريادة الدينية: كالواصلية أو المعتزلة، والإباضية والصفرية، والشيعة الإسماعيلية.

الفصل الأول

تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الإسلامي

1 – أصل التسمية بالمذهب الواصلي أو المعتزلي

1أ – أصل التسمية بالمذهب الواصلي

1ب– أصل التسمية بالمذهب المعتزلي

2– تواجد المذهب العقديالواصلي أو المعتزلي بالمغرب الإسلامي

2أ– كيفية دخول المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي إلى المغرب الإسلامي

2ب – الأماكن الأولى لتواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الإسلامي

2ب1– تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الأوسط

2ب2 – تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الأقصى

2ب3– تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بإفريقية

1- أصل التسمية بالمذهب الواصلي أوالمعتزلي

1أ- أصل التسمية بالمذهب الواصلي

نعت المذهب وسمي بالواصلي نسبة إلى واصلبن عطاء[1]أحد كبار رؤوس المذهب، والذي حاز قصب السبق في بلورة مجمل أصوله وتمييزأغلب معالمه وأركانه الكبرى،شأن هذه التسميةللمذهب في ذلك كشأنعدد لا بأس بها من المذاهب والفرق في تراث الأمم عموما والتراث الاسلامي بشكل أخص.

فإنك تجد على سبيل المثال لا الحصر بأن مذهب الأشعرية ماأطلقت عليه هذه الصفة إلا نسبة للإمام الأشعري[2]،والمذهب الإباضي نسبة إلى الإمام عبد الله بن إباض[43]وهكذا...

1ب- أصل التسمية بالمذهب المعتزلي

حتى وإن وجدت لفظة المعتزلة كلفظة مرادفة للواصلية، والتي نعت بها هذا المذهب هي الأخرى، إلا أن معناها وأصلها التاريخي قد يحتاج في إماطة اللثام عنه، وتبيان حيثياته إلى بذل جهد بحثي وإعمال نظر وفكر، عكس لفظة الواصلية، نظرا لتباين وجهات النظر حول هذا المعنى والأصل وتضارب الآراء تجاهه.

---

[1]كنيته أبو حذيفة، يلقب بالغزال لملازمته محلات الغزل كثيرا ابتغاء التعرف على النساء المتعففات فيصرف لهن الصدقة، ولد بالمدينة المنورة سنة 80 هـ/ 699 م، عرف بطول عنقه ولثغة اكتنفت نطقه لحرف الراء، والتي لم تمنعه من أن يكون فصيح الكلام ولسِنا مقتدرا على البيان، أخذ العلم عن أبيه كما لزم مجالس الإمام الحسن البصري العلمية، إعتبر أحد الضالعين في نحل وملل عصره ومن المنظرين الأوائل لمذهب الاعتزال، من مؤلفاته: كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الفتيا، وكتاب التوحيد...توفي سنة 131 هـ/ 748 م. النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، شرح وتعليق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1422 هـ/ 2002 م، ص: 283 - 284. عبد الجبار أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، طبقات المعتزلة: كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط 2، 1406 هـ/ 1986 م، ص: 234.

[2] أبو الحسن علي بن إسماعيل مؤسس المذهب الأشعري قبل رجوعه عنه. توفي في سنة 330 هـ/ 941 م. البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، 11/ 346، 347.

[3] أحد المراجع الأولى للمذهب الإباضي، توفي أواخر خلافة عبد الملك بن مروان الأموي كما اتفق على ذلك ثقات أصحابه. جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد يوسف أطفيش، جمعية التراث، القرارة الجزائر، د.ت، ص: 34 - 36. إبن سلام الإباضي، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: فيرز شيفارتش والشيخ سالم بن يعقوب، دار النشر فرانز فانون ستاينر، فسبادن، ط 1406 هـ/ 1986 م، ص:98، 125، 132. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين بيروت، 4/ 62.

[4] إبن رسته أبو علي أحمد بن عمر، كتاب الأعلاق النفيسة، دار صادر، بيروت، مطبعة بريل، ليدن، 1892، ص: 217.

فمنمتبنللرواية[1] التي مفادها: بأنه خلال مجلس جمع الإمام الحسن البصري[2] وتلاميذه أثيرت مسألة مرتكب الذنوب من غير توبة بأنه كافر وخارج عن الملة، حيث نادى بهذا الحكم أغلب فرق الخوارج[43]؛ في المقابل وبالتضاد لم تعتبر فرقة المرجئة[5]مسألة الأعمال إذا لم يأت بها المكلف أمرا خارما للديانة ألبتة: ما دام أن لا تضر مع الايمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة عندها[6].

من هنا كان لا بد للحسن البصري أن يبدي رأيه في المسالة [بغيةتحقيق مقصد شرعي يكمن في الحفاظ على وحدة الجماعة، وقطع كل ما من شأنه إيقاع الخلاف بين أفرادها][7]، فراح يذكر بأن من وقع فيها من المكلفين هو مؤمن ومسلم بما معه من الطاعات، كما أنه عاص وفاسق بما ارتكبه من المعاصي اتباعا في ذلك لقول الجمهور الأعظم من الصحابة والتابعين[8].

لكن حدث أن تدخل واصل بن عطاء، وهو أحد طلبته معتبرا المتلبس بالمعصية لا يكون مؤمنا مطلقا ولا كافرا مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم شرع بعد ذلك في اعتزال ومن غير رجعة لحلقة ومجلس أستاذه الحسن البصري.

ويقيم حلقة للعلم خاصة به في مكان آخر رفقة جماعة من أقرانه ورفقائه، منهم:

---

[1]إن معنى هذه الرواية محصل بالتصرف من المصادر التالية: البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، كتاب الملل والنحل، تحقيق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط 1986، ص: 83. البغدادي، الفرق بين الفرق، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، ط 1411 هـ/ 1990 م، ص: 20، 21. الإسفراييني أبو المظفر طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1403 هـ/ 1983 م، ص: 63. الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، إعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1407 هـ/ 1986 م ص: 34، 37. السكسكي أبو الفضل عباس بن منصور، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، تحقيق: بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط 2، 1417 هـ/ 1996 م، ص: 49، 50.

[2] أبو سعيد الحسن بن يسار، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، هو من التابعين وأحد كبار علماء الإسلام في زمانه، توفي سنة 110 هـ/ 728 م. الشيرازي، المصدر نفسه، ص: 87.

[3] سوف نتعرف على دلالة هذا المصطلح لاحقا.

[4] تنظر عند: الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط 1419 هـ/ 1999 م، 1/ 168.

[5] فرقة لا تعتد فيما يخص الإيمان والإسلام بالأعمال تماما، بل بالقلب واللسان فقط. إبن حزم أبو محمد علي بن أحمد الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط 1403 هـ/ 1983 م، 2/ 113.

[6] الإسفراييني، المصدر نفسه، ص: 97.

[7] [...] هو من قبل الباحث.

[8] البغدادي، المصدر نفسه، ص: 83.

عمروبن عبيد[1] وغيره...من الذين تأثروا به أكثر من تأثرهم بشيخهم البصري فيما يخص القضية المذكورة، ومصرا على وجهة نظره تلك.

لأجل ذلك سمي هو ورفقاؤه هؤلاءمعتزلة، بحكم هذا الاعتزال والمفارقة المكانية لجلسات مشيخة الحسن البصري، كما هو ظاهر هذا النص.

فريق ثان من المؤرخين يرجع أصل التسمية هذه المرة لا إلى المفارقةالمكانية، بل إلى أصول عقدية خالف وباين فيها واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد وجماعتهما شيخهم الحسن البصري أو قتادة[2]: كتبنيهم المنزلةبين المنزلتين ونفي الصفات عن الله تعالى والقول بالقدر، وإيجاب الخلود في النار لمرتكب الكبيرة[3] ما لم يتب، لأجل ذلك سموا بالمعتزلة[4].

ورأي ثالث يذكر بأن هذه اللفظة تعود إلى ما قبل ذلك بمدة، وبالتحديد إلى زمن الصراع الذي دار بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم).

بالتالي فإن للكلمة أو اللفظة وجودا سياسيا سابقا على الحادثة المذكورة المنسوبة لواصل وأتباعه، وإن دلت على مفهوم سياسي ليس إلا، بعد استناد أصحاب هذا الرأي إلى ما أورده الطبري فيسياق كلامه عن الأحداث التاريخية التي عرفتها الأمة الإسلامية في سنة 36 هـ/ 656م، فيذكر الكلمة أو بعض اشتقاقاتها منسوبة إلى جماعاتمرات عدة:

---

[1] كنيته أبو عثمان ولد 80 هـ/ 699 م، عدّ أحد أعلام وعباد المعتزلة، كان رفيقا للخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ذكره مرارا بمواعظ مشهورة، من مؤلفاته: كتاب التفسير عن الحسن، كتاب العدل والتوحيد، كتاب الرد على القدرية...توفي سنة 144 هـ/ 761 م وهو في طريقه من مكة إلى البصرة. النديم، المصدر نفسه، ص: 284.

[2] أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي، أحد التابعين وكبار علماء البصرة، توفي في سنة 117 هـ/ 735 م. طاش كبرى زاده أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1431 هـ/ 2010 م، ص: 394. إبن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط 1، 1411 هـ/ 1991 م ، ص: 154.

[3]جمعها كبائر، والمقابلة للصغائر، تعريفها الاصطلاحي الراجح: هي كل ذنب رتب الشارع (الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم) عليه وعيدا. الأشعري، المصدر نفسه، 1 / 332.

[4] المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتعليق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط 1، 1408 هـ/ 1989 م، 3/ 211. طاش كبرى زاده، المصدر نفسه، ص: 394. السمعاني أبو سعد الكريم بن محمد، الأنساب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419 هـ/ 1998 م، 4/ 211، 5/ 225. المقريزي أبو العباس أحمد بن علي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1418 هـ/ 1998 م، 4/ 170.

أولاها: بمناسبة تفريق الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) عمالهعبر الأمصار، فكان أن عين قيس بن سعد[1]على مصر: فلما دخلها وجدها منقسمة إلى فرق "[منها] فرقة وقفت واعتزلت...وقالوا [أي أتباعها]إن قتل قتلة عثمان [رضي الله عنه] فنحن معكم [أي مع أنصار علي رضي الله عنه]"[2].

ثانيها: حين ملاحقة الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله (رضي الله عنهما) قتلة عثمان (رضي الله عنه) ومعينيهمبالبصرة، بغية قتلهم ثأرا له وقصاصا منهم، حيث لم ينجو منهم إلا حرقوص بن زهير[3] بسبب لجوئه إلى بني سعد[4] قومه الذين كانوا عثمانية[5] فإنهما(رضي الله عنهما)لم يقرباه بأذى خشية تحويل قومه هؤلاء لولائهم وطاعتهم لعلي (رضي الله عنه) ونزعها من معاوية (رضي الله عنه)، حين أعلنوا قولتهم بوضوح وشجاعة: "نعتزل"[6].

ثالثها: بنحو ما فعل الأحنف بن قيس[7] بمجموعة من القبائل، فكان أن"اعتزل بهم" ونأى عن القتال الذي دار بين علي (رضي الله عنه) وجماعة عثمانية[8].

---

[1] قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي (رضي الله عنهما)، ولاه علي (رضي الله عنه) مصر ثم عزله فقصد المدينة المنورة ليرجع إلى الكوفة فيلتحق بعلي (رضي الله عنه)، ثم بالحسن (رضي الله عنه) بعد مقتل أبيه؛ عاد إلى المدينة المنورة بعد مصالحة الحسن ومعاوية (رضي الله عنهما)، ليموت فيها آخر خلافة معاوية (رضي الله عنه). إبن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 2، 1418 هـ/ 1997 م، 6/ 121، 122.

[2] الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ت ص: 797.

[3] لم نعثر على ترجمة له مستقلة بالمصادر التي بين أيدينا، لكن بعد جمع المعطيات الشحيحة عنه والمتفرقة خلالها، فإننا توصلنا إلى: أنه عد من الشجعان وكبار المقاتلين، بداية كان من أنصار علي (رضي الله عنه) في حربه مع معاوية (رضي الله عنه)، لكن بعد قضية „التحكيم" مال إلى الخوارج الذين تولى زعامتهم عبد الله بن وهب الراسبي...إلى أن قتل أثناء وقعة النهروان سنة 38 هـ/ 658 م وهو يقاتل عليا (رضي الله عنه) وعسكره، حيث قتله حنش بن ربيعة. البلاذري أحمد بن يحيى، كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط 1، د. ت 3/ 136 147. الطبري، المصدر نفسه، ص: 807 فصاعدا.

[4] نسبة إلى جدهم سعد بن أشرس بن شبيب بن السكون. إبن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1982، 2/ 429.

[5] أريد بهذا المصطلح كل من قاتل في صف معاوية (رضي الله عنه) وضد جيش علي (رضي الله عنه)، طلبا للقصاص من قتلة عثمان (رضي الله عنه) الذين هم موجودون في عداد جيش علي (رضي الله عنه). المصدر السابق 2/ 410.

[6] الطبري، المصدر نفسه، ص: 807، 808.

[7] يكنى أبا بحر، من كبار التابعين والعباد بالبصرة، توفي أثناء وفادته على صديقه مصعب بن الزبير بالكوفة واليها يومئذ. إبن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمان بن علي، صفة الصفوة، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1419 هـ/ 1998 م، 3/ 103 104.

[8] الطبري، المصدر نفسه، ص: 817.

كما أن هناك وجهة نظر رابعة تنطلق من فكرة ربط الإعتزال كمفهوم عقدي بسابق له ذي دلالة سياسية: فما اعتزال واصل بنعطاء وجماعته عند أصحاب هذه الوجهة إلا امتداد وتطور واكتمال على المستوى العقدي الفكري لاعتزال سياسي أولي كان بداية له.

لقد وضع لبنته الأصلية من سلف ممن كانت لهم مواقف سياسية بحتة،حتى وإن كان هذا المفهوم من طبيعة مغايرة، المنطلقة والمتطورة من السياسة إلى الفكر،كما يوضح ذلك اللمطي المناهض للمعتزلة: بأن نواة المعتزلة الأولى البدائية تمثلت في جماعة من أنصار علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فشيعة الحسن (رضي الله عنه)بعد قتل أبيه، وإن اعتزلته شيعته لتصالحه مع معاوية (رضي الله عنه) وتسليم حكم أمة الاسلام له،معلنة تلك الشيعة بذلك طلاقها مع السياسة ولزوم الانشغال بالعلم والعبادة[1]، تلك إذنهي بداية المعتزلة كما يراها صاحب مؤلف"التنبيه...".

كما نجد رواية أخرى وإن كانت تسير في خط الرواية السابقة،حين تأكيدهاعلى أن الاعتزالماهو إلا امتداد واستمرارية للإعتزال السياسي،إلا أنها تفترق عنها بإسنادها جذر وأصل الاعتزال لا إلى التشيع كما في الرواية السالفة، بل إلى الحيادالذي وقفه بعض الصحابة (رضي الله عنهم):كسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد من الصراع العسكري الذي جرى بين جيشي علي ومعاوية (رضي الله عنهما)[2].

إننا نرى بأن الحكم الذي خرج به هذان النصان بعيد تماما عن الصواب وغير مقنع مادمنا لا نجد ربطا ووصلا بين الإعتزالين السياسي والعقدياللهمإلا الإشتراك والاتفاق اللغوي، لا الاصطلاحيأوالعلمي بينهما.

بعد عرضنا لمختلف وجهات النظر تلكفيما يخص مسألة تاريخيةكلمة المعتزلة وأصلها الأول،والوقوف على الروايات والنصوص التي اعتمد عليها أصحابها، ثم أخيرا التمعن فيها لإجراء مقارنة بينها، فإننا نخرج بأربع نقاط مهمة تالية:

---

[1] اللمطي أبو الحسين محمد بن أحمد، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط 1949، ص: 40، 41.

[2] النوبختي أبو محمد الحسن بن موسى، والقمي أبو القاسم سعد بن عبد الله، كتاب فرق الشيعة، تحقيق وتعليق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط 1، 1412 هـ/ 1992 م، ص: 17، 18.

الأولى:أن لفظة معتزلةأول ما أطلقت،وصارت لها بداية ووجوددال على معنى اصطلاحي،كان في عهد واصل بن عطاء وجماعته لا قبل ذلك[1]، بغض النظر عنظرف ومناسبة ورودها:أهي المفارقة المكانية(أي اعتزال مكان حلقة الحسن البصريإلى مكان حلقة أخرى)؟

أم هي المفارقة العقدية حول مسألة مرتكب الكبيرة، ومسائل عقدية أخرى –سنبسط الحديث عنهافي مبحث قادم– لأنها بمثابة المحكوالفيصل بين المذهبالواصلي ومذهب الحسن البصري وسائر المذاهب العقدية الأخرى المتواجدة بالمغرب الإسلامي وقتها؟

وهذا بحكم النصوص والروايات المستفيضة الواردة حول ذلك، عكس تلكالتي دلت على فترة ماقبل واصل بن عطاء،فضلا عن استصاغتهاواقترابها من المعقول والواقع أكثر من غيرها فيما يخص الروايات الأخرى.

الثانية: كما أن منظري المذهب الاعتزالي الأوائل لم يكونوا هم الذين أطلقوا تلك اللفظة على مذهبهم هذا، مادام أنه من غير المألوف والمعهودفي تراث المسلمين على الغالب أن يطلق مذهب عقدي وغير عقدي على نفسه إسماأو صفة دالة عليه،وبالأخصإذا تعلق الأمر بالأصول والعقائد[2].

الثالثة: وإن كانت هذه النقطة هي نتيجة للنقطة السالفة الذكر، بمعنى كون المخالفين للمعتزلة هم الذين أطلقوا اللفظة عليهمورموهم بها نكايةفيهم وتنقيصا لهم، حيث ذكرت ذلك صراحةروايات سبق وأن أوردناهاوأحلناإلى مظانها ومصادرها.

الرابعة: لا نشك أن أتباع المذهب المذكور تبنوا الكلمة،ورضوا بأن تكون لصيقة لنحلتهم دومابكل اعتزاز نفسوطمأنينة قلب وراحة ضمير.

---

[1] حيث يذهب إلى ذلك أيضا المستشرق لاووست المتخصص في الفرق الإسلامية.

Henri Laoust, les schismes dans l'islam introduction à une étude de la religion Musulmane S.N.E.D, Alger, 1979, p : 101.

[2] فؤاد السيد، مقدمة فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لمؤلفه: البلخي وعبد الجبار والجشمي، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط 2، 1406 هـ/ 1986 م، ص: 15. والأمثلة في التراث الإسلامي على ذلك كثيرة، سواء على مستوى الأصول والعقائد كما هو شأن: المرجئة، الجبرية، الرافضة...أم على مستوى الفروع مثل: المالكية، الحنفية...

يدل على قمة هذا الرضا بالتسميةبها قول أحد رؤوس المذهبوأقطابه العلمية أبيالحسين الخياط:"وليس يستحق أحد إسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة"[1].

وإن كان يكفيهم شرفا وفخرا باللفظة، ما نقله الرازي عن القاضي عبد الجبار أحد كبار أعلام الواصلية ومنظريها من قول له بأن:"كل ما ورد في القرآن من لفظ الاعتزال فإن المراد منه الاعتزال عن الباطل،فعلم أن اسم الإعتزال مدح"[2].

كما يجب التنبيه ولو بلمحة خاطفة عن نقطة مهمة جدا، ألا وهي وجوب عدم الخلط بينظهور المعتزلة كلفظ ومصطلح سبق طرقه، وبين ظهور المعتزلة كعقيدةوفكر متميزالمعالم والأصول على العموم، وإن كنا سنتحدث عن هذا الجانب الأخير لاحقا.

يبعد عن الحقيقة كثيرا،ولايؤدي المهمة كاملة وبالتمام من يحصرنشأة المذهب في جانبه الفكري، والقائم على أساس: المناظرات النزاليةوالمجالس الحوارية والتآليف وغيرها...أوجانبه السياسي كحد أقصى لا يتعدى، كما جرتعلى ذلك الكثير من الدراسات[3]، بل لابد من إدخال جوانب ومجالات متعددة أخرى، والإعتداد بها مجتمعة إذاأريد إنجاز دراسات علمية رصينة فيما يخص هذا الموضوع.

وإن كان قد نبهالى ذلك وأكد عليه المفكر والمؤرخ محمود إسماعيل مهيبا بالباحثين لدفعهم إلى إماطة اللثام، وتسليط الضوء على تلك الجوانب الغائبة في الدراسات التي هي من هذا النوع، بدل الاقتصار فقط على الجانب الفكريالمعتبر في عداد القضايا التي قتلت بحثا[4].

---

[1] الخياط أبو الحسين عبد الكريم، الإنتصار والرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق: د. نيبرج، القاهرة، ط 1925 ص: 126.

[2] الرازي، المصدر نفسه، ص: 37، 38. وإن كنا نرى بأن إعطاء نحو هذا الحكم بهذا الإطلاق هو في غير محله، حيث ينقضه قوله تعالى على لسان موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام): ﴿وَإِنْ لَمْ تُومِنُوا لِيَ فَاعْتَزِلُونِ﴾ الآية 21 من سورة الدخان، إذ المراد بالاعتزال فيها هو الاعتزال إلى الكفر المقابل للإيمان المذكور صراحة فيها، من هنا فإن الكلمة في القرآن الكريم قد يراد بها المدح وقد يراد بها القدح، وبالتالي قد تدل على الأول كشأن ما ذهب إليه عبد الجبار، وقد تدل على الثاني كشأن الآية المذكورة من سورة الدخان، والنماذج لذلك في القرآن الكريم كثيرة، فلتراجع عند: محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الأندلس، بيروت، د. ت، ص: 461.

[3] نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر: فؤاد السيد، المرجع السابق، ص: 12، 26. علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط 9، 1995، 1/ 373 – 517. أحمد محمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين: المعتزلة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 5، 1405 هـ/ 1985 م 1/ 103 - 354.

[4] محمود إسماعيل، الحركات السياسية في الإسلام رؤية عصرية، دار القلم، بيروت، ط 1، أغسطس 1973، ص: 83 وما بعدها.

مما يدل كل ذلك علىأنه لا مندوحة للباحث عنمثل هذه الجوانب المتعددة مجتمعة لمثل هذه الدراسة وغيرها من الدراسات المشابهةلها،إذا رامالاقتراب من الصواب فيها وإدراك نسبة حق أكبر منها،هو تلك الخطبة[1] التي ألقاها الخليفة الأموي يزيد بن الوليد[2] عقبمبايعته بالخلافة.

حيث تعهد هذا الخليفةفيها بالإصلاح الجذريلكل الأوضاع،ومعالجة جميع القضايا المطروحة وقتها، وأتى على ذكرهاواحدة بعد الأخرى: كالعسف والاستبداد السياسي الذي مارسه بعض خلفاء الدولة الأمويةعلى الرعية؛ وتردي الحالة الاقتصادية باستئثار فئة قليلة جدا، لها ارتباط وثيق بهذا الاستبداد بكل المنافع ومصادر الثروة عهدها على حساب الغالبية العظمى المحرومة من كل ذلك تماما.

نفس الملاحظة تسجل عن الوضع الاجتماعي، والذي يستشف من الخطبة ذاتها بأنه وضع قاس رهيب: حيث التفاوت السحيق بين الفئتين المذكورتين والترديالكبير لكل ماله تعلق وارتباط بالحياة الاجتماعية.

فضلا عن الوضع الديني البعيد عن سواء السبيل: بتعطيل بعض من الشرع وحدوده...هذا على المستوى العملي،أما على المستوى النظريالتصوري: فسيادة عقيدة الجبر[3] وتمكنها من القلوب والعقول،حتى يذكر الفيلسوف المغربيالجابري بأن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)مؤسس الدولة الأموية هو أول من دعا إليها من الحكام المسلمين كتبرير لسلطته[4]،إلى أن سارت هذه الدولة على منواله هذا مدة من الزمن.

كل هذا إذن حتى يفهم ويعتقد بأن مـا من أمر يحدث فهو بقضاء من الله تعالى وقدره

[1] أوردها: الطبري، المصدر نفسه، ص: 1410، 1411.

[2] أحد خلفاء الدولة الأمويةّ تولي الحكم سنة 126هـ/ 743 م وتوفي في نفس السنة، من الميزات التي تفرده عن خلفاء هذه الدولة: أنه كان شديد التأثر بالمعتزلة، حيث يذكر الطبري ذلك صراحة، فضلا عن تبنيه لمبادئ وأصول معتزلية هي مرسومة بوضوح وجلاء في ثنايا خطبته تلك. المصدر السابق، ص:1408، 1422.

[3] إذ حدها شرعا: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب، والجبرية أصناف منها: الجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا، وجبرية متوسطة تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط 1403 هـ/ 1983 م، 1/ 108.

[4] الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، فبراير 1990 ص: 260.

وبالتالي فالرضا به واجب لأن ذلك من الإيمان[1].

2- تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الإسلامي

2أ- كيفية دخول المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي إلى المغرب الإسلامي

لقد أخذ رؤوس الواصليةأو مذهب المعتزلة على عواتقهم أول ما أخذوا-شأنهم في ذلك شأن سائر المذاهب والفرق العقديةالأخرى-الدعاية والتبشير بماآمنوا بهونظّرواله عبر جميع أطرافوجهات نطاق المغرب الإسلامي، وبالأخص تلك الأماكن النائية منها ليجعلوا منها قواعد خلفية حامية ورباطاتقوية للدعوة واستمراريتها.

كل هذا لأجل هدف ديني متمثل في التصدي لتحديات الخصوم والأعداء، فضلا عن نشر الإسلام وترسيخه، تبرئة للذمة أمام الله عز وجلبإنفاذ هذا الواجب الكفائي[2] وطلبا للأجر والثواب، وهدف آخر سياسي يكمن في التمكين لدولة قائمة على هذا المذهب وحارسة له.

لقد شق المعتزلة لأنفسهمأخيرا طريق جديدالم يعهدوه من قبل في الدعوةلنحلتهم ألاوهو الطريق إلى إيجاد كيان سياسي أودولة في نهاية المطاف تقوم حصرا على كل ما تقول به الملة الاعتزالية،حيث يستدعي هذا الطريق السرية التامةفي أولى مراحلهوعلى أراض نائية جداعن تواجد الخصوم في المذهب.

ترى من هو أول داع أرسله المعتزلة إلى نطاق المغرب الإسلامي (وهي فعلا منطقة نائية عن تواجد الخصوم)؟ ومتى أرسل؟ وأين أرسل بداية؟ وكيف انتشرت دعوته؟ لأن مثل هذه الأسئلة تعتبر ضرورية فيما يخص هذا المبحث لابد من الاجابة عليها.

---

[1] للوقوف على بعض من هذه النصوص الذي استند إليها أصحاب عقيدة الجبر أو الجبرية، يرجع إلى: إبن أبي الحديد أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: الشيخ حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 1979 /2 244. إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: طه محمد الزيني دار المعرفة، بيروت، د. ت، 1/ 151. إبن كثير إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، الرياض د. ت، 2/ 1247، 1249.

[2] ويقابله الواجب العيني، إذ معناه شرعا: ما يطلب حصوله من كل مكلف كالصلاة والصوم وغيرهما...محمد الخضري بك، أصول الفقه، دار الفكر، بيروت، ط 1409 هـ/ 1988 م، ص: 39.

يذكرمصدر معتزلي بأن أقدم داعية واصلي دخل إلى المنطقة هو عبد الله بن الحارث[21]، أرسله بلا شك رأس المذهب بلا منازع وقتها أبو حذيفة واصل بن عطاء وأحد أساطينه بالمشرق، وإن لم يسجل لنا التاريخ زمن قدومه.

إلا أننا نرجح بأن وصوله إلى المنطقة كان قبل سنة 131هـ/748م تاريخ وفاة واصل بن عطاء[3]، والذي يكون هو من أرسله قبل سنة وفاته تلك.

بالنسبة للمستشرق نيلينو، فإننا نراه قد أبعد النجعة وجانب طريق الصواب حين خرج بالرأي الذي مفاده كون إدريس الأول أو الأكبر[4] هو أول من أدخل الاعتزال إلى المغرب الإسلامي[5].

لأنه شتان بين سنة 131هـ/748م والمعتبرة عندنا كأقصى تاريخلوصول الاعتزال إلى المنطقة كما مر معنا، وبين سنة 172هـ/ 788م المتأخرة عنها بكثير والمعلمة بدخول إدريسالأكبر إلى المغربالأقصى[6]:أحد المكونات الجغرافية للمغرب الإسلامي كله.

قد لا نجانب الصواب ونبتعد عن الحقيقة إذا قلنا بأن دعاة واصل بن عطاءالذين بعثهم هو وخلفاؤه من بعده، يعتبرون من أوائل رسل الدعوة للمذهب الاعتزالي من بين المذاهب العقدية الأخرى الذين وطئت أقدامهم منطقة المغرب الاسلامي انطلاقا من المشرق.

ومما يدل على أن خلفاء واصل من بعده ما توقفوا عن هذه المهمة، بل واصلوا في

---

[1] لم نعثر على أية معلومة أو إشارة عنه بالمصادر المتوفرة لدينا.

[2] البلخي أبو القاسم عبد الله بن أحمد، باب ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط 2، 1406 هـ / 1986 م، ص: 66، 67.

[3] النديم، المصدر نفسه، ص: 284. كما يجنح إلى هذا الرأي كل من: الباحثين محمود إسماعيل وعبد العزيز المجدوب. محمود إسماعيل، مغربيات، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ص: 1977، ص: 126. عبد العزيز المجدوب الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، تونس ، ط 2، 1985، ص: 98.

[4] إبن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، قتل مسموما سنة 177 هـ/ 793 م على القول الراجح، ضمن خطة محكمة دبرها سليمان بن جرير الشماخ أحد أعوان الخليفة العباسي هارون الرشيد. إبن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ط 2، 1972، ص: 20 - 23. المراكشي، المصدر نفسه، ص: 41. التنسي، المصدر نفسه ص: 36، 37.

[5] كارل ألفونسو نيلينو، بحوث في المعتزلة والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار القلم ، بيروت، ط 1980، ص: 196.

[6] البكري، المصدر نفسه، 2/ 302. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 210.

إيفادهم للدعاة، وبثهم في الأماكن النائية من هذه المنطقة، هو ما سجله القاضيعبد الجبارالمعتزلي في كتابه „طبقات المعتزلة..." بأن المسمّىبشير الرحال[1]قد "لحق بعض أولاده وأصحابه بالمغرب"[2].

أما الإجابة عن التساؤل المتمثل في أمكنة المغرب الإسلامي التي وصل إليها هؤلاء الرسل من المبشرين والدعاة فسنرجئ الكلام فيه لاحقا، مادام الحديث عنه يستدعي الإطالة والبسط.

إننا لا نستبعدبأن الداعية عبد الله بن الحارث هذا قد ولج نطاقالمغرب الإسلامي تحت ستار امتهان النشاط التجاري في الظاهر،قياسا على عثمان بن أبي عثمان[3]التاجر ظاهرا والداعية للمذهب باطنا.

حيث كان واصل قد أنفذه هو الآخر لنشر المذهب بأرض أرمينية[4][5]، لما لهذهالوظيفة التجارية من أهمية وإيجابيات لا تتأتى من خلال الوظائف الأخرى غيرها،منها:تهيئة فرص الاحتكاك وتيسير الاتصال مع الغير بمختلف مستوياتهم الفكرية وطبقاتهم الاجتماعية:أميهم ومتعلمهم، حقيرهم وكبيرهم، فقيرهم وغنيهم...

وإن كان هناك من الباحثين في هذه القضية من يذهب إلى القول: "[بأن]الإعتزال دخل إلى المغرب مع آراء أهل العراق[6] من أصحاب أبيحنيفة"[8][7]، لكن لا حجة له في

---

[1] لقب كذلك، لأنه اعتاد أن يرحل سنة للحج وأخرى تالية للغزو وهكذا...إلى أن قتل بباحمري. عبد الجبار، المصدر نفسه، ص: 227.

[2] المصدر السابق، ص: 227.

[3] لم نعثر على من أرخ له من المصادر التي بين أيدينا إلا مصدرا واحدا فقط، وإن كان لم يذكر عنه إلا الكنية أو التسمية بالتمام، فأورد "أبا عمرو عثمان بن أبي عثمان الطويل"، كما يفهم بالإيحاء من هذا المصدر عنه بأنه كان صاحب دربة عالية في مجال التجارة، وإن كنا لا نشك في مكانته العلمية العالية وخصوصا في المذهب الواصلي، لأنه لا يكلف بمهمة الدعوة إلى المذهب إلا من كان كذلك، وفعلا كلفه واصل في آخر المطاف. البلخي، المصدر نفسه، ص: 67.

[4] اسم لصقع واسع عظيم الجهة؛ تحد من برذعة إلى باب الأبواب، ثم إلى بلاد الروم وجبل القبق وتنقسم إلى: صغرى (تفليس ونواحيها)، وكبرى (خلاط ونواحيها). البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412 هـ/ 1992 م، 1/ 60.

[5] البلخي، المصدر نفسه، ص: 67.

[6] أو العراقيون، أريد بهذا اللفظ عهدئذ معنى أتباع الإمام أبي حنيفة، لأن مذهبه كان هو السائد على بلاد العراق، فضلا عن اعتبارها مكان مولد ونشأة ووفاة الإمام. محمد أبو زهرة، أبو حنيفة: حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي القاهرة، ط 1997، ص: 15، 402.

[7] النعمان بن ثابت، المؤسس الأول للمذهب الحنفي وأحد كبار فقهاء الرأي، توفي سنة 150 هـ/ 767 م ببغداد. إبن قتيبة المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1424 هـ/ 2003 م، ص: 277.

[8] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف الإسلامية بالإسكندرية، د. ت، 1/ 369.

ذلك،لأن المصادر التراجمية تذكر صراحة بأن أوائل الأعلام الذينأدخلوا آراء وفقه أبي حنيفة كانوا خصوما ألداء للمعتزلة،حيث أعلنوها حربا لا هوادة فيها عليهم.

فمن أقدم هؤلاء الأعلام حسب الترتيب الزمني نجد: عبد اللهبن فروخ[1]والذي يعتبر ممن أخذ بقول أهل العراق فيما رآه صائبا،كما أخذ عن الإمام مالك بن أنس[2]أيضا وغيرهما...ليبلغ كل ذلك إلى الناس بإفريقية ويعلمهم إياه[3].

وبهذا يكون ابن فروخ قد انتصر للإمام أبي حنيفة في مسائل له وتبناها، وللإمام مالك في مسائل أخرى له وتبناها هي الأخرى كذلك،لكن حنفيته تلك والمتميزة بالانفتاح والتسامح مع المخالفهي بارزة أكثر في فقهه من مالكيته:بحكم إعطائها صلاحية ومجالاأوسع للعقل، والتي لم تمنعه عن التصدي للمعتزلة بكل شدة، حين رفض الصلاة على جنازة قدمت أمامه، بمجرد أن علم أن ميتها معتزلي، ومعتبرا موته كموت أي كائن، فلا اختصاص لها عنده بالتكريم والحرمة بقوله:"كل ميت حي"[4].

بل وذهب إلى لعن المعتزلة أبد الآبدين، ونفى الصلاح والتقوى عنهم،فنسمع عمن تحدث عنه وهو أحد شهود عيان حضر مجلسا رد فيه ابن فروخ على سائل سأله عنهم (أي المعتزلة)، فيقول (أي هذا الشاهد): "فوالله لقد كنت معه حتى سئل عن المعتزلة، فقال للسائل: وما سؤالك عن المعتزلة؟فعلى المعتزلة لعنة الله قبل يوم الدين، وفي يوم الدين وبعد يوم الدين، وفي طول دهر الداهرين، فقال له: وما فيهم قوم صالحون؟ فقال:ويحك وهل فيهم رجل صالح؟"[5].

---

[1] أبو محمد الفارسي، ولد سنة 115 هـ/ 733 م بالأندلس، ثم انتقل إلى القيروان ليستوطنها، إعتبر من مشائخ إفريقية، لقي مالكا والثوري وأبا حنيفة، تعافى عن القضاء لما ولي، توفي على الراجح سنة 176 هـ/792 م بمصر ودفن بها. أبو العرب، المصدر نفسه، 107 - 111. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 176- 187. عياض أبو الفضل عياض بن موسى ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1418 هـ/ 1998 م 1/ 194 - 199. الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: التنوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى، تصحيح وتعليق: إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي بمصر، ط2، 1388 هـ/ 1968 م، 1/ 238 - 248.

[2] كنيته أبو عبد الله، ولد سنة 93 هـ/ 711 م على القول الراجح، وهو من سادات أتباع التابعين وجلة الفقهاء والصالحين ومن أعلام السنة مؤثرا لها عن كل ما يناقضها، إليه ينسب المذهب المالكي لأنه أول من وضع أسسه، توفي سنة 179 هـ/ 795 م. إبن حبان، المصدر نفسه، ص: 223. الشيرازي، المصدر نفسه، ص: 68.

[3] عياض، المصدر نفسه، 1/ 194.

[4] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 107، 108، 109.

[5] عياض، المصدر نفسه، 1/ 198. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 186.

ثم بعده مباشرة أسد بن الفرات[1] الذي يشاطره نفس هذا الموقف، حيث يورد المالكي في حقه العديد من المناسبات التي يرد فيها ردا شنيعا على أهل الإعتزال.

بل ويتعرض لأعلامهم بالضرب،حتى يصل إلى أن يحكم على أحدهمبالكفر والخروج عن الملة[2].

وإن كنا نعتبر بأن بعضا من الأحناف وليس كلهم، والذين سبق لهم أن ترددوا على منطقة المغرب الإسلامي كان لهم ضلع ودور في إدخال الإعتزال إليها[3].

بالتالي فإننا نخلص إلى أن هذا العامل الأخير الذي أفضىإلى مثل هذا الرأي لا يرتقي في التأثير،فيما يخص ظاهرة تواجد وانتشار المذهب الواصلي بالنطاق إلىمصاف العامل الأولالسابق عنه:أي عامل إيفاد الرسل والدعاة من قبل علماء المذهبالمستقرين بالمشرق[4].

2ب – الأماكن الأولى لتواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الإسلامي

أما الخوض في الإجابة على التساؤل الفارط الذكر، والمتمثل في الأماكن الأولى المبكرة لتمركز هذا المذهب بالنطاق، فبعد القراءة المتأنية لنصوص المصادر المتعلقة بهذه النقطة رغم اختلاف مشارب أصحابها وافتراق انتماءاهم من: سنية إلى شيعية فإعتزالية والجمع بين الرواياتما أمكننا ذلك، بغية تلمس نقاط الائتلاف والإختلاف فيما يخص عناصرها المتعلقة بهذا المبحث، ما دامت تلك الروايات يضيق ويتناقص عدد مصادرها كلما رجعنا وعدنا بها إلى الوراء وقد تصير أحادية المصدر.

إذن عبر هذا المنهج واتباعا للمسلك والكيفية المذكورة ذاتها أعلاه، فإننا قد توصلنا إلى رصد أماكن محدودة جدا ومعلومة وصل إليها المعتزلة بالمغرب الإسلامىووجدوا علىأراضيها لا تتعدى الثلاثة.

---

[1] كنيته أبو عبد الله، ولد سنة 142 هـ/ 759 م، عد ثقة سليما من البدع وصاحب علم وفقه، سمع الموطأ عن الإمام مالك وغيره...كان متمكنا في المذهبين الحنفي والمالكي، تولى قضاء إفريقية سنة 203 هـ/ 818 م، توفي بصقلية سنة 213 هـ/ 828 م جراء جراحات أصيب بها وهو يقاتل. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 163 - 166. المالكي، المصدر نفسه 1/ 254 - 273. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 3 - 26. إبن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرح وضبط وتقديم: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424 هـ/ 2003 م، 1/ 231.

[2] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 254، 255، 264، 265.

[3] هذا ما قال به المجدوب مشفعا رأيه بقرائن معقولة وواقعية. عبد العزيز المجدوب، المرجع نفسه، ص: 65، 66.

[4] المرجع السابق، ص: 65، 66.

2ب1- تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الأوسط

بالمغرب الأوسط يقينا،وقريبا جدا من تيهرت[1]، حيث يليها هذا المكانمباشرة[2]؛ بل هناك من ذكر لهذا المكان إسما حين نعته بأيزرج[43]،فضلا عن وسمه بنعت آخر وهو لفظ البيضاء[65]، لا للعمامات البيضاء التي عرف بها أهلها وهم المعتزلة، كما ذهب إلى ذلك الباحث محمود إسماعيل[7] من غير سند أو دليل.

بل ربما لثيابهم ذات اللون الأبيض التي كانوا يرتدونها طلبا للأجر من عند الله سبحانه وتعالى، وتمسكا بالسنة التقريرية الصحيحة،والمتمثلة في رضا النبي(صلى الله عليه وسلم)"حين رأى...على عمر(رضي الله عنه)ثوباأبيضا...فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): بْلَِ سْ جَدِيدًا، وَعِشْ حَمِيدًا، وَمُتْشَهِيدًا..."[8].

وكذلك إشعارا منهم للتميز عن سائر أتباع المذاهب العقدية الأخرى،وإحياء لما كان عليه سلف الأمة،ومخالفة عملية لما ابتدعه العباسيون في نظرهم من لبس السواد[9].

لقد ذكرت بعض المصادر المتنوعة الموضوعات من:تاريخية وجغرافية فتراجميةبأنه كان يرابط بهذا المكان ويتخذه قاعدة له عدد ليس بالقليل ممن يحمل أفراده

---

[1] أوتاهرت إحدى مدن المغرب الأوسط المشهورة، أسسها الرستميون وتقع على طريق المسيلة من تلمسان، بينها وبين المسيلة ست مراحل (علما بأن المرحلة تقدر بيوم أو أربعين كيلومتر)، كما تعرف بالمحدثة تمييزا لها عن القديمة. إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 86. الحموي، المصدر نفسه، 5/ 124. الحميري، المصدر نفسه، ص: 126.
T.H. Bianquis et C.E. Booworth et E. Van Donzel et W.P Henricho, Encyclopédie de L'islam: établie avec le concours des principaux orientalistes, Leiden, Brill, 1998, 10/107, 108.
محمد رواس...المرجع نفسه، ص: 343.

[2] البكري، المصدر نفسه، 2/ 249. الحموي، المصدر نفسه، 2/ 8. إبن خرداذبه، المصدر نفسه، ص: 88. اليعقوبي المصدر نفسه، ص: 356.

[3]لم نجد من ذكره من أصحاب المصادر الجغرافية إلا ابن حرداذبة واليعقوبي، ونفهم من حديثيهما عنه: أنه كان واقعا حتى زمنهما بين تيهرت وتلمسان، وهو إلى تيهرت أقرب جدا، فضلا عن كونه مدينة عظيمة زمن اليعقوبي المتوفى سنة 284 هـ/ 897 م. إبن خرداذبة، المصدر نفسه، ص: 88. اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 356. عبد الرحمان حميدة أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1400 هـ/ 1980 م، ص: 145.

[4] إبن خرداذبة، المصدر نفسه، ص: 88. اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 356.

[5] لم نعثر على من عرف بها، فضلا عن عدم ذكرها في المصادر الجغرافية المنشورة المتداولة بيننا.

[6] البلخي، المصدر نفسه، ص: 67، 109.

[7] محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص: 128.

[8] إبن حنبل أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين: مسند عبد الله بن عمر، بيت الأفكار الدولية الرياض، ط 1419 هـ/ 1998 م، ص: 439، حديث رقم: 5620. إبن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه كتاب اللباس، باب ما يقوله الرجل إذا لبس ثوبا جديدا، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط 29 جمادى الآخرة 1420 هـ/ 9 تشرين أول 1999 م، ص: 384، حديث رقم: 3558. والحديث صحيح ما دام مذكورا في عداد سلسلة الأحاديث الصحيحة للمحدث الألباني. محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، إعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1425 هـ/ 2004 م، 2/ 8، 9، حديث رقم: 3011.

[9] المقدسي، المصدر نفسه، ص: 191.

السلاحويصطحبون معهم الخيام قدروا بثلاثين ألفا[1]،في حين رفعهم مصدر آخر إلى رقم مرتفع جدا فأوصلهم إلى مائة ألف[2].

لقد كان يشرف على قيادة هذه الجماعة وقتئذ شيخ لها،سماه الجغرافي ابن خرداذبه بإبراهيم بن محمد البربري المعتزلي[43]،وإن ذكر على أنها خضعت لإمامة بنيرستم مدة،وسلمت لهم بالخلافة عن طواعيةواختيار[5].

حيث نرجح بأن ذلك قد تم بالتحديد في عهد الإمام الرستمي أبي اليقظان[6]:محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم،الذي حكم من241هـ/855 م حتى281هـ/894م[7]،بدليل بلوغ الإمارة الرستمية المكانة المتميزةمن: القوة والإستقرار في كل أوضاعها خلال المدةالزمنية المذكورة بالذات[8].

بل وجد المذهب الواصلي بهذا المكان تحديدا قبل حكم هذا الإمام الرستميإذ يدل على ذلك ما انفرد به المؤرخ ابن خلدون من بين كل من تكلم في هذه النقطة، بإيرادهأقدم تاريخ لتواجده بهذا المكان،فقال ما نصه حرفيا:"وزحف [عبد الوهاب][9]سنة ست وتسعين [بعد

---

[1] البكري، المصدر نفسه، 2/ 249. الحموي، المصدر نفسه، 2/ 8. إبن خلدون، كتاب العبر...6/ 123.

[2] البلخي، المصدر نفسه، ص: 67، 109.

[3] لم نعثر على من ترجم له في المصادر التي هي في متناولنا.

[4] إبن خرداذبه، المصدر نفسه، ص: 88.

[5] البكري، المصدر نفسه، 2/ 149. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 123.

[6] لا كما يذكر البكري وابن خلدون "ميمونا" خطأ. المصدر السابق، 6/ 123. البكري، المصدر نفسه 2/ 249.

[7] الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق وفهرسة: أحمد كروم وعمر بازين ومصطفى بن دريسو، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 3، 1423 هـ/ 2002 م، 2/ 310. أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 2 1402 هـ/ 1982 م، ص: 148. الشماخي أبو العباس أحمد بن أبي عثمان، كتاب السير، دراسة وتحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، مارس 2009 2/ 360.

[8] يستنتج ذلك من تصفح مصدر: إبن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1406 هـ/ 1986 م، ص: 85 - 103.

[9] بن عبد الرحمان بن رستم، ثاني حكام الإمارة الرستمية طيلة (171 هـ/ 787 م - 208 هـ/ 823 م). المصدر السابق ص: 43.

المائة]...إلى طرابلس[1]...وكان رأس الإباضية[2]والصفرية[3] والواصلية،وكان يسلم عليه بالخلافة، وكان أتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين ألفا منظواعن[4] ساكنين بالخيام"[5].

نفهم من هذا النص بأن هؤلاء الواصلية كانوا خاضعين للإمام الرستمي عبد الوهاب،شأنهم في ذلك شأن الإباضية والصفرية،حيث تولوه وهم مكرهون:فقدموا له يد الطاعة هذه المرة من غير اختيار ولا طواعية لقوته وغلبته عليهم،بدليل بلوغ هذه الإمارة الإباضية أزهى قوتها وأقصى اتساعها عهده،إذ امتدت إلى نفوسه[6]شرقا،وحاضرة تلمسان غربا،حتى قيل في حق هذا الإمام بأنه"ملأ المغرب بأسره"[7].

وبدليل ظعن هؤلاء الواصلية وانعزالهم ضمن خيام قريبا جدا من تيهرت كما هو مسجل أعلاه،ورفضهم من قبل المجتمع الرستمي لعدم قبولهم ورضاهم بهذا التسلط عليهم والتحكم فيهم،وإن كانوا مقهورين على ذلك كما أسلفنا قوله.

هذا إذن بعض ما دفع الجماعة وأتباعها من المعتزلة إلى التماس الحمايةمن الرستميين،وبالأخص في عهد الإمامين الإباضيين السالفين،فضلا عن الضعف الذي أنسته من نفسها أمام من كان يجاورها ويحيط بها من القبائل الأخرى المخالفة لها في الاعتقاد بطبيعة الحال[8]،لأجل هذا كله اتخذ هؤلاء الواصلية مثل هذا الموقف من السلطة الرسمية عهدي الإمامين عبد الوهاب وحفيده محمد بن أفلح.

2ب2-تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بالمغرب الاقصى

وإن كان مكان تواجده يقع هذه المرة ضمن منطقة جغرافية من مناطق عدة لهذاالمغرب الإسلامي،ألا وهيمنطقة المغرب الأقصى؛ يبعد هذا المكان عن مدينة

---

[1] لفظة يونانية مركبة من „طرا„ ومعناها ثلاث، و„بليطة„ بمعنى مدينة، فيشكل الجمع بينهما معنى ثلاث مدن، مما يدل على أنها كورة هي قصبتها، وهي كثيرة الثمار والخيرات، تشرف على البحر الرومي، بينها وبين نفوسة مسيرة ثلاثة أيام. الحموي، المصدر نفسه، 4/ 25.

[2] سنقف على معناها في مباحث آتية.

[3] سنتطرق إليها لاحقا.

[4]من الظعن بالتحريك، بمعنى السير والتنقل، ويقابله الإقامة. إبن منظور، المصدر نفسه، 4/ 222.

[5] ابن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 123.

[6] أوجبل نفوسة، بينه وبين قفصة مسيرة ستة أيام، به كروم ومياه جارية وأعناب وتين. الحميري، المصدر نفسه ص: 578.

[7] إبن الصغير، المصدر نفسه، ص: 45.

[8] البكري، المصدر نفسه، 2/ 249.

تيهرتوبالاتجاه الغربي عنها،بما مقداره أربعة وعشرون يوما سيرا[1]إلى أن يتم الوصول إلى مدينة طنجة[2] ونواحيها بالمغرب الأقصى،كما سجل ذلك العالم الجغرافي قدامة بن جعفر وواصفا قاطنيه كلهم بالاعتزال،ثم أخيرا مشيدا بشخص ولوه عليهم بالعدل والسيرة الحسنة في نفسه وبين رعيته من قومه وغيرهم[3].

كما أضاف مصدران اثنان معطيات مكملة لذلك،تمثلت في إيراد مؤلفيها بعض عناصر هوية الزعيم المتولى على الجماعة الواصلية تلكبأنه:إسحاق بن محمد بن عبد الحميدالأوربي المعتزلي[54]؛وأنتاريخ ظهور الاعتزال على أرض هذا المكان كان قبل سنة 172 هـ/788 م:زمن قدوم العلوي إدريس بن عبد اللهبن الحسن بن الحسن بن عليبن أبي طالب (رضي الله عنهم) فارا من المشرق[6]إثر ملاحقة العباسيين له،وطالبا منه النصرة والتأييد من قبله ومن قبل قبيلتهاأوربة[7] القوية الشكيمة والشديدة البأس عهدئذ، من أجل تحقيق مشروعهالسياسي.

ومما يؤكد تواجد مذهب الاعتزال بهذا المكان بيتان للشعر - من البحر الطويل - يمدح بهما صفوان الأنصاري[8] واصل بن عطاء بقوله:

---

[1] أو تسعمائة وستون كيلومتر بحساب عصرنا، وهذا حاصل عملية حساب 24 يوما x 40 كلم، ما دام اليوم الواحد وقتئذ يقدر حاليا بـ 40 كلم. محمد رواس...المرجع نفسه، ص: 343.

[2] بلد من المغرب الأقصى قديم يشرف على جبل له إطلالة على البحر الرومي، مشهور بأسواقه وصنائعه وقاطنيه من البربر. المقريزي، جنى الأزهار من الروض المعطار، تحقيق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط 1 1426 هـ/ 2006 م، ص: 115.

[3] قدامة بن جعفر، المصدر نفسه، ص: 265.

[4] كنيته أبو ليلى، وهو كبير قبائل أوربة المنتشرة بالسوس الأدنى في المغرب الأقصى، كان معتزليا هو وقومه، يعتبر أول من استقبل إدريس الأكبر ومكن له بعد أن بايعه على السمع والطاعة، قتله إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر سنة 192 هـ/ 807 م. البكري، المصدر نفسه، 2/ 307. إبن أبي زرع المصدر نفسه، ص: 19، 20.

[5] إبن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ط 1985، ص: 80. البكري، المصدر نفسه 2/ 302.

[6]المصدر السابق، 2/ 302. إبن خلدون، المصدر نفسه، 5/ 15، 6/ 149.

[7] من ولد أورب بن برنس، وهي بطن من بطون البرانس، استقر جمهورها وقتئذ بوليلي ونواحيها من ديار المغرب الأقصى، كان أميرها حتى قدوم إدريس الأول إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الذي أجاره وحمل بربر المنطقة على دعوته. المصدر السابق، 147/6، 149. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني، ببيروت، ط 2، 1402 هـ/ 1982 م ص: 167.

[8] لم نتوصل إلى معطيات عنه بالمصادر المتاحة لنا، اللهم إلا اسمه هذا وقصيدة رد فيها على الشاعر بشار بن برد فيما ذهب إليه من تكفير الصحابة (رضي الله عنهم) لتركهم - في رأيه - مبايعة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وتكفير هذا الأخير (رضي الله عنه) لتركه قتالهم (رضي الله عنهم). البغدادي، كتاب الملل...ص: 54 - 56.

لَ هُ خَلْفَ شَعْبِ الصِينِ فِي كُل ثَغْرَةٍ[1]****إلَى سُوسِهَا[2] الأقصَى وَخَلْفَ البَرَابِ ر

رِجَالٌ دعَـاةٌ لاَ يَفُـلُّ عَـزِيمَـهمْ***تَـهكُمُ جَـبَّـارٍ وَلاَ كَـيـدُ مَـاكِـر[3]

2ب3–تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بإفريقية

بمكان،وهو مدينة القيروان تحديدا،إحدى الحواضر الكبرى بالمغربالإسلامي عهدئذ والمراكز البارزة به:أين يعود تاريخ أقدم تواجد للمذهب الواصلي أو الاعتزالي على أرضها إلى ماقبل سنة 176 هـ/792 م تاريـخوفاة لأعلام ثلاثة كبارممثلين لأهل السنة بها.

فهؤلاء الأعلام هم: عبد الله بن فروح المتوفى في السنة المذكورةأعلاه[4]،وعبد الله بن غانم[5] المتوفى سنة 190 هـ/805 م[6]،والبهلول بن راشد[7] المتوفى سنة 183 هـ/799 م[8]، كلهؤلاء بلا استثناء رفضوا الصلاة على جنازة ابن صخر[9]،لا لشيء إلا لما كان يعتقده ويذهب إليه هذا الأخير في الإعتزال[10].

---

[1] بمعنى أعلى مكان. إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 337.

[2] تقع أقصى جنوب المغرب الأقصى، وتبعد عن سجلماسة باثنتي عشرة مرحلة؛ هي مدن كثيرة وبلاد واسعة، يشقها نهر عظيم ليصب في البحر المحيط يسمى بوادي ماسة أو السوس. اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 329، 331. الإدريسي المصدر نفسه، ص: 78.

[3]الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1424 هـ/ 2002 م، 1/ 51.

[4] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 178.

[5] عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني، يكنى بأبي عبد الرحمان، ولد سنة 129 هـ/ 746 م، سمع من مالك والثوري...عرف بالعلم والعمل وهو صاحب مناقب كثيرة، تولى قضاء إفريقية طيلة عشرين سنة. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 116 117. الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت ص: 235. عياض، المصدر نفسه، 1/ 179 - 185. الدباغ، المصدر نفسه، 1/ 288 - 313. الرقيق القيرواني المصدر نفسه، ص: 191 - 196.

[6] الدباغ، المصدر نفسه، 1/ 312.

[7] أبو عمرو، ولد سنة 128 هـ/ 745 م، إعتبر ثقة مجتهدا ورعا ومتواضعا، وصاحب علم كثير، نعت بأحد أوتاد المغرب كان شديدا على أهل الأهواء والبدع: لا يسلم عليهم ولا يصلي خلف جنائزهم...سمع من مالك وغيره، غلب عليه مذهب مالك، توفي على القول الراجح سنة 183 هـ/ 799 م. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 126 - 138. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 200 - 214. عياض، المصدر نفسه 1/ 188 - 194. إبن فرحون إبراهيم بن نورالدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمود محيي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417 هـ/ 1996 م ص: 166. الدباغ، المصدر نفسه، 1 / 264 - 279.

[8] عياض، المصدر نفسه، 1/ 194.

[9] لا توجد معطيات عنه بالمصادر، اللهم إلا هذا اللقب وانتماؤه للمعتزلة، وإن كنا نعده نحن من أعلامهم مادام أن جنازته قدمت ليصلي عليها كبار علماء القيروان الثلاثة يومها، لأن مثل هذا لا يتأتى إلا من كان كذلك. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 108. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 186. عياض المصدر نفسه، 1/ 198.

[10] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 107، 108. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 186. عياض، المصدر نفسه، 1/ 198.

بعد توصلنا إلى حصر أماكن التواجد المتقدمة في الزمن والمبكرة للمذهب الاعتزالي بمنطقة المغرب الإسلامي في هذه الثلاثة،فإننا نرجح بأن المكان الثاني السابق الذكر والذي يقع بالمغرب الأقصى يعتبر أسبقها وأقدمها،حيث على أرضه انطلقت أول دعوة إلى المذهب الواصلي من قبل الداعية الأول عبد الله بن الحارث المرسل من طرف أبـي حذيفة واصل بن عطاء المقيم بالبصرة،وهذا لدليلين أو قرينتين اثنتين:

الدليل أو القرينة الأولى:والمتمثلة في أن تعلق الاعتزال بهذا المكان يعتبر الأسبق تاريخيا من تعلقه بالمكانين الآخرين،ما دام أنه ارتبط بما قبل سنة 172 هـ/788 م، بدل المكان الأول المرتبط بسنة 196 هـ/811 م، وهي سنة متأخرة عن السابقة كما يلاحظ وبدل المكان الثالث المرتبط بسنة176 هـ/ 792 م المتأخرة هي الأخرى كذلك،وإن بظرف زمني محدود جدا.

الدليل أو القرينة الثانية:والتي تكمن في خروجنا باستنتاج مفاده:أن دعوة ابن الحارث لقيت من غير شك نجاحا كبيرا جدا،يعضد ذلك ويصدقه النص الذي أورده أبو القاسم البلخي حيثيذكر فيه صراحة وبالحرف الواحد عن هذا الداعية بأنه قد "أجابه الخلق"[1].

إذ لا نشك بأن هذا العدد الضخم المستجيب لهذا الداعية والمعبرعنه بـ"الخلق"ينطبق على المكان الثاني فقط بدل المكانين السابقين،حيث قبائل أوربة المعتزلية تبعا لاعتزالية زعيمها إسحاق، كما سجلتذلك النصوص والمصادر السالفة الذكر؛فيكفي للدلالة على عظمة هذهالقبائلما ذكره ابن خلدون عن زعيمهم بأنه هو الذي جمع البربر علـى دعـوة إدريس الأكبر[2]،فأنى لهذا الزعيم ذلك لولم تكن لقبائله تلك الضخامة في العدد والقوة.

لم يقتصر الإعتزال في نطاق المغرب الإسلامي على هذه الأمكنة الثلاثة فقط،بل تعداها إلى غيرها لاحقا،وهذا ما تحدث عنه الجغرافي بن حوقل ذاكرا بأن في أقصى غرب هذا النطاق وتحديدا بأداني سجلماسـة[3]وجد في بعض أهلها "الاعتزال والعلم"[1]وبشرقها،

---

[1] البلخي، المصدر نفسه، ص: 67.

[2] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 149.

[3] بنيت سنة 140 هـ/ 757 م، وتقع على نهر زيز الذي يصب في نهر ملوية (وهذا الأخير يصب في البحر الرومي) ومنقطع جبل درن، هي أول الصحراء وذات رواج تجاري - قام على أساس الذهب- غير منقطع إلى بلاد السودان وسائر البلدان، حاليا تعرف بتافلالت الواقعة جنوب المغرب الأقصى. اليعقوبي، المصدر نفسه، ص: 90. البكري، المصدر

حيث بربر قبيلتي زناتـة[2] ومزاتـة[3] المجاورين لأهل كل من مدن:قسطيلـة[4] وقفصـة[5]ونفطـة[6]والحامة[7]وسماطـة[8] وبشـرى[9] وجبل نفوسة،إذ"الغالبعليهم الاعتزال من أصحاب واصل بن عطاء"[10].

وبوسطها، حيث رصدت مضارب وظعن الجماعة الواصلية، والتي ادعى بعضمنها مرة بأن أفرادها مشركون حين لقياهم جماعة من الخوارج في أحد تنقلاتهم، خشية القتل ردة من قبلهم إذا صارحوهم بأنهم معتزلة أو واصلية، فكان أن أجازوهم إلى مبتغاهم بعد أن أسمعوهم كلام الله تعالى "كمـا أمر[11] [عز وجل ثـم] أنزلوهم وأضافوهم وعلفوهم وأكرموهم وبلغـوهم، ولـم يلزموهم شيئـا"[12].

ما تزايد هذه الأماكن الواصلية بالمغرب الإسلامي إلا دليل وأمارة على انتشار تلك الدعوة فيه بسبب طرق ووسائل...استطاع الدعاة والرسل بواسطتها النفاذ إلى قلوب نسبة ليست بالقليلة من المغاربة أفرادا وجماعات وقبائل وكسبهم إلى صفهم.

ينفرد العالم المعتزلي البلخي بنص قيم، مما يتحتم علينا ذكره حرفيا كما جاء، فيورد خلاله أساليب الدعوة ومراحلها التدريجية التي كان يأمر بها واصل بنفسه رسله ودعاته في هذا الشأن، فيقول: "قال [واصل] له [الداعية]: إلزم سارية من سواري المسجد سنة تصلي

نفسه، 332/2، 333. إبن سعيد، المصدر نفسه ص: 124. الحموي، المصدر نفسه، 3/ 192. إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1983، ص: 43.

[1] إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 102، 103.

[2] نسبة لزناتة وهو شانا بن يحيى بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جنداود بن يملا بن مادغس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان، وفي رواية بربر. إبن حزم، المصدر نفسه، 2/ 495 - 498. القلقشندي، المصدر نفسه، ص: 176 - 177.

[3] هم بطون كثيرة إذ شكلوا أغلبية لواتة من البرابرة البتر. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 118.

[4] هي بلاد تقع بإفريقية تضم مدنا عدة وتوزر أكبرهم، أما ما وراء هذه البلاد فرمال. البكري، المصدر نفسه، 2/ 225 - 226.

[5] بلدة صغيرة تقع في طرف إفريقية من الناحية الغربية، وهي من مكونات عمل الزاب الكبير. البغدادي، مراصد... 3/ 1113.

[6] إحدى مدن إفريقية، وهي من أعمال الزاب الكبير، تقع بين كل من توزر ونفزاوة، إذ لا تبعد عنهما إلا بمرحلة. المصدر السابق، 3/ 1382.

[7] ضبطها البكري بـ "الحمة"، وهي مدينة من مدن عدة لبلاد قسطيلية بإفريقية. البكري، المصدر نفسه، 2/ 225.

[8] إحدى مدن إفريقية من نواحي البادية على طريق سجلماسة. إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 93.

[9] ضبطت بـ "بشر" عند المقريزي، وهي قرية عامرة من أعمال بسكرة، تبعد بأربعة مراحل عن بجاية. المقريزي المصدر نفسه، ص: 69.

[10] إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 96.

[11] مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ...﴾ الآية: 6 من سورة التوبة.

[12] المصدر السابق، ص: 103.

عندها حتى يعرف مكانك، ثم أفت بقول الحسن [البصري] سنة، ثم إذا كانيوم كذا وكذا من شهر كذا فابتدئ في الدعاء للناس[1] إلى الحق، فإني أجمع أصحابي في هذا الوقت، ونبتهل في الدعاء لك والرغبة إلى الله، والله ولي توفيقك"[2].

إن التنوع في مثل هذه الوسائل والطرق الدعوية للاعتزال تبعا: لتوقيت محدد لكل نوع منها، ووفق تدرج وسير مرحلي معين، كان بطبيعة الحال أمر مخطط له ومقصود منه تحقيق الآتي:

الأمر بداية بإظهار الجانب العملي من الإسلام وبالأخص الصلوات، لأنهاتربعلى أصحابها، وكونها من فروض الأعيان[3] في شريعة الإسلام التي يجبعلى كل مسلم أن يقوم بها حتى تبرأ ذمته أمام الله عز وجل، لا كفروض الكفاية التي إن أتى بها البعض سقطت عن البعض الآخر.

فضلا عن اعتبارها العبادة العملية الوحيدة في الإسلام الواجب شرعا إنجازها وتأديتها مع جماعة المسلمين، ضف إلى ذلك الحفاظ عليها وعلى توابعها من نوافل ورواتب وسنن مرفقة بشروط وأوصاف وآداب محددة...زد على ذلك المواظبة عليها طيلة هذه المدة التي لا تقل عن حول كامل.

كل هذا لا لشيء إلا لكسب مصداقية الإيمان والتقوى...للشخص الداعية المباشر لمثل هذه السلوكيات الدينية المتدرجة، إذا أراد بداية أن يهيئ نفوس وقلوب من يريد دعوتهم للإقبال على كل ما سيدعوهم إليه والاستجابة له.

وبالطبع فإن تلك السلوكيات الفعلية بالذات لا تكفي، بل لابد من إتباعهابمرحلة تالية قولية: ألا وهي مرحلة التكلم والإفتاء متى استفتي هذا الداعية، وهي مرحلة انتقالية بين الجانب العملي وبين الجانب الدعوي صراحة،حتى يسمع لكل ما يقوله أي داع، ويتبع في حالة الدعوة والتبشير بالمذهب المراد نشره، شريطة التقيد بفتاوى لمدرسة فقهية وعقدية معينة اعتبرت وقتها محل ثقة المدعوين.

[1] الأسلم لغة هو "دعاء الناس" بدل "الدعاء للناس" حتى يستقيم المعنى.

[2] البلخي، المصدر نفسه، ص: 67 .

[3] مفرده "فرض عين" أو "فرض عيني"، وهو ما طلب فعله من المكلفين كل واحد على حدة، بحيث لا يجزئ قيام مكلف به عن الآخر: كالصلاة والزكاة والصوم والحج...محمد زكي عبد البر، الحكم الشرعي والقاعدة القانونية، دار القلم الكويت، ط 1، 1402 هـ/ 1982 م، ص: 41.

لأنها فعلا المدرسة الغالبة بالمغرب الإسلامي ومشرقه عهدها، حيث كانت على رأسها شخصية دينية بارزة جدا تمثلت في الحسن البصري، لذا وجب عدمالحياد عن أقواله وآرائه، فضلا عن طرق أخرى مستعملة ووسائل غيرها متبعةمن طرف المذهب سنتطرق إليها في ثنايا هذا البحث لاحقا.

وكيف لا يسمع هؤلاء الدعاة والرسل لكل ما يقوله ويأمر به مرجعهم الأولوأحد منظري مذهبهم أبو حذيفة واصل بن عطاء، ويمتثلون لجميع ما يلزمهم به، وهم الذين أشربوا في قلوبهم حبه، فتأثروا به تأثرا مفرطا ومنقطع النظير.

يستشف كل ذلك من قول أحدهم وهو عمرو بن عبيد، وما أدراك ما عمرو بن عبيد هذا علما وعملا ومنزلة عند القوم، حين يذكر واصلا فيثني عليه وهو في حالة بكاء واغروراق عينيه بالدمع: "[لقد] كان لي رأسا وكنت له ذنبا، والله ما رأيت أعبد من واصل قط! والله ما رأيت أزهد من واصل بن عطاء قط! والله ما رأيت أعلم من واصل بن عطاء! والله الذي لا إله إلا هو لصحبت واصل بن عطاء ثلاثين سنة - أو قال عشرين سنة - ما رأيته عصىالله قط"[1].

حتى أنك لتجد شاهدا جليا على ما أكنه الأتباع من الطاعة الطوعية الكاملة، وبلا حدود لكل ما يصدر عن واصل بن عطاء هذا فيما سجله الجاحظ في بيانه نظما عبر بيتين من البحر الطويل، فقال:

إِذَا قَالَ مُرُوا فِي الشِّتَاءِ تَطَوّعُوا***وَإِنْ كان صَيْفٌ لَمْ يُخَفْ شَهْرُ نَاجِرِ[2]

بِهَجِيرَةِ أَوْطَانٍ وَبَذْلٍ وَكُلْفَةٍ*** وَشِدَّةِ أَخْطَارٍ وَكَدِّ المُسَافِرِ[3]

كما لا ننسى في نهاية هذه النقطة أن نأتي على ذكر أحد العوامل المهمةلنجاح وانتشار الدعوة الواصلية بنطاق المغرب الإسلامي، والمتمثل فيما امتازوانفرد به مثل هؤلاء الدعاة من: إيمان وصبر قويين، وجلد كبير، وعلوم غزيرة في الدين والبيان والجدل وكل ما صار عهدها أداة وآلة ضرورية للدعوة المؤثرة الناجحة، حتى قال شاعرهم مجملا هذه الشمائل وغيرها...في شعر من البحر الطويل ما نصه:

---

[1] المصدر السابق، ص: 67.

[2]الشهر الناجر هو أشد شهور السنة حرارة، لأن الإبل تنجر فيه: أي يشتد عطشها حتى تيبس جلودها. إبن منظور المصدر نفسه، 6/ 143.

[3] الجاحظ، المصدر نفسه، 1/ 25.

فَأَنْجَحَ مَسْعَاهم وَأَثْقَبَ[1] زَنْدَهُمْ[2]***وَأَوْرَى[3] بِفَلْجٍ[4]لِلمُخَاصِمِ قَاهِرِ

وَأَوْتَادُ أَرْضِ اللهِ فِي كُل بَلْدَةٍ***وَمَوْضِعُ تيَاها وَعِلْمِ التَّشَاجُرِ

وَمَا كَانَ سَحْبَانٌ[5] يَشُقُّ غُبَارَهُمْ***وَلاَ الشُّدْقُ[6] مِنْ حَيَيْ هِلاَلِ بْن عَامر[7]

وَلاَ النَّاطِقُ النَخّارُ[8]وَالشَّيْخُ دَغْفَلٌ[9]***إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهبِ المَخاصِرِ[10]

وَلاَ القَلاَئة الأَعَوْنَ رَهطُ مُكَحَّلٍ[11]***إِذَا نَطَقُوا فِي الصُّلْحِ بَيْنَ العَشَائِرِ

بِ جَمْعٍ مِنَ الجُفَّيْنِ[12] رَاضٍ وَسَاخِطٍ***وَقَدْ زَحَفتْ بُدّاؤُهمْ[13] لِلْمَحَاضِرِ[14][15]

---

[1] من أثقب النار بمعنى أوقدها. الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1986، ص: 36.
[2] الزند هو العود الذي يقدح به النار. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 285.
[3] من ورى الزند يري بالكسر (وَرْيا): بمعنى خرجت ناره. الرازي، المصدر نفسه، ص: 299.
[4] الفلج هو الظفر والفوز. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 202.
[5] هو اسم رجل من وائل، ضرب به المثل في الفصاحة والبيان، لأنه كان لسنا بليغا، فيقال أفصح من سحبان وائل. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 251.
[6] مفرده أشدق بمعنى بليغ. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 897. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 409.
[7] هو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر؛ ومن بطون بني هلال: بنو فروة وبنو بعجة وبنو حرب وبنو رياح. إبن حزم، المصدر نفسه، 1/ 273، 275.
[8] لم نقف على ترجمة له إلا حوار دار بينه وبين معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما). إبن قتيبة، عيون الأخبار تعليق: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1424 هـ/ 2003 م، 1/ 414. المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، 1422 هـ/ 2002 م 2/ 413.
[9] علي وزن جعفر، وهو حنظلة بن يزيد السدوسي أحد كبار النسابين، مخضرم ولا تصح له صحبة، غرق بفارس وهو يقاتل قبل سنة 60 هـ/ 679 م. إبن حجر، تقريب التهذيب، دراسة: محمود عوامة، دار الرشيد، حلب، ط 4، 1418 هـ/ 1997 م، ص: 201.
[10] مخاصر الطريق: أقربها. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 385.
[11] هو الصحابي الجليل عمرو بن الأهتم (رضي الله عنه)، أسلم بعد سنة 9 هـ/ 630 م، عرف عنه قرض الشعر، إشتهر بالمكحل لجماله. إبن سعد، المصدر نفسه، 7/ 27. الجاحظ، المصدر نفسه، 2/ 40 237.
[12] الجف في اللغة هو قشر الطلعة، والمقصود بالجفين قبيلتا بكر وتميم. المصدر السابق ، 1/ 25.
[13] كقوم بداء: أي بادون، حيث يكونوا في البادية ومسكنهم المضارب والخيام. إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 179.
[14] مفرده محضر، ومعناه: المرجع إلى المياه. المصدر السابق ، 2/ 103. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 376.
[15] الجاحظ، المصدر نفسه، 1/ 25.

الفصل الثاني

الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي– الإدريسي وانعكاساته بالمغرب الأقصى

1 - الأصول العقدية الكبرى للمذهب الواصلي أو المعتزلي

1أ- الأصلان العقديان الكبيران المتعلقان بذات الخالق في المذهب الواصلي أو المعتزلي

1ب- الأصول العقدية الكبرى الثلاثة المتعلقةبذات المخلوق في المذهب الواصلي أو المعتزلي

2- ماهية المذهب العقدي للأدارسة بالمغرب الأقصى

2أ- إختلاف الآراء حول مذهبية الأدارسة العقدية بالمغرب الأقصى

2ب- ترجيح سنية مذهبية الأدارسة العقدية بالمغرب الأقصى

3- المجال السياسي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – الإدريسيوانعكاساته بالمغرب الأقصى

3أ- المجال السياسي للصراع المذهبي العقديالواصلي أو المعتزلي– الإدريسي بالمغرب الأقصى

3ب-إنعكاسات الصراعالمذهبي العقديالواصليأو المعتزلي– الإدريسي بالمغرب الأقصى

1 – الأصول العقدية الكبرى للمذهب الواصلي أو المعتزلي

ما تميز ويتميز به أي مذهب عقدي عن آخر إلا بعقائده الكبرى الثابتة التي لا تتغير أو تتبدل، وإن تبدلت الأمكنة والأزمنة والأشخاص، إذ هي بمثابة الحدود الفاصلة بين جميع المذاهب العقدية والمفرقة لكل منها: فلا تعرف إلا بها ولا يتبين أتباعها إلا من خلالها.

إنها أصول خمسة كبرى انفرد بها المذهب العقدي الاعتزالي، واستقل بها عن سائر المذاهب العقدية الأخرى المتواجدة بالمغرب الإسلامي وقتئذ، مقصودة بعددها وترتيبها التنازلي كذلك، حتى ذكر الخياط وهو أحد أعلام المذهب البارزين وبصراحة: أن لا أحد يستحق صفة المعتزلي إلا بعد تبنيه لأصولها الخمسة مجتمعة كلها[1].

لقد أفرد القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى في سنة 415هـ/1024م لهذه الأصول مؤلفا خاصا يعتبر عمدة عقائد مذهب القوم أطلق عليه عنوان "شرح الأصول الخمسة"، وهو الآن مطبوع وموفور عبر المكتبات[2].

إن جمع هذه الأصول العقدية الكبرى وحصرها في خمسة من: توحيد–وعدل–ووعدووعيد–ومنزلة بين المنزلتين-وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، حيث لا يزاد عليها ولا ينقص منها، جاء بقصد ولم يأت هكذا عبثا، بحكم كونها من منظور المعتزلة أصحابها قد استوعبت أصول الدين الرئيسة والعقائد الكبرى عندهم، بالتالي فهي تعتبر عقائد „جامعة مانعة‟–كما يقول المناطقة –فيما يخص هذا الشأن، فضلا عن تحديها للمخالفين وتقديمها الإجابات „الشافيةالكافية‟ على الاشكالات المثارة من قبلهم.

فبالأصل الأول: ألا وهو التوحيد يتصدى لـ„شبه ومخالفات‟ فرق ومذاهب الملاحدة[3] والمعطلة[4] والدهرية[5] والمشبهة[6].

---

[1] الخياط، المصدر نفسه، ص: 126.

[2] عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط 1990، جزآن، فضلا عن طبعات أخرى له.

[3] من سلكوا طريق "الإستخفاف والإهمال واطراح ثقل الشرائع، والقيام بالفرائض والعبادات، وآثروا الراحات وركوب جميع أصناف اللذات بلا قيد أو ضابط". ابن حزم، الفصل...2/ 93.

[4] من التعطيل بمعنى التخلية والترك لغة، أما اصطلاحا: هو إنكار ما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات، سواء كان هذا التعطيل كليا أو جزئيا، وسواء كان ذلك بتحريف أو بجحود. محمد بن صالح العثيمين، المرجع نفسه، ص: 60.

[5] أو الطبيعيون، الذين ألفوا المحسوس وركنوا إليه، وظنوا أنه لا عالم سوى ما هم فيه من مطاعم ومناظر ولذات محسوسة...ولا عالم وراء ذلك. الشهرستاني، المصدر نفسه، 2/ 93.

[6] وهم صنفان: صنف شبه ذات الله تعالى بذوات غيره، وصنف ثان شبه صفاته تعالى بصفات غيره، وأن كل صنف منهما انقسم إلى فرق شتى. البغدادي، الفرق بين الفرق، ص: 225، الإسفراييني، المصدر نفسه، ص: 119.

وبالأصل الثاني: المتمثل في العدل الذييوقف به في وجوه كل فرق المجبرة بغية التصدي لهم فكريا.

وبالأصل الثالث: الذي يكمن في الوعد والوعيد تتحدى مطارحات تيارات المرجئة.

وبالأصل الرابع: حيث المنزلة بين المنزلتين „تدحض„ جميع مناقضات نحل الخوارج.

وبالأصل الخامس والأخير المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يناقش ويجادل „بنجاح„ خصوصا ملل ونحل الشيعة[1]خصوصا[2].

1أ – الأصلان العقديان الكبيران المتعلقان بذات الخالق في المذهب الواصلي أو المعتزلي

لكونهما قائمين بذات الخالق جل وعلا، فما على المكلف إلا أن يعتقد فيهما اعتقادا جازما لا يعتريه أي شك أو شبهة ألبتة.

الأصل الأول: التوحيد

أما الحديث عن جعل المعتزلة أصل التوحيد على رأس سلم المنظومة العقدية في مذهبهم وأول ما يبدأ به عندهم، فلأن العلم به يعد بإجماع علماء ملتهم بل الملل الإسلامية غالبا أشرف العلوم وأنفعها: ما دام أنه ما اكتسب هذا الشرف إلا بشرف المعلوم وموضوع الدراسة، ألا وهو ذات الله سبحانه وتعالى وكل ما تعلق بها من الصفات والأسماء وغيرها...[3]

بل ولقد اعتبر الإمام ابن تيمية أحد الضالعين في علوم الدين الإسلامي وخصوصا العقائد منها: التوحيد بأنه "أصل الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب وحصلته النفوس، وأدركته العقول"[4].

لكن قبل الخوض في بيان المفهوم الاصطلاحي للتوحيد عند المعتزلة والكلام عن مسائلهوموضوعاته، يجب أن ننبه إلى قضية مهمة جدا ميزتهم وفارقت بينهم وبين سائر

---

[1] سنتعرف على دلالة هذا اللفظ لاحقا.

[2] عبد الجبار، المصدر نفسه، 1/ 50.

[3] تبعا لعبارة مشهورة باستفاضة في التراث الديني الإسلامي بأن „شرف العلم من شرف المعلوم„، ولما درجت عليه كتب التوحيد والعقائد بالنسبة لغالبية الفرق الإسلامية من إيرادها نحو هذا المعنى في معرض بيانها لمكانة وأهمية علم التوحيد.

[4]إبن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموعة الفتاوى، دار ابن حزم، ط 1، 1418 هـ/ 1997 م، 5/ 8.

المذاهب العقدية الإسلامية الأخرى كلها،ألا وهي قضية دور العقل وموقعه في التعامل مع النصوص الدينية.

فالعقل عند المعتزلة يعتبر المقياس الأوحد والمعتد به حصريا في كل ما ذهبوا إليه وخرجوا به من أحكام، لا النقل أو السمع (النص الديني)، إذ لا يشك أحد بأنهم قد بالغوا كثيرا في تقدير مهمة ووظيفة العقل، حتى أن المتتبع بالدراسة للمذهب يجد بصمته شاخصة بالأساس في كل ما خاضوا فيه من مسائل وقضايابلا استثناء.

هكذا إذن صار العقل عندهم رأس كل خير، وصاحب الريادة الأحادية لكل من أمور الدنيا والدين ليعد العمدة والأساس لجميع ما يتعلق بهما، حتى قال عنه أحد نبهائهم معبرا عن ذلك: "أن لكل فضيلة أسا، ولكل أدب ينبوعا، وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا وللدنيا عمادا، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه مع اختلاف هممهم ومآربهم وتباين أغراضهم ومقاصدهم وجعل ما تعبدهم به قسمين: قسما وجب بالعقل فوكده الشرع، وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع، فكان العقل لهما عمادا"[1].

فالعقل وفق النظرية الاعتزالية هو أصل الحجج كما ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي، والمحكم على النقل (من كتاب وسنة وإجماع)، لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل، وبه يعرف هذا النقل هل هو حجة أم لا، ويميز بين المذموم من المكلف فيعاقب والمحمود فيجازى، كما يعرف الإله والرسول وما جاء به[2].

أما فيما يخص الدلالة الاصطلاحية للتوحيد عند القوم، فقد أجمع علماؤهم قاطبة على اعتباره من هذه الوجهة تجريدا وتنزيها للذات الإلهية عن التشبيه والمماثلة لغيره من المخلوقات إطلاقا ومن كل وجه، وعن كل ما يوهم تعدد القدماء من الصفات، فنفوا بذلك أية صفة أزلية قديمة إلا ذاته، بالتالي فما ثمة هناك إلا ذات واحدة ليسإلا[3]، حتى أنهم

---

[1] الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، تحقيق: طه الشيخ، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط 2، 2010 م ص: 7.

[2] عبد الجبار، طبقات المعتزلة...ص: 139.

[3] البلخي، المصدر نفسه، ص: 63. عبد الجبار، المصدر نفسه، ص: 133، 140، 147، 148، 149، 347. عبد الجبار شرح الأصول الخمسة، 1/ 93 - 216. الأشعري، المصدر نفسه، 1/ 235، 236، 238. الإسفرايني المصدر نفسه، ص: 63، 64. السكسكي، المصدر نفسه، ص: 50.

وصلوا فيتحليلهم وفلسفتهم لهذا الأصل إلى أقصى حد، وبلغوا قمة قصوى من التجريد إن على مستوى الفكر الإسلامي أو الإنساني[1].

إننا لا نستطيع أن نفهم هذا التوحيد إلا إذا فهمنا لوازمه، والتي عدت أهم مباحثه ومسائله، حيث ارتكز عليها ونشب حولها نزاع فكري حامي الوطيس عهدها، وهي: ماهية علاقة الذات بالصفات؟ وهل القرآن الكريم مخلوق؟ وأخيرا هل يرى الله عز وجل بالأبصار في الآخرة؟

لقد اتفق رؤوس الاعتزال جميعهم على القول بأن الصفات التي وصف الله جل وعلا بها نفسه في كتابه، ووصفه بها رسوله (صلى الله عليه وسلم) في سننه هي عين الذات لا غيرها، فمثلا: إذا وصف الله تعالى نفسه بالعلم، فهو هنا عالم بذاته لا بعلم مستقل عن الذات، وهكذا فيما يخص جميع الصفات الأخرى التي وصف بها[2].

لأن ذلك عندهم هو المخرج فيما يخص هذه المسألة إذا أريد تفادي تعدد القدماء (لتعدد الصفات كما قالوا)، والوقوع في الشرك بالله عزوجل لتعدد الآلهة[3]، هذا إذن على مستوى العقل.

أما على مستوى النقل أو السمع، فإنهم (أي المعتزلة) "يؤوّلون"الصفات[4] سواءكانت من صفات الذات التي لم يزل الله تعالى ولا يزال موصوفا بها، أو صفات الفعل التي وجدت بعد وجوده تعالى[5]، لا لشيء إلا لأنها في نظرهم توهم التشبيه والجسمية والحركة والتحيز... وكل لوازم المحدثات.

فيما يخص قضية أو مسألة كلام الله تعالى، والمتمثل في القرآن الكريم فقد ذهبالمعتزلة جميعهم إلى القول والاعتقاد بمخلوقيته[6]، لنفس علة الصفات المذكورة،مادام

---

[1] محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق بالقاهرة وبيروت، ط 2، 1418 هـ/ 1997 م، ص: 49. أحمد أمين ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 10، د. ت، 3/ 22.

[2] عبد الجبار، طبقات المعتزلة، ص: 347.

[3] إبن حزم، المصدر نفسه، 2/ 17.

[4] بغية الوقوف على أمثلة كثيرة من قبيل "التأويل"للصفات عند المعتزلة، يرجع إلى: عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، 1/ 156 - 159. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، تفسير الكشاف على حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، خرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1426 هـ/ 2005 م. بل هذا المصدر هو من أفضل المراجع وأوسعها خصوصا في تناول مسألة الصفات عند المعتزلة: ما دام أنه تفسير للقرآن الكريم ومفسره هو أحد فطاحلتهم وأعلامهم الكبار، فضلا عن كون هذه الطبعة محققة ومعلق عليها ومخرجة أحاديثها.

[5] عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، يناير 1979، 1/ 612.

[6] الإسفرايني، المصدر نفسه، ص: 64. الأشعري، المصدر نفسه، 1/ 267 - 269. ابن حزم، المصدر نفسه، 3/ 5.

اعتبار كلامه عز وجل صفة كسائر كل الصفات.

وبالنسبة للمسألة الأخيرة من مسائل هذا الأصل، ألا وهي مسألة رؤية الله تبارك وتعالى بالأبصار لأهل طاعته في الآخرة، فإن علماء المعتزلة تطابقوا جميعهم على نفيها وقالوا بانعدام وقوعها تماما، لأن الله تعالى ليس بجسم فيقبل الرؤية[1]، هذا من ناحية العقل أما من ناحية السمع أو النقل فاشتراك الألفاظ ومجازاتها...وتأويلاتها لاشك أنها تسع مسموعات ونصوص المسألة عندهم[2].

الأصل الثاني: العدل

ثم يأتي أصل العدل في المرتبة الثانية بعد أصل التوحيد الذي مر معنا من حيث الأهمية، لأنه متعلق بأفعال الله سبحانه وتعالى، والوارد لاحقا وبشكل مباشر بعد صفات: القدرة-والعلم - والحياة...المرتبطة بالتوحيد عند القوم من المعتزلة.

فما دامت الأحدية هي أهم صفة للذات الإلهية، فإن العدل هو أهم صفة للفعل الإلهي لذا جعلوه في مرتبة تلي أصل التوحيد، فضلا عن اعتباره "رأس الفضائل التي تحكم الأفعال المتعدية إلى الغير"[3]؛بالتالي فلا نعجب إذا وجدنا من الباحثين المختصين من ينعتهم ويلقبهم بـ "أهل العدل والتوحيد"[4]، لا لشيء إلا لما أولته عقائد المذهب من مركز ومكانة لهذا الأصل بعد أصل التوحيد.

يوضح لنا المؤرخ والجغرافي المسعودي ذلك الفكرالمعتزلي ونظرته إلى العدل الإلهي بقوله: "أن الله لا يحب الفساد، ولا يخلق أفعال العباد...وأنه لا يأمر إلا بما أراد، ولم ينه إلا عما كره...لم يكلفهم [المكلفين] ما لا يطيقونه...وأن أحدا لا يقدر على قبض ولا بسط إلا بقدرة الله التي أعطاهم إياها...يفنيها إذا شاء ويبقيها إذا شاء، ولو شاء لجبر الخلق على طاعته...غير أنه لا يفعل"[5].

كما أن هذا الأصل لا يكتمل فهمه عند المعتزلة إلا إذا استجليت أركانه وبينت بيانا

---

[1] عبد الجبار، المصدر نفسه، 1/ 161. إبن حزم، المصدر نفسه، 2/ 3 .

[2]عبد الجبار، المصدر نفسه، 1/ 162 - 199 .

[3] أحمد محمود صبحي، المرجع نفسه، 1/ 141.

[4] محمد عمارة، المرجع نفسه، ص: 59.

[5]المسعودي، المصدر نفسه، 3/ 210، 211.

مستفيضا[1]، وإن كان يمكننا حوصلتها في: نفي صدور كل ما هوقبيح عن الله جل وعلا وإثبات اللطف الإلهي الذي من مظاهره العقل، وأن أفعال الله تعالى تهدف إلى غايات محمودة، وإثبات حرية الإرادة الإنسانيةمما يجعل المكلف مسؤولا عن كل أفعاله الإرادية بالطبع، وأن التحسين والتقبيحعقليان لا شرعيان (أي أن الذي يبث ويحكم بهذه الصفة أو تلك،فيعتبر إحداها على الأخرى هو العقل لا الشرع أو النقل).

1ب- الأصول العقدية الكبرى الثلاثة المتعلقة بذات المخلوق في المذهب الواصلي أو المعتزلي

والقائمة بالمخلوق المكلف ذاته لا الخالق، فضلا عن وجوب الاعتقاد بهااعتقادا يقينيا: حيث لا يشوبه شك أو تعتريه شبهة تماما.

الأصل الثالث: الوعد والوعيد

لقد استحق هذا الأصل تلك المكانة بالتحديد،لأنه يتفرع عن الأصل السابق،فهو إما ثمرة من ثمار الطاعة وجزاء لها بالمقابل،لذا حق وصفه وإطلاق تسمية الوعد عليه،وإما حصاد معاص وعقوبة عليها حق وصفها وإطلاق نعت الوعيد عليها، بالتالي فإن هذا كله من مقتضى العدل الإلهي،الَذي من لوازمه: وجوب إنجاز ما وعد به سبحانه (الوعد) واستحالة تخلف ما أوعد به سبحانه (الوعيد).

وخلاصة القول أن مفهوم هذا الأصل عند القوم يكمن في كون وعد الله عز وجل لمطيعيه بالثواب، ووعيده لمن يعصونه من المكلفين بالعقاب واقعين وحاصلين لا محالة[2].

وكأني بالمعتزلة وانطلاقا من هذا الأصل قد شرعوا بداية للتدخل في السياسة، هذا التدخل الذي سنجده بارزا بروزا أكثر عبر الأصلين الآتيين تحت هذا الغطاء الفكري الإيديولوجي أو العقدي.

الأصل الرابع: المنزلة بين المنزلتين أو الأسماء والأحكام

---

[1] للوقوف عليها ولو بطرح فلسفي عميق، يرجع إلى: عبر الجبار، المصدر نفسه، 2/ 3 - 261. وبطرح مبسط جد سهل يرجع إلى: أحمد أمين، المرجع نفسه، 3/ 44 - 61. أحمد محمود صبحي، المرجع نفسه، 1/ 141 - 156.

[2] المصدر السابق، 2/ 265.

إن هذا الأصل له تعلق وارتباط هو الآخر بالأصل السالف الذكر، لأن الذي استحقهذه المنزلة ما استحقها إلا لكبيرة ارتكبها من غير توبة، لذا لزمه وعيد؛ أما الذيتفادهما
من المكلفين فقد لزمه وعد منه سبحانه وتعالى.

كان من المفروض أن لا يفصل هذا الأصل عن السابق،لكن حدث أن فصل عنه حين التنظير للمذهب، ربما تبركا بأبي حذيفة واصل بن عطاء وإكراما لمقام هذه الشخصية عند المعتزلة،لأن هذا الأصل والمتمثل في المنزلة بين المنزلتين ما كان ليبرز ويقعّد لولا تواجد واصل:بحكم اعتباره أحد العناصر الأساس المشكّلةلظرف ومناسبة صدوره،هذا الظرف الذي كان بمثابة البادرة الأولى التي ميزت القوم بمذهبهم العقدي هذا،واعتبرت كبداية لتبلوه.

إن عمل المكلف المتمثل في قيامه بالطاعات واجتنابه للمعاصي له قيمة كبرى عند المعتزلة، حتى إنهم عدُوه من مسمى الإيمان وأحد أركانه المكونة له، وهذا ما نجده مذكورا بالعبارة لا الإشارة، وبالتصريح لا التلميح في التعريف الاصطلاحي للإيمان عندهم بأنه:"معرفة القلب بالدين،والإقرار به باللسان والعمل بالجوارح، وأن كل طاعة وعمل حتَى فرضا كان أو نافلة فهي إيمان..."[1].

كأنهم بهذا المفهوم يردُون على المرجئة اللذين يذهبون إلى الاعتقاد بأن الإيمان لا تضر معه معصية، وأن الكفر لا تنفع معه طاعة[2]: مخرجين بذلك أعمال الجوارح من مسمى الإيمان.

واضح جدا من خلال هذا الأصل بروز المنحى السياسي لدى المعتزلة والنزعة الثورية عندهم للعمل على هز عروش الذين يرونهم ظالمين من حكام وغيرهم...عكس الفكر العقدي الإرجائي الذي هو معروف بموقفه السلبي منهم فيُطيل بهذا في عمر ظلمهمويمدهم دوما بحبال النجاة:بالتالي فهو بذلك يضفي عليهم الشرعية والمصداقية الدينية، وهم في نفس هذه الحالة والوضعية فيما يخص حكمهم للرعية.

الأصل الخامس:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]

[1] إبن حزم، المصدر نفسه، 3/ 188، 189.
[2] الشهرستاني، المصدر نفسه، 1/ 186.

يعتبر هذا الأصل الأخير عند القوم من المعتزلة الأكثر اختصاصا بالجانبين السياسيوالعملـي منه بالجـانبين الإيديـولـوجي العقـدي والنظـري، كمـا هو الشـأنبالنسبة للأصـول

السابقة،وخصوصا الأصلين الأول والثاني.

فلقد عدت عقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أصول الملة حتَى أورد ابن أبي الحديد المعتزلي اتفاقا لشيوخ الواصلية بالإجماع على اعتبارها "...أصل عظيم من أصول الدين...وبالجملة هو [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر] أصل شريف أشرف من جميع أبواب البر والعبادة"[2].

كما أن هذا الأصل والعقيدة لا يكلف بها الفرد وحده،بل لابد أن تنهض بها الجماعة صاحبة الانتماء الاعتزالي أيضا، ما دام المقصد المرجو منها والغرض المتوخى عبرها هو أن لا يقع المنكر ولا يضيع المعروف[3].

أما عن حكم هذا الأصل الشرعي،فإنه يعتبر تبعا للرأي الديني للمذهبمن الفروض أو الواجبات الكفائية التي إذا قام بها البعض سقطت عن غيرهم، لا العينية[4] التي تجري على الجميع فردا فردا ولا ترفع أو تسقط عن أحد.

فضلا عن لزوم وحتمية الخروج بالسيـف على الظالمين إذا اكتملت الأسبابواجتمعتالشروط،وانتفت الموانع[5].

تلك إذن هي الأصول الخمسة التي شكلت الأركان الرئيسة لعقائد وإيديولوجية المعتزلة،والتي ما اكتملت متبلورة تماما واستقرت ثابتة نهائيا إلا بعد مجهود بحثي مضنودراسات مستفيضة وشاقة استغرقت أعماراوشاركت في إنجازها أجيال وطبقات من أعلام هذا المذهب ومنظريه.

2- ماهية المذهب العقدي للأدارسة بالمغرب الأقصى

2أ- اختلاف الآراء حول مذهبية الأدارسة العقدية بالمغرب الأقصى

[1] لمعرفة هذا الأصل باستيفاء وبسط أكثر، يرجع إلى: عبد الجبار، المصدر نفسه، 2/ 379 - 425.

[2] إبن أبي الحديد، المصدر نفسه، 5/ 667.

[3] المصدر السابق، 5/ 664.

[4] المصدر السابق، 5/ 664.

[5] لتنظر جمبعها بشيء من البسط في: المصدر السابق، 5/ 664 - 667.

لا نشك أن المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي كان صاحب السيطرة الكاملة على جوف أو شمال المغرب الأقصى، ومن باب أولى بطنجة ونواحيها نظرا لتواجد قبيلة أوربة القويـة بها المتبعة لهذا المذهب، بحكم تبني أميرها إسحاق بن محمد في البداية لـه قبلسنة 172 هـ/ 788 م كما سبق أن سجلنا ذلك ووثقناه.

فهل كانت الإمارة الإدريسية الناشئة التي قامت بدءا من السنة المسجلة أعلاه بفضل قبيلة أوربة المعتزلية أساسا، وعلى كواهل رجالها، واصلية المذهب، بحكم مذهب القبيلةالتي ناصرتها ومكنت لها في ذلك،وبحكم عقيدة إدريس الأكبر التي سيصير إماما عليهالمن قال باعتزاليته؟أم كانت زيدية[1] حسب رأي من ذهب إلى زيديته؟ أم كانتأخيراسنيةتبعا لمن قال بذلك؟

إذا رجعنا إلى جميع الروايات التي ذكرت المذهب العقدي لأمير قبيلة أوربة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد، فإننا نجدها تتفق بالإجماع على تبنيه لعقائد المعتزلة جملة وتفصيلا[2].

وأن نفس هذه الروايات حين تتكلم عن مذهب إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) في الاعتقاد قبل قدومه إلى المكان المذكور والتقائه بالزعيم الأوربي،فإنها تتفق هي الأخربوبالإجماع كذلك، لكن على نفي الاعتزال عنه إطلاقا[3].

أما فيما يخص اعتقاد أو ما يذهب إليه إدريس الأول أو الأكبر هذا في الأصول،فلقد اختلفت آراء الباحثين حوله:فمن اعتبار المؤرخ المغربي عبد الحي الكتاني بأنه من أهل السنة والجماعة وتحديدا كونه مالكيا[4]،مسندا حكمه هذا إلى ما نقله صاحب „الدر

[1] أتباع زيد بن علي بن الحسين (رضي الله عنهم)، الذين ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة (رضي الله عنها) من أولاد الحسن والحسين (رضي الله عنهما)، فضلا عن توفر شروط العلم والزهد والشجاعة والسخاء، مع جواز إمامة المفضول لمصلحة، كما أن أكثر الزيدية مالت في فترة لاحقة عن القول بإمامة المفضول وطعنت في الصحابة (رضي الله عنهم): كالجارودية والبترية... الشهرستاني المصدر نفسه، 1/ 207، 208، 211.

[2] إبن الفقيه، المصدر نفسه، ص: 80. البكري، المصدر نفسه، 2/ 302. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 19. مجهول، المصدر نفسه، ص: 194، 195.

[3] إبن الفقيه، المصدر نفسه، ص: 80. البكري، المصدر نفسه، 2/ 302. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 19. مجهول، المصدر نفسه، ص: 195.

[4] نسبة إلى مؤسس المذهب المالكي الإمام مالك بن أنس الذي سبق التعريف به.

النفيس...„، الذي أورد إعلان إدريس الأول الصريح بقوله:"نحن أحق باتّباع مذهبه[الإمام مالك بن أنس]،وقراءة كتابه [الموطأ][1].

بل ويذكر الكتاني نقلا عن صاحب هذا المرجع كذلك، بأن إدريس هذا ذهب إلى أبعد من ذلكحين أخبر بأنه ألزم بهذا المذهب رعيته كلها، وأوجبه عليها "في جميع عمالته"[2].

إلى رأي ثان توصل أصحابه فيه إلى كونه زيدي المذهب[3]، وما معهم من نص أودليل يتّكؤون عليه إلا ما سجله الجغرافي البكري حين قال "...وكان إدريس [الأكبر] عالما بسليمان[4] ورياسته في الزيدية، فلما وصل [سليمان] إليه قال: إنما جئت إليك وحملت نفسي على ما حملتها عليه لمذهبي الذي تعرفني به..."[5].

وهذا بعد فهم وقراءة لهم للنص المذكور مفادها: بأن إدريس الأكبر كان زيديا، إذ لولا هذه النحلة الزيدية التي كانت تجمع بينهما أساساما كان لسليمان هذا ليأتي إليه عارضا عليه كل خدماته، ومنها نصرتهلقضيته المتمثلة في التمكين لمشروعه السياسي انطلاقا من المغرب الأقصى.

وأخيرا موقف يميل إلى القول باعتزالية إدريس الأول استنادا إلى عملية جمع وتكامل لنصوص من مصادر متعددة: أول هذه النصوص يبدأ بالحديث عن تحول إدريس

---

[1] محمد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط 2، ذو القعدة 1416 هـ/ 8 أبريل 1996 م، 1/ 82.

[2] المرجع السابق، 1/ 82.

[3]كما هو الشأن عند: محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص: 136. محمد بن معمر، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط السادس الهجريين، أطروحة دكتوراه دولة مرقونة السنة الدراسية (2001 - 2002)، معهد العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية بجامعة وهران، ص: 500. وإن لم يؤصل حكمه هذا ويدلل عليه. كما يذهب إلى نفس هذا الحكم كل من الباحثين المغربيين: شرحبيلي وإن علل حكمه بـ "الإرتباط العائلي بزيد بن علي". محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط 1412 هـ/ 2000 م، ص: 53. ومحمد صدقي في مقال له بعنوان "ملاحظات حول القاعدة المذهبية للإمارة الإدريسية"، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات رقم: 145، ومحور „المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى الوحدة„، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1429 هـ/ 2008 م، ص: 88.

[4] إبن جرير المنتمي إلى ربيعة، كان رأسا في علم الكلام وأحد أعلام الزيدية، عرف بالإقدام والشجاعة حيث قدر فيه إدريس الأول تلك الصفات معترفا له بها، تمكن سليمان هذا من قتله بالمغرب الأقصى مستغلا في ذلك ثقته المفرطة فيه والرجوع إلى بغداد سالما بعد خطة محكمة كان رأسها المدبر هو الوزير يحيى بن خالد بن برمك، بعد أن أمره بذلك الخليفة العباسي هارون الرشيد مقابل عوض جزيل وجاه عريض وعده به هذا الأخير. الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، شرح وتعليق: السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 4، 1427 هـ/ 2006 م، ص: 407، 408. البكري، المصدر نفسه، 2/ 304، 305. مجهول، المصدر نفسه، ص: 195، 196. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 21 - 24.

[5] البكري، المصدر نفسه، 2/ 304. الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 407، 408.

الأكبر إلى المذهب العقدي المعتزلي بمجرد دخوله إلى المغرب الأقصى والتقائه بكبير قبيلة أوربة إسحاق بن محمد.

حيث يذكر الجغرافي البكري ذلك في „المسالك..." بقوله: "...وكان نزولإدريس عنددخوله المغرب بوليلي[1]...فنزل على إسحاق بن محمد بنعبد الحميد الأوربي المعتزلي فبايعه على مذهبه، وذلك في سنة اثنتينوسبعين ومائة [788م]..."[2].

الأمر عندهم إذن مفروغ منه فيما يخص اعتزالية إدريس الأول أو الأكبر، بأنها لم تكن قديمة مما يلزم حملها معه من الشرق، إنما هي طارئة، إذ أنه ما صار متبنيا لها زمنيا إلا بعد وصوله إلى المغرب الأقصى استنادا لهذا النص، وإن كان الغموض يكتنف جزئية منه وهي تلك المتعلقة بمن المنقاذ والتابع: فهل هو إسحاق والمتبوع إدريس أم العكس؟

مصدران صاحباه مخالفان في اعتقادهما لمذهب الاعتزال يفكان هذا الالتباس والغموض صراحة، فيفصلان في المسألة حين يصلان إلى معنى واحد مشترك بينهما مفاده:أن التابع هو إدريس الأول، والمتبوع هو إسحاق بن محمد.

يقول صاحب أحد هذين المصدرين: "وهو [إسحاق] صاحب إدريس وإدريس موافق له"[3]، ويقول صاحب ثانيهما: "وكان إسحاق بن محمد الأوربي معتزلي المذهب، فوافقه إدريس على مذهبه"[4].

فضلا عن إيراد البلخي لهذا المعنى حين قال: "...وهو [إسحاق] الذي اشتمل على إدريس بن عبد الله حين ورد عليه، فأدخله في الاعتزال"[5]؛والذي تعمدنا تأخيره لا للاستدلال بقدر ما هو للاستئناس به وتأكيدا لراجحية هذا الرأي دفعا لشبهة الانحياز مادامت واصلية صاحب هذا المعنواعتزاليتهمتيقنة.

2ب- ترجيح سنية مذهبية الأدارسة العقدية بالمغرب الأقصى

---

[1] بلدة تقع بطرق جبل زرهون قرب طنجة بالمغرب الأقصى. الحموي، المصدر نفسه، 5/ 384. الحميري، المصدر نفسه، ص: 609.

[2] البكري، المصدر نفسه، 2/ 302.

[3] إبن الفقيه، المصدر نفسه، ص: 80.

[4] مجهول، المصدر نفسه، ص: 194، 195.

[5] البلخي، المصدر نفسه، ص: 110.

إننا وبعد عرض هذا الاختلاف لمثل تلك الآراء حول مذهبية إدريسالأكبر العقدية نخرج بحكم مفاده:الترجيح بأنها كانت سنية وبالتحديد مالكية، لأن الحجج الواردة في هذا الترجيح غير ممكن ردها ودحض دلالتها على المراد عكس الرأيين الآخرين:

بالنسبة لمن قال بزيديته، فإنه ما بنى هذا القول إلا على رواية كان الأصفهاني أول من أوردها، ثم نقلها عنه البكري بالمعنى في الغالب؛ فهذه الرواية إذن لا تصلح للاستدلال ومشكوك جدا في مصداقيتها، مادام صاحب „مقاتل الطالبيين„ سجل في التصدير لها بأن المؤرخ النوفلي الذي رواها قدخالفه فيها جماعة آخرون[1].

أما فيما يخص اعتزالية إدريس الأكبر وموافقته إسحاق بن محمد في ذلك، فإنها لم تكن عن قناعة داخلية وإيمان صادق بقدر ما كانت عن ادعاء وتظاهر مؤقت، وهذا ما دعا المؤرخ الفرنسي جورج مارسي إلى الشك في اعتزاليته ولزوم التحفظ في المسألة[2].

بحيث أن الأمر مرهون بمصلحة آنية ارتآها هذا العلوي بعد أن أملتها عليه ظروف المرحلة المتمثلة في وجود قبيلة أوربة المهيأة ماديا ومعنويالإنجاز إدريس الأكبر مشروعه وتحقيق هدفه السياسي المنشود.

فيما يخص استعداد هذه القبيلة المادي: فقد برهن عنه إخضاعهالكل القبائل المجاورة لها وجعلها تحت قيادتها، ثم تأليبها جميعالنصرةقضيته، وأخيرا كسبها الانتصارات المتتالية الواحد تلو الآخر علىخصومه[3]، مما أدى إلى توسيع رقعة إمارته وانتشار دعوته المذهبية والسياسية.

ومن حيث استعداد هذه القبيلة المعنوي أيضا، وهذا بتعاطفها الواسعمع أحد أعقاب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في المظلومية السياسيةالتي عانى منها هو وسلفه طمعا لهذه القبيلة وغيرها من القبائل التيآزرتها - كما جرى إقناعها - في كسب الأجر من الله

---

[1] الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 407.

[2] George Marçais, la berberie musulmane et l'orient au moyen âge, édition Montaigne, paris 1946, p : 125.

[3] التنسي، المصدر نفسه، ص: 34، 35. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 83، 84. البكري، المصدر نفسه، 2/ 302. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 20، 21. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 149. أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1428 هـ/ 2007 م، 1/ 126، 127.

تبارك وتعالىفضلا عن تبوئها مجدا ومكانة في التاريخ، زد على ذلك أهداف أخرى سنأتي على إيرادها لاحقا، هذا بالنسبة لما سيعود على هذه القبائل من الفائدة والمصالح.

أما بالنسبة لما سيعود على الأدارسة، فيكفي ثمارا لموقف هذه القبائل الإيجابي تجاههم: أنه حقق لهم التمكين السياسي المنشود المغتصب الذي افتقدوه منذ مقتل جدهم الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) سنة 41 هـ/ 661 م، والذي طالما ضحى العلويّون من أجله كثيرا،فبذلوا الغالي والنفيس لاسترجاعه بدءا من السنة المذكورة تلك.

حيث مازالت هناك تجربة ناجحة ماثلة في ذهن إدريس الأولتشجعه وتزيده أملا في العمل على تحقيق مشروعه السياسي هذا، تلكالتجربة التي ما يباعد عنها سوى زمن يسير جدا لا يتجاوزأربعة عقود، ألا وهي تجربة عبد الرحمان الداخل صقرقريش[1]والمنتهية بنجاحها في تأسيس الدولة الأمويةبالأندلس سنة 138 هـ/755 م.

فعلا إذا أجرينا مقارنة بين التجربتين، فإننا نكاد نجد تشابها بينهما من حيث: مطاردة المؤسسين وملاحقتهما بعد فشلهما وانهزامهما أمام العباسيين الخصوم الألداء لهما بالمشرق؛ وعبور الاثنين إلى المغرب، وإن كان عبدالرحمان قد تجاوزه حتى الأندلس وأخيرا نجاح كل منهما في تأسيس كيان سياسي بغض النظر عن قوة وعظمة أي الكيانين منهما.

إننا نجد من فضائلهذه القبيلة على العلوي إدريس:الفضل السياسي الذي سبق لنا إيضاحه والذي لا يضاهيه فضل آخر غيره في الأهمية والتأثير، كان قد أملاه عليها قناعتها في آل البيت (رضي الله عنهم)، خصوصا إذا علمنا أن فرقا ليست بالقليلة من المعتزلة، بل لا نبالغ إذا قلنا غالبيتها، وحتى التي كانت منها مترددة أو متوقفة قد انتهت في آخر المطاف إلى قناعة تفضيل علي بن أبي طالب على سائر الصحابة[2] (رضي الله عنهم).

---

[1]هو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، حكم الدولة الأموية بالأندلس حتى سنة 172 هـ/ 788 م تاريخ وفاته، عرف بالعلم والعدل في سيرته. إبن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417 هـ / 1997 م، ص: 11. الحميدي أبو محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 1417 هـ/ 1997 م ص: 15، 16. الضبي أحمد بن يحيى، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417 هـ/ 1997 م، ص: 18، 19.

[2]إبن أبي الحديد، المصدر نفسه، 1/ 28، 29.

كان كل هذا من قبل هذه القبيلة نظرا لمثل هذه القناعة العقدية التي تحملها عن علي (رضي الله عنه)، وما تكنه من محبة وتقدير كبيرين له،فكيف بها أن لا تجسد ذلك تجاه حفيد من حفدته، وخصوصا إذا كان منأهل التدين والورع: فتقف بجانبه معينة إياه بكل ما أوتيت من وسائل وأسباب...

بعكس الذي قال به الصفريون حين اعتبروا أنفسهم أنهم ألد أعدائه: حتى بلغالأمر بأحد نظارهم وهو عمران بن حطان[1]، نظرا لبغضه الشديد له أن رثى قاتله عبد الرحمان بن ملجم[2] ببيتين شعريين - من البحر البسيط - مثنيا عليهثناء منقطع النظير، وقائلا فيه:

يَا ضَرْبَةً مِنْ مُنِيبٍ مَاراَدَ بِـ هَا *** إلاّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْش رِضْوَانَا

وَإِنِّـيلأَ ذكُرُهُ يَـومًـا فَـأَحْسَبُـهُ***أَوْفَـى البَـرِيَــةِ عِنْدَ اللهِ مِيـزَانَا[3]

كما نجدلإباضية المغرب كذلك نفس هذا الموقف من علي (رضي الله عنه) من خلال تبرّئهم منه بدءا من آخر حياته، وبالتحديد حين رضي بتحكيم "الحكمين [خلافا لكتاب الله تعالى] في أمر قضاه الله [تعالى] [في نظرهم]، فاختلفت الأمة وتفرقت الكلمة"[4].

من هنا فلا نعجب إن رأينا إدريس الأكبر قد ذهب إلى معتزلة طنجة ونواحيها بجوف (شمال) المغرب الأقصى طالبا منهم التعضيد والنصرة لمذهبهم في توليهم جده (رضي الله عنه)، ولم يذهب إلى إباضية تيهرت بالمغرب الأوسط، ولا إلى صفرية منطقة السوس بقبلة (جنوب) المغرب الأقصى لتبرّئهممن جدّه (رضي الله عنه).

وإن كنا نرى بأن إدريس الأول وحفدته، ومعه أخوه سليمان[5]هو الآخر وكذا حفدته جميعهم، قد تبنوا حقيقة وفعلا مذهب أهل السنة أو المذهب المالكي في مجال الأصول والعقائد، نظرا للاستدلال الفائت إيراده فيما يخص مسألة مذهبية إدريس الأكبر العقدية.

---

[1]السدوسي البصري، آخر رؤوس الصفرية بالمشرق وشاعرهم البليغ، توفي سنة 84 هـ/ 703 م. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، د. ت، 1/ 72.

[2]المرادي، أحد الخوارج؛ تم هذا القتل بعد خطة مدبرة من الخوارج لتصفية الثلاثة: علي، معاوية وعمرو بن العاص (رضي الله عنهم)، قتله الحسن بن علي (رضي الله عنهما) سنة 40 هـ/ 660 م قصاصا منه وإنفاذا لوصية أبيه. إبن الأثير أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ت، ص: 460، 461.

[3]البغدادي، المصدر نفسه، ص: 93.

[4]إبن سلام، المصدر نفسه، ص: 106.

[5]من الملتحقين بأخيه إدريس الأول بتلمسان بعد نجاته من القتل عقب حادثة فخ الواقعة سنة 169 هـ/ 785 م. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 16. البكري، المصدر نفسه، 2/ 306. إبن خلدون، المصدر نفسه، 7/ 78.

ما توصلنا إلى هذا الرأي الجديد إلا بعد قراءتنا الجديدة لنصوص تاريخية وغيرها...والربط بينها لأول مرة، بحيث لم تسبق بمثيل لها خصوصا من قبل الدارسين المغاربة الذين قتلوا المسألة بحثا، وما دامت تمثل جزءا لا يتجزأ من تاريخهم وهويتهم المغربية، إذ أن أغلبهؤلاء الدارسين يذهبون إلى الرأي بزيدية الأدارسة، والنادر منهم من يجنح إلى اعتزاليته أو يتوقف لعدم وجود الأدلة الكافية في نظره للترجيح.

زد على ما سبق من الأدلة في مذهبنا بسنية العلوي إدريس الأكبر،هو وجود نصين اثنين لهما تعلق مباشر بالمسألة، وهما:

النص الأول: سجله لنا المحدث المغربي عبد الحي الكتاني، وهو نص في منتهى الأهمية بعد أن نقله عن التنسي في قسم مفقود – حتى الآن – من مؤلفه „نظم الدر والعقيان..." معناه: أن محمد النفس الزكية[1] هو الذي عهد لأخيه إدريس الأول وأوصى له بتقلد الخلافة [2] قبل مقتله بالمدينة المنورةسنة 145 هـ/762 م: إثر خروجه على الخليفة العباسي أبي جعفرالمنصور[43]، مما يدل دلالة واضحة على تبنيهما مذهب عقدي مشترك وواحد، هذه إذن نقطة أولى.

النص الثاني: والذي مفاده مساندة الإمام مالك بن أنس المعنوية ومؤازرته الأدبية لهذا العلوي بالذات في خروجه وثورته تلك طلبا لمنصب الخلافة على المسلمين وتوليها بدل المنصور العباسي، حين صرح بفتوى لصالح ثورته تقضى بأن بيعة أهل المدينة وغيرهم...ممن بايعوا المنصور تحت الضغط والإكراه تعتبر بيعة غير شرعية، وبالتالي فهي غير ملزمة لأصحابها، لأنها بيعة تمتتحت الإكراه، وأنه ليس على مكره يمين[5]، هذا أولا.

---

[1]هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم). المقريزي، إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1422 هـ/ 2001 م، 1/ 106.

[2]محمد عبد الحي الكتاني، المرجع نفسه، 1/ 82.

[3]الخليفة العباسي الثاني، حكم ما بين (136 هـ/ 753 م – 158 هـ/ 774 م). محمد الخضري بك، محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: العرب قبل الإسلام – البعثة النبوية – الخلافة الراشدة – الدولة الأموية والدولة العباسية، مراجعة: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1426 هـ/ 2006 م، ص: 420، 455.

[4]المقريزي، المصدر نفسه، 1 / 107.

[5]الطبري، المصدر نفسه، ص: 1528. أبو العرب، كتاب المحن، تحقيق: يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط 2، 1408 هـ/ 1988 م، ص: 320، 323، 324. عياض، المصدر نفسه، 1/ 125. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 810. إبن كثير، المصدر نفسه، 2/ 1502. إبن خلدون، المصدر نفسه، 3/ 197، 198.

وثانيا: كون الخليفة المنصور هذا يعتبر من وجهة نظر الإمام مالك مغتصبالحق منصب الخلافة ومتسلطا عليها من غير حله بعد نكثه للعهد الذي قطعه على نفسه، والمتمثل في إسنادها للعلوي محمد النفس الزكية في حالة سقوط دولة بني أمية: لأنه سبق وأن اجتمع آل أبي طالب باسم محمد النفس الزكية وآل العباس باسم أبي جعفر المنصور سرا، وبذلا تعاونا مشتركا من أجل ذلك[1].

وثالثا: أنه يستنتج من معنى نص ابن خلدون المذكور أعلاه حول اجتماع طرفي بني هاشم، وفتوى الإمام مالك لدفع المسلمين إلى وجوب مبايعة العلوي محمد، مدى ما بز به هذا الأخير مرشحي منصب الخلافة عهدئذ في استكماله وحده لشرائط هذا المنصب، حيث لم يضاهه منهم فيها أحد، وتلك نقطة ثانية.

إن عقائد الزيدية هي نفس عقائد المعتزلة التي مرت معنا، حتى قيل عنهم (أي الزيدية) بأنهم: "في الأصول...يرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذة[2]، ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت"[43]، لأن مؤسس الفرقة أو المدرسة وهو زيد بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) سبق وأن كان أحد تلاميذ شيخه "واصل بن عطاء...فاقتبس منه الاعتزال، وصارت أصحابه كلها معتزلة"[5].

فجل هذه العقائد بل كلها في نظر الإمام مالك غير مقبولة وباطلة، إذ الملتزم ببعضها ومن باب أولى جميعها ضال مبتدع لا يجب مناصرته وموالاتهبل الواجب معاداته ومحاربته، وخصوصا إذا كان ممن يدعوالناس إليها ويعمل على تبشيرهم بها.

---

[1]المصدر السابق، 3/ 194.

[2]وهو مثل يضرب لشيئين يستويان دوما ولا يتفاوتان. إبن منظور، المصدر نفسه، 5/ 216.

[3]مصطلح ديني شرعي؛ المقصود به على القول الراجح: زوجاته (صلى الله عليه وسلم) وآل كل من علي وعقيل وجعفر والعباس (رضي الله عنهم) ممن حرمت عليهم الصدقة...والمراد بالبيت بيت النسب، كل هذا إذا أخذنا بالاعتبار: الجمع بين آي القرآن وسياقاتها وأسباب نزولها وبين الروايات الحديثة وغيرها...المتعلقة بهذا المصطلح. إبن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم، دار الوطن بالرياض ودار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1420 هـ/ 2000 م ص: 1499. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1425 هـ/ 2004 م، 2/ 2479. الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1421 هـ/ 2000 م، ص: 1405. البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1423 هـ/ 2002 م، ص: 1041.

[4]الشهرستاني، المصدر نفسه، 1/ 218.

[5]المصدر السابق، 1/ 207، 208.

يدل على ذلك رده على من سأله عن القدرية أو من يقولون بأنالإنسان له القدرة على خلق أفعاله، وينفون خلق الباري سبحانه وتعالى لها، والذي تقول به المعتزلة والزيدية، فكان أن أجاب قائلا: "رأيي فيهم أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا"[1]،موجها كلامه هذا لأولي الأمر من الحكام، وكل من بيده مقاليد مسؤولية حكم الرعية بالدرجة الأولى، لأنهم المعنيون وحدهم - شرعا- لتجسيد ما جاء فيه.

أما غيرهم من العامة والرعية، فعليهم حسب الإرشاد الإلزامي لنفس الإمام أن يعاودونهم ويهجرونهم، فلا يصاحبونهم أو يجالسونهم استنادا إلى قوله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمُ أَوَابْنَاءَهُمْ أَوَاِخْوَانَهُمُ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ...﴾[2].

كما يدل عليه كذلك فتواه: حين استفتي الإمام نفسه حول من آمن واعتقد بمخلوقية القرآن الكريم - وهذا ما يذهب إليه المعتزلة- فأفتى بأنه زنديق يجب أن يقتل مباشرة ومن غير استتابة له[3].

بالتالي فهذا إذن هو موقف الإمام من المعتزلة وكذلك من الزيدية ما داموا يتبنون نفس هذه العقائد.

إذا كان الأمر كذلك، فإن الإمام مالكا ما ناصر العلوي محمد النفس الزكية وأصدر هذه الفتوى التي تلزم المسلمين بتعضيده والوقوف بجانبه هو ومن شاركه من إخوته كإدريس الأكبر الذي سيلتحق بالمغرب الأقصى، إلا لأنهما كانا على عقيدة أهل السنة - لا العقيدة الزيدية التي أفتى بمحاربتها - التي عليها الإمام.

---

[1] أبو نعيم أحمد بن علي، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 5، 1407 هـ/ 1987 م 6/ 326. الذهبي، سير أعلام النبلاء، إعتنى به: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1، 1424 هـ/ 2003 م، 6/ 52.

[2] القرطبي، المصدر نفسه، 2/ 3022. والآية رقمها 22 من سورة المجادلة.

[3] الذهبي، المصدر نفسه، 6/ 52. للوقوف على العقائد والأصول المذهبية الأخرى للمعتزلة (أو الزيدية) التي أبطلها الإمام مالك وحكم على متبنيها بالأحكام الشرعية المغلظة والتي قد تصل إلى حد التكفير، يرجع إلى: أبو نعيم، المصدر نفسه، 6/ 316 - 355. عياض، المصدر نفسه، 1/ 87 - 92. إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط 1، 1426 هـ/ 2005 م، ص: 65 - 105.

إذ المفروض والواجب مؤازرة أصحابها حسب فتواه تلك التي ثبت عليهارغم ما كلفه ذلك من نزول أذى شديد به، حين حصل وأن "...أتي[1] به منتهك الحرمة، مذال الهيبة...[وضرب] ضربا شديدا...[مقدار] سبعين سوطا [وفي رواية مائة سوطا]"[2].

بل ولم يكتف ويتوقف معه عند هذا الحد من التعذيب، فكان أن تعداه هذه المرة بجرّه "...حتى خلع كتفه...الأيمن وحمل مغشيا عليه [إذ من حينه لزم بيته اضطرارا]، فلم يشهد جمعة ولا جماعة سبع سنين..."[3]، نتيجة كثرة الجراحات التي ربما طال اندمالها، وشدة الآلام التي كان يعاني منها، مما ألزمه ذلك الفراش طيلة هذه المدة.

فهل كان على الإمام مالك أن يقف هذا الموقف بالذات، والذي كاد أن يفضي إلى وضع نهاية لحياته لو لم يكن مذهب هاذين العلويين العقدي مطابقا وموافقا لمذهبه وعقيدته السنية، وليس مطابقا للمذهب الزيدي الذي وجدناه يعارضه جملة وتفصيلا ويحاربه محاربة لا رجعة فيها؟

كما أننا لا نلاحظ تعارضا أو تضادا بين سنية الأدارسة بالمغربالإسلامي وبين ما اكتشف من نقود ومسكوكات، والذي ما كان لمن ضربها وتعامل بها عهدها أن يدرك ما ستخبئه من حقائق يقينية تاريخيةوغيرها...مادامت محاولات التشويه والوضع عليها مستبعدة تماما ومستحيلة.

فلقد وجدنا من بين هذه المسكوكات والنقود التي أماط اللثام عنها المختصون ولها علاقة بهذا المبحث:عملةنقدية احتوت على معنى الشهادة للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بالرسالة،وللصحابي علي بن أبي طالب (رضيالله عنه) بالولاية،إذ ضرب على وجه منها لفظ "محمد رسول الله وعلىوليه"[4]، وإن كان تاريخ ضربها متأخرا نسبيا لأنهصادر في عهد إدريس الثاني أو الأصغر[5].

---

[1]أوتي: هو الصحيح لغة.

[2]أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 320، 321، 323. الذهبي، المصدر نفسه، 6/ 42.

[3]أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 321، 324. الذهبي، المصدر نفسه، 6/ 42.

[4] Danniel Eustache, Corpus de monnaies Idrissides et Alaouites, rabat, Banque du Maroc 1984, P : 73. Lavoix, Catalogue des monnaies Fatimides, B.E.O, 1974, T : 24, p : 395.

[5]إبن إدريس الأكبر (رضي الله عنهما)، يكنى بأبي القاسم، أمه بربرية من نفزة تسمى كنزة، قتل أبوه وأمه حامل به في شهرها السابع. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 24، 25.

إن أقصى ما يفهم من هذا اللفظ الذي لا يقبل الشك هو أن هذا الأخير ما كان إلا متبعا في هذه القضية والقناعة لأبيه، وأنهما لا يذهبان مذهب تفضيل علي (رضي الله عنه) على جميع الصحابة (رضي الله عنهم)، وإن كانت قضية التفضيل تلك قد قال به جماعة من أهل السنةكما ذكر ذلك ابن حزم في كتابه „الفصل„[1].

لأنه لو كان مذهبهما التفضيل، لما وقف الإمام مالك مع قضيتهما هذا الموقف الايجابي: ما دام معتقده في الخلفاء الراشدين الثلاث (رضي الله عنهم) - المخالف للتفضيل- كما أخبر القاضي عياض ناقلا عن جماعة عاصروا ولقوا الإمام اتفاقهمعلى قوله بأن: "خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أبو بكر...ثم عمر...ثم الخليفة المقتول ظلما عثمان [رضي الله عنهم جميعا]"[2].

وإن كان لفظ „الولاية„ في حق علي (رضي الله عنه)، هو مما نص عليه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: "مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ؛ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ"[3]؛ وهو حديث يرى الجانبان السني والشيعي بصحته، وصدق وروده ونسبته إليه (صلى الله عليه وسلم)[4].

إلا أنهما يختلفان في قراءته ودلالته على المراد اختلاف تضاد وتعارض تام: حيث أن الجانب الأول (أي السني) يذهب إلى أن كلمة „مولى„ تدل على المودة والمحبة فقط ولا تنص على الإمامة، لأن هناك فرقا بين الوَلاية - بالفتح- والتي تعني ضد المعاداة؛ وبين الولاية - بالكسر- بمعنى الإمارة؛ وأن المقصود من نص الحديث المعنى الأول[5].

---

[1] إبن حزم، المصدر نفسه، 4/ 111.

[2] عياض، المصدر نفسه، 90/1.

[3] الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، كتاب معرفة الصحابة، مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مما لم يخرجاه، دار المعرفة، بيروت، 109/3. إبن حنبل، المصدر نفسه، مسند الكوفيين حديث زيد بن أرقم، ص: 1411، حديث رقم 19494.

[4] الألباني، سلسة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط1415هـ/1995م 330/4، حديث رقم 1750؛ هذا عن الجانب الأول. الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1424/02/06هـ، 252/4؛ وهذا عن الجانب الشيعي بل ولقد عده العجلوني من ضمن الأحاديث المتواترة والمشهورة: العجلوني إسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تصحيح وتعليق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط4 1405هـ/1985م، 361/2.

[5] ابن تيمية، المصدر نفسه، 4/ 79

حيث تشفع لذلك آيات من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ وَالمُومِنُونَ وَالمُومِنَاتُ بَعْضُهُمُ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. الآية 71 من سورة التوبة. حيث جعل الله (عز وجل) في هذه الآية كل مؤمن وليّا لكل مؤمن، وهذا لا يوجب أن يكون أميرا عليه معصوما لا يتولى عليه إلا هو، فضلا عن أدلة كثيرة أخرى[1].

بينما الجانب الثاني (أي الشيعي): يرى بأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان قد أطلق كلمة „مولى‟ على نفسه أولا، وهي بمعنى الولاية الدينية، ثم راح ليطلقها بعدها مباشرة على علي (رضي الله عنه) بنفس المعنى؛ بالتالي فعلي (رضي الله عنه) قد نصبه (صلى الله عليه وسلم) وليّا لأمر المسلمين، كما كان هو إماما لهم لا نبيّا، لأنه (صلى الله عليه وسلم) خاتم الأنبياء ولا نبي بعده[2].

لا نشك أن ضرب هذه المسكوكة المتضمنة لهذا المحتوى بالذات هو ذو مغزى سياسي صرف: الهدف منه إضفاء الصفة الشرعية الدينية فيما يخص ولاية الأدارسة الكبرى السياسية على الرعية من المغاربة ليس إلا، واعتبارهم أولى ممن سبقوهم في تولي منصب الخلافة على المسلمين من أمويين وعباسيين فنافسوهم إياه عهدئذ، ما داموا ينحدرون من علي (رضي الله عنه).

والوحيدين على مستوى العالم الإسلامي وقتها، المستكملين إطلاقا لشرائط تولي هذا المنصب: من قرشية، وأفضلية في العلم الديني والعمل بمقتضاه،وغيرها...[3].

3- المجال السياسي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي - الإدريسي وانعكاساته بالمغرب الأقصى

3أ- المجال السياسي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي - الإدريسي بالمغرب الأقصى

---

[1]تنظر عند: ابن تيمية، المصدر نفسه، 4/ 78 فصاعدا.

[2]المجلسي محمد بن علي، حياة القلوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 1986، ص:399.

[3]تنظر مفصلة ومؤصلة بالأدلة الشرعية عند: الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت ط 1414 هـ/ 1994 م، ص: 24. الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف السبع العليمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1410 هـ/ 1990 م، ص: 31 – 33. القلقشندي، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1427 هـ/ 2006 م، ص: 23 – 26. محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، دار أصداء المجتمع، الرياض ط 13، 1432 هـ/ 2011 م، ص: 1097، 1098.

الخلاصة وبعد كل هذا الذيمر معنا، فإننا نكتشف في الحقيقة صراعا بين طرفين:طرف أوربي معتزلي وطرف إدريسي سني، وإن أظهر هذا الأخير اعتزالية في الظاهر وخلال ظرف زمني مؤقت.

لم يظهر هذا الصراع بينهما في بداية الأمر، مادام وأنه قد جمعتهما مصلحة مشتركة لمدة يسيرة جدا[1]، إذ الطرف الأول: هدفه بدايةهو المحافظة على مكانة قبيلة أوربة وزعيمها إسحاق بن محمد،لكن هذه المرة بمؤازرة من العلوي إدريس الأكبر صاحب الشرعية الدينية والوحيد الذي من حقه امتلاكها.

ثم لاحقا العمل على تحيّن واستغلال أية فرصة سانحة بغية تولي حكم المنطقة هو وعقبه من بعده على رأس قبيلته وقتها.

أما الطرف الثاني: فمن أجل تحقيق مشروع سياسي، والذي ما كان بإمكان إنجازه إلا بالاستعانةبقوة وحشود رجال القبيلة المذكورة المتميزة بتفوقها على أرض منطقة شمال المغرب الأقصى، خصوصا عهدها بعد التحالف مع زعيمها المذكور.

3ب– إنعكاسات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي - الإدريسي بالمغرب الأقصى

وهكذا تم هذا الصراع بين الجانبين الذي اقتصر على المجال السياسي فقط بتبادل التصفيات لقادة الطرفين ليس إلا، ومخلفا وراءه نتائج وانعكاسات.

الإنعكاس الأول

أو النتيجة الأولى: حيث توسيع الرقعة الإسلامية بإضافة مناطق ليست بالصغيرة من المغرب الأقصى، ونشر المذهب السني المعتدل فيهاعلى حساب ديانات قديمة تم اجتثاثها كاليهودية والمجوسية والنصرانية.

[1]حيث استغرقت عشرين سنة تحديدا بدءا من التقاء زعيمي الطرفين سنة 172 هـ/ 788 م حتى سنة 192 هـ/ 807 م تاريخ قتل إدريس الثاني أو الأصغر للزعيم الأوربي إسحاق بن محمد، حين اكتشف وجود مراسلات سرية تمت بينه وبين أعدائه بني الأغلب الأيادي الخادمة للعباسيين بالمغرب الإسلامي. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16. البكري، المصدر نفسه، 2/ 307. التنسي، المصدر نفسه، ص: 40.

وعبر افتتاح بسائط كل من تامسنا وتادلا وشالة[1]عنوة وسلما سنة 172هـ/ 788م كما يفهم كل ذلك من أغلب إخباريي منطقة المغرب الإسلامي الذين أرخوا لها في مؤلفاتهم[2].

ثم زيد في هذا التوسيع حتى المغرب الأوسط: حين زحف الأدارسة على حاضرة تلمسان ونواحيها،مما ترتب عنه إدخالهافي الدعوة الجديدة طواعية كلهاسنة 173 هـ/ 789 م[3].

بهذا يكون الأدارسة من الأوائل الذين أقاموا بهذا الحيز الجغرافي المحدد من المغرب الإسلامي مذهبا سنيا معتدلا ووسطا خلال هذه المدة التاريخية المذكورة، أو على الأقل ممن هيأوه لقبول أي مذهب عقدي لاحق شريطة أن يتميز بهذين الوصفين، مادام أنه سبق وأن جرب على أرضه مذهبتميز بعكسيهما، ألا وهو المذهب الصفري حيث عانى قاطنو هذا الحيز في ظله التجاوزات والمآسي...

الانعكاس الثاني

أو النتيجة الثانية: والمتمثلة في وجود كيانات سياسية أو إمارات إدريسية صغيرة عمرت مدة طويلة:إذ قامت هنا وهناك بالمغرب الأقصى، وأخرى سليمانية وغيرها... من بني عمومة الأدارسة وبنفس حجم ومدة عمر السابقة، فما اختلفت عنها إلا في الإطار الجغرافي، وهذا بقيامها علىأرضالمغرب الأوسط[4]، حيث لا يخفى ما لهذه الإمارات كلها من محاسن وإيجابيات على المغربين الأقصى والأوسط.

الانعكاس الثالث

---

[1]هذه البسائط الثلاثة موجودة بالمغرب الأقصى، وبالضبط هي محصورة بين البحر الرومي شمالا وجبال درن جنوبا والبحر المحيط غربا وجبال تازى شرقا. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 102، 103.

[2]التنسي، المصدر نفسه، ص: 35. الجزنائي أبو الحسن علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط 2، 1411 هـ/ 1991 م، ص: 12، 13. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 20. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4 / 16.

[3]التنسي، المصدر نفسه، ص: 35. الجزنـائي، المصدر نفسه، ص: 14. إبن خلدون، المصدر نفسه 4/ 16. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 21.

[4]للوقوف على معطيات فيما يخص هذه الإمارات السليمانية وغيرها...، يرجع إلى: سبع قادة، رسالة مرقونة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، تحت عنوان: المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، الموسم الدراسي (1424 هـ - 1425 هـ/ 2003 م - 2004 م)، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، ص: 69 – 79. أما بالنسبة للإمارات الإدريسية فينظر إلى: التنسي، المصدر نفسه، ص: 34 – 53. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 210 - 214.

أو النتيجة الثالثة: ألا وهي توحيد قبائل المنطقة ونواحيها، وهذابعدتوحيدجامع للعديد منها والتأليف بينها ضمن إطار سياسي واحدضمتقبائل وعصبيات عظيمة ومتنوعة كأوربة وزنانة وصنهاجة[1] وغمارة[2]، حيث حوت هذه القبائل بدورها بطونا شتى كما ذكر ذلك كل من المؤرخين المغربيين ابن أبي زرع والجزنائي[3].

إنها فعلا قبائل عرفت بصراعاتها القديمة فيما بينها من أجل السيادة والحصول على الريادة والتفوق، وهي تلك القبائل التي كانت مضاربها بالقسم الشمالي من المغرب الأقصى عموما.

إنها لم تكن لترضى بأن تقوم بهذه المهمة الصعبة والاستراتيجيةالمتمثلة في تولي الزعامة عليها واحدة منها، بل لا بد وأن تكون دخيلة عليها وأجنبية عنها تماما، فما بالك إذن إن كان هذا الأجنبي أو الدخيل من أهل البيت، وبالأخص من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عبر بنته فاطمة الزهراء (رضي الله عنها).

إذ سيتم كل هذا تفاديا للأخطار والمصائب التي قد تعترضها خاصة منقبائل برغواطة[4]، المعتبرة عهدئذ الأشد خطرا عليها بالدرجة الأولى، والمعروفة بتمذهبها الاستثنائي المعاكس كلية لجميع اعتقادات هذهالقبائل[5]، ومما يزيد في خطورتها وكثرة غاراتها عليها قرب مواطنها منها:حيث تواجدها أصلا بأقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى[6].

وهذا بعد فشلهم من غير شك في التصدي لهذه القبائل البرغواطية، سواء منفردين أو مجتمعين بتوحدهم ولو مؤقتا، ونظرا لما كان يكنه البربر المسلمون والذين منهم تلك القبائل

---

[1] نسبة إلى صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن كيمتا بن سدر بن مولان بن يصلين بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام؛ وصنهاجة تعتبر إحدى بطون البرانس، تتفرع منها قبائل شتى، فممن ملكت منها نجد: تلكاتة بإفريقية والأندلس، ومسوفة ولمتونة بالمغرب. ابن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 153، 154.

[2] نسبة إلى غمار بن مصمود، فهي إذن إحدى بطون المصامدة، ظهر بها متنبئون بعد الإسلام. المصدر السابق 6/ 211، 212.

[3] الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 16، 17. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 28.

[4] من بطون المصامدة، كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة، إستوطنوا وقتئذ بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمور وأنفى وأسفى (بالمغرب الأقصى). إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 208.

[5] للوقوف على معالم قبائل برغواطة العقدية يرجع إلى: البكري، المصدر نفسه، 2/ 318 - 325. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 208 - 211. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 56 - 57.

[6] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6 / 208. حسين مؤنس، المرجع نفسه، 1/ 385.

من حب وتعاطف شديدين للذرية العلويةعقب النبي (صلى الله عليه وسلم)، وسماعهم لما جرى لها على أيدي الخوارج وبعض الأمويين والعباسيين من ملاحقات وتصفيات وآلام ومآس زادت في تعميق تلك العواطف والمشاعر تجاههم.

فلأهمية هذه الوحدة بين تلك القبائل، وحرصا على بقائها مستمرة حتىلا تزول فإننا وجدنا زعماءها يحرسون عليها أشد الحرس: لأجل ذلك عز عليها أن تبقى من غير سلطان وإمام يتولى حكمها موحدة بعد اغتيال إدريس الأكبر،وهكذا صبرت على مضض إحدى عشرة سنة[1] لتنتظرحتى يكبر ولده إدريس الأصغر ابن كنزة البربرية فتبايعه مرة ثانية بعد أبيه إماما وملكا عليهاسنة 187هـ/802م[2].

بل وتهتم الاهتمام الأكبر بمن سيقوم بكفالته وتربيته كراشد[3]، ثم بعدهأبوخالد[4] حين تسند إليه الولاية عليها ولو مؤقتا، مادام الاهتمام به هو من الاهتمام بإدريس الأصغر، لأنه ممن سيضطلع بإعداده الإعداد التام، وتربيته التربية الحسنة الكاملة[5] بغية تهيئته ليكون أهلا لمسؤولية الحكم وأجدر بها بكل كفاءة واستحقاق.

الانعكاس الرابع

أو النتيجة الرابعة: والتي تكمن في تعريب جزء لا بأس به منالمغربين الأقصى والأوسط، وهذا بالإسهام الكبير في نشراللسانالعربي بين صفوف البربر،خصوصا بواسطة الجماعات العربية الكثيرة العدد التي التحقت بهذه الإمارة أو الكيان الإدريسي الناشئ.

---

[1] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 210. التنسي، المصدر نفسه، ص: 38. الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 16.

[2] البكري، المصدر نفسه، 2/ 307. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 210.

[3] مولى لإدريس الأول وصاحبه المختص به، إذ لم ينفك عن صحبته منذ فراره من مكة حتى استقراره بالمغرب الأقصى تميز بالدهاء والشجاعة والتدين ومناصرة أهل البيت، كما تولى كفالة إدريس الثاني مدة إلى أن قتله جماعة من البربر إثر خطة دبرها له بنو الأغلب. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 16، 17، 18، 19، 25. التنسي، المصدر نفسه، ص: 34، 37، 38. يحيى ابن خلدون أبو زكرياء، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ط 1400 هـ/ 1980 م 1/ 166، 167.

[4] لم نجد في المصادر التي ذكرته إلا الآتي: تسميته عند الأكثر بأبي خالد يزيد بن إلياس العبدي [والفارسي عن البكري] وهو ممن تولى كفالة وإرشاد إدريس الأصغر بدءا من إحدى عشرة سنة من عمره بعد مقتل كافله الأول راشد. المصدر السابق، 1/ 167. التنسي، المصدر نفسه، ص: 38. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 27. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16. البكري، المصدر نفسه، 2/ 307.

[5] يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، 1/ 167.

فعلا حصل ذلك مصداقا لما أوردته المصادر من روايات كثيرة تجتمعفي محصلة فحواها: بأنه حدث فيعهد إدريس الأصغر أو الثاني أنقدمعليه من إفريقية والأندلس ما تعداده تقريبا خمسمائة بيت، ناهيك عمايضم كل بيت من أفراد جميعهم من العرب الأقحاح الخلص السليقيّ اللسان من قبائلالقيسية[1] والأزد[2] والخزرج[3]ومدلج[4] وبني يحصب[5]والصدف[6] وغيرهم...[7].

وإن كان ابن أبي زرع المؤرخ المغربي هو الوحيد الذي انفرد بإيراد سنة 189 هـ/ 804م كتاريخ لقدوم هذه الجماعات العربية إلى المنطقة وافدة على هذا العلوي الإدريسي[8].

ليس لنا شك بأنها ما قدمت إلى المنطقة ولجأت إليها إلا لتأدية مهام ووظائف متنوعة: إما كفرسان لقيادة الجند في الحروب والمعارك، أو علماء لنشر الدين وترسيخه بين الأتباع من البربر، أو إداريين لتقديم الخدمات المتعلقة بتسيير شؤون الإمارة، وغير ذلك...

بهذا إذن تكون هذه الجماعات العربية قد أسندت إليها مثل هذه المناصب والمهام الحساسة والمؤثرة كما سبق وأن ذكرنا، بحيث نفهم ذلك من نصلابنخلدونقال فيه حرفيا عن

---

[1]نسبة إلى بني قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام)، كما يطلق عليها لفظ „المضرية„. إبن حزم، جمهرة...1/ 6 - 243، 255.

[2]نسبة إلى أزد والأفصح „أسد„ ابن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ؛ جاءت من اليمن. إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 68.

[3]أحد جديّ الأنصار (رضي الله عنهم)؛ والخزرج نسبة إلى خزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث. إبن هشام أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1424 هـ/ 2004 م، 1/ 15.

[4]إحدى قبائل كنانة. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 189. إبن منظور، المصدر نفسه، 2/ 403.

[5]نسبة إلى يحصب بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد...من بني حمير باليمن. إبن حزم، المصدر نفسه، 2/ 435، 478. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 75.

[6]من بطون حضرموت؛ وهو نسبة إلى الصدف بن أسلم بن زيد بن مالك بن يزيد بن حضرموت. إبن حزم، المصدر نفسه، 2/ 479.

[7]إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16. الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 17، 18. التنسي، المصدر نفسه، ص: 39. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 29.

[8]المصدر السابق، ص: 29.

إدريس الأصغر بأنه "...اختصهم دون البربر، [فـ] كانوا له بطانة وحاشية واستفحل بهم سلطانه"[1].

وإن كنا ننبه بأن ظاهرة قدوم العرب إلى المنطقة ونزولهم الدائم بإمارة الأدارسة تلك لم يقتصر على تلك المرة الواحدة المعلومة بالتاريخ المذكور فقط، بل تكرر ثانية كما أخبرت بذلك المصادر التاريخية.

لكن هذه المرة اللاحقة كان مصدرها الأندلس فقط، وبسبب ما عرف بفتنةأو فاجعة الربض[2] في ظل حكم أميرها الحكم بن هشام[3]، وتحديدا سنة 202 هـ/ 817 محين خطط جمع غير قليل من العلماء والأتباع للخروج عليه بغية تنحيته وإقامة أمير آخر بدله.

إلا أن الأمير الحكم تفطن لهم قبل خروجهم عليه، فكان رد فعله أن انتقم منهم أشد انتقام وأذاقهم أقصى صنوف الأذى والعقاب: إذ منهم من صلب، ومنهم من أبعد بلا رجعة عن العاصمة قرطبة...وإن نجا منهم من نجا بعد فراره نحو المغربوالمشرق[4]، هذا ما زاد -من غير شك- في زخم هذا الانعكاس ووسع من رقعة اتساعه وانتشاره.

إننا نرى بأن دور هذه الموجة الثانية من عرب الأندلس في التعريب بالمنطقة كان أكبر بكثير مقارنة بالموجة الأولى السابقة الذكر: باعتبار كثرة عددها التي بإمكاننا استنتاجها من نص مصدرين اثنين قدرا بأن الناجين من هذه الفاجعة، والذين انتهى بهم

---

[1]إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16. وبمعنى قريبا منه عند كل من: الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 18. التنسي المصدر نفسه، ص: 39، 40. وابن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 29.

[2]إحدى الجهات الشهيرة لقرطبة عاصمة الإمارة الأموية بالأندلس عهدئذ. إبن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1989، ص: 52.

[3]أبو العاصي الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ثالث أمراء الدولة الأموية بالأندلس، حيث تولى الحكم طيلة 180 هـ/ 769 م – 206 هـ/ 821 م، كان يشبه بالمنصور العباسي في شدة الملك وقهر الأعداء وتوطيد الدولة. إبن سعيد، المغرب في حلي المغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417 هـ/ 1997 م، 1/ 13 - 17.

[4]إبن عذاري، المصدر نفسه، 2/ 68، 75، 76، 77. إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 50 – 52. إبن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله، كتاب الحلة السيراء، تحقيق وتعليق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1985 1/ 44 – 48. المقري أبو العباس أحمد بن محمد، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب تعليق: مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415 هـ/ 1995 م، 1/ 327، 330.

الاستقرار بالمشرق نهائيا وصلوا إلى نحو خمسة عشر ألفا[1]، رغم بعد الشقة وطول الطريق.

وإذا كان الأمر لهؤلاء كذلك فمنباب أولى أن يكون الناجون من الفاجعة ذاتها والمستقرين بالمغرب الأقصى: أين وجد المجال الجغرافي لإمارة الأدارسة أكبر من هذا المقدار بكثير، نظرا لقصر الطريق وقرب الشقة بين العدوتين الأندلسية والمغربية.

وباعتبار آخر ألا وهو كون طليعة هؤلاء الخارجين على هذا الإمام الأموي بالذات ورؤوسهم الكبار يعتبرون من "أهل العلم والصلاح بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي[2] صاحب مالك وأحد رواة الموطأ عنه،وطالوت[3] الفقيه وغيرهما..."[4].

بالتالي فإن هؤلاء الناجين الذين استقر بهم المقام بالعدوة المغربية، لا ريب أنهم اضطلعوا أولا وقبل كل شيء بمهمة نشر العلم والدين، ومن باب أولى اللغة أو اللسان العربي: ما دام أنه لا سبيل إليهما إلا به، فضلا عن كون هذا الدين ما نزل بلسان سواه.

الانعكاس الخامس

أوالنتيجة الخامسة: والمتمثلة في ظهور وتواجد المذهب المالكي بالمنطقة، وهو الظهور الذي أسهم في التعاون بين الجانبين الإدريسي –الأوربي (الواصلي)والالتقاء المصلحي بينهما.

إذ نعتبره الظهور الأقدم للمذهب والأسبق – بالنص التاريخي الصريح - على أرضها، نظرا لظهور أحد الشخصيات الممثلة له أطلقت عليه مصادر مغربية ثلاثة إسم أبي

---

[1] إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 52. إبن الأبار، المصدر نفسه، 1/ 45.

[2] أصله من بربر مصمودة، أخذ العلم عن مالك وابن عيينة والليث وابن القاسم وشبطون...سماه مالك عاقل الأندلس، أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس باعتبار صورته النهائية المنقحة والمهذبة والمأخوذة عن مالك في آخر عمره سنة 179 هـ/ 795 م، لأجل ذلك اعتبرت هذه الرواية أشهر روايات الموطأ وأحسنها، إليه انتهت رئاسة الفقه والفتوى بالأندلس وانتشر به المذهب بها، عرض عليه القضاء فامتنع كان مستشارا للأمير عبد الرحمان بن الحكم في كل أموره، روى عنه ابن وضاح والعتبي وغيرهما...توفي سنة 234 هـ/ 848 م. إبن الفرضي، المصدر نفسه، ص: 431، 432. الحميدي المصدر نفسه، ص: 345 – 347. الضبي، المصدر نفسه، ص: 21 – 24. عياض، المصدر نفسه، 1/ 310 – 317. المقري، المرجع نفسه، 2/ 229، 230. إبن سعيد، المصدر نفسه، 1/ 16.

[3] إبن عبد الجبار، من أهل قرطبة، غلب عليه الفقه، أخذ عن مالك ونظرائه، كان ممن حرضوا في الخروج على الأمير الأموي الحكم في وقعة الربض، وإن كان هذا الأخير قد عفا عنه بعد أن ظفر به. إبن الأبار، التكملة لكتاب الصلة تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر، بيروت، ط 1415 هـ/ 1995 م، 1/ 276. إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 53.

[4] المقري، المرجع نفسه، 1/ 327. إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 52.

الحسين عبد الله بن مالك الخزرجي الأنصاري[1]، وإن انفرد الجزنائي في إضافة نعته بالمالكي[2] مما يدل ذلك صراحة على هويته المذهبية.

وزيادة ابن زرع وصفه بالفقيه[3] لبيان مستواه وتخصصه العلمي، رغم إجماع هذه المصادر كلها على تحديد موقعه السياسي في الإمارة الإدريسية باتخاذه من قبل إدريس الأصغر كاتبا له[4].

هكذا إذن نخرج باستنتاج فحواه بأن أبا الحسين هذا يعتبر أقدم شخصية علمية مالكية بارزة ذكرت صراحة، وصاحب وزن سياسي كبير عهد الإمام العلوي المذكور، ولم يكن بالشخصية العادية.

وإن كنا نرجح بأن تاريخ تواجده بالإمارة الإدريسية هو سنة 191هـ/ 806 م كأقصى تقدير– وقد يكون قبلها – بحكم ورود ذكر هذه الشخصية بالذات في سياق كتابة عقد مبادلة تجارية عقارية تمت بين الإمام إدريس الثاني وصاحب هذا العقار: حيث كان هذا العالم أو الفقيه المالكي هو من كلف بإنشاء هذا العقد وكتابته بيده[5].

بل نذهب للتراجع في الزمن ولو بمدة يسيرة جدا، ونخرج بالقول على أن هذه الشخصية وجدت بالضبط في سنة 189 هـ/ 804 م ضمن الجماعات العربية التي عدت بخمسمائة بيت تقريبا، تنقلت بكامل أفرادها إلى المغرب الأقصى لتتخذه مستقرا لها نهائيا كما سبق وأن أوردنا ذلك.

من هنا فلا يوجد إذن مانع يمنعنا من إبداء هذا القول وترجيحه هو بالذات، خصوصا إذا علمنا بأن هناك نصا يدل ضمنيا على هذا التواجد والحضور المالكي بالمنطقة أورده صاحب مؤلف „نظام الحكومة النبوية..."،

حيث ذكر هذا الأخير بأن أبا العباس أحمد بن عبد الحي الفاسي[6] الرحلة الشافعي[1] المذهب، الحلبي[2] الدار والنشأة،المتوفى سنة 1120هـ/ 1708م،قد نقل في كتابه „الدر

---

[1]إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 32. الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 19. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16.

[2]الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 19.

[3]إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 32.

[4]المصدر السابق، ص: 32. الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 19. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16.

[5] إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 32. الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 19.

[6] نسبة إلى مدينة فاس التي سبق التعريف بها.

النفيس والنور الأنيس في مناقب الإمام إدريس..عن إدريس الأكبر قوله: "نحن أحق باتباع مذهبه [مالك بن أنس]وقراءة كتابه [الموطأ]"[3].

فهذا إذن مما ينص صراحة ويدل دلالة واضحة على أن هذا الإمام العلوي كان ممن تبنى المذهب المالكي ملزما به نفسه، وملزما به رعيته كذلك باتباعه حين "أمر بذلك [أي إلزام رعيته به] في جميع عمالته"[4].

وإن كان الذي سيعطي تواجدا أكبر ودفعا أكثر لهذا المذهب بالمنطقة، هو تلك المجموعات العربية التي فرت من الأندلس طلبا للنجاة بأرواحها سنة 202هـ/ 817 م عقب فتنة الربض، نظرا إلى عددها الغفير أولا.

ثم تمذهب أصحابها بالمذهب المالكي، بحكم إئتمارهم بعالمين مالكيين بارزين كانا مرافقين لها في هذا الخروج الاضطراريّ هما يحيى بن يحيى الليثيوطالوت ثانيا فاستيطانها بالمنطقة واتخاذها مستقرا لها ثالثا وأخيرا.

الانعكاس السادس

أو النتيجة السادسة والأخيرة: والتي تكمن في رسم أنظمة جديدة وغريبة لم تعرفها المنطقة من قبل في تدبير دواليب وأجهزة السلطة مع بروز مفهوم مستحدث للدولة، فضلا عن إرساء مؤسسات في الحكم ولأول مرة، ثم العمل على تجسيد كل ذلك على أرض الواقع.

لقد كان لمثل تلك العلاقة ذات الطبيعة المذكورة بين المذهبين العقديين الواصلي أو المعتزلي والإدريسي (السني) الفضل الأكبر في إدخال ولأول مرة إلى المنطقة نمطا جديدا

---

[1]نسبة إلى مؤسس المذهب الشافعي: الإمام محمد بن إدريس الشافعي عاش ما بين (150 هـ/ 767 م – 204 هـ/ 819 م). إبن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمان، آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1424 هـ/ 2003 م، ص: 17، 21.

[2]نسبة إلى حلب: البلد العظيم الشهير الكثير الخلق، الواقع على رصيف الطريق إلى العراق وبلاد فارس وخراسان. المقريزي، جنى...ص: 132.

[3]سبق التوثيق له بص: 58، هامش: 3. لم نوفق في الحصول على هذا المرجع المحال إليه بعد بذل جهد، حتى نقف على النص المذكور من مصدره مباشرة، وإن كان قد طبع طبعة حجرية سنة 1300 هـ/ 1882 م وسنة 1314 هـ/ 1896 م ويقع في مجلد واحد، أخبر بهذا: عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر بيروت، ط 1، 1418 هـ/ 1997 م، ص: 99.

[4]سبق التوثيق له بص: 58، هامش: 4.

في تسيير دفة الحكم، والذي سيتقبله المغاربة عن رضاوقبول اختياري منهم، لا عن غصب عنهم وإكراه تسلطي عليهم.

وهو بالفعل النمط الذي حاولت الحكومات المغربية اللاحقة الالتزام به في قيادة رعاياها، بدل النمط القبلي القائم أساسا على العصبية القبلية والأعراف المعهودة عندهم والموروثة لديهم عبر فترات تاريخية عتيقة.

هكذا إذن نجد بأن رعايا شمال المغرب الأقصى قد خبروا كل هذه المزايا في ظل إمارة إدريس الأصغر خصوصا، لأنها صاحبة هذا التصور الجديد للحكم والنمط الحضاري المحدث لقيادة الرعية من خلال تواجد منظومة من النظم السياسية والخطط الإدارية التي تسير بها الدول وتحكم بواسطتها المجتمعات.

إننا نستوحي كل هذه الخطط والنظم الجديدة في الحكم ونفهمها من خلال تلك الإجراءات التي جسدها إدريس الثاني على أرض الواقع، وبالضبط حين كلف كل من: عمير بن مصعب الأزدي[1] بخطة الوزارة، إذ اتخذه وزيرا له؛ وأبا الحسين عبد الله بن مالك المالكي الأنصاري الخزرجي في خطة الكتابة، باتخاذه كاتبا له؛ وعامر بن محمد بن سعيد القيسي[2] في خطة القضاء، حيث اتخذه قاضي القضاة بالإمارة[3].

[1] عرف بالشجاعة، فهو من فرسان العرب وسادتها، يعتبر ممن وفدوا على إدريس الأصغر في سنة 189 هـ/ 804 م. إبن أبي زرع، المصدر نفسه، ص: 29.

[2] من قيس عيلان، إشتهر بالصلاح والفقه، تتلمذ على مالك والثوري وروى عنهما الكثير، كما عرف عنه ميله إلى الجهاد والمشاركة فيه؛ هو الآخر ممن وفد على إدريس الأصغر من الأندلس سنة 189 هـ/ 804 م. المصدر السابق، ص: 29.

[3] المصدر السابق، ص: 29، 32. الجزنائي، المصدر نفسه، ص: 18، 19. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16.

الفصل الثالث

الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط

1- المجال الفكري أو المناظراتي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط

1أ- المناظرة الأولى

1ب- المناظرة الثانية

1ت- إنعكاسات هذا المجال أو الضرب من الصراع على الطرفين بالمغرب الأوسط

2- المجال الإقتتالي أو المواجهة العسكرية للصراع المذهبي العقديالواصلي أو المعتزلي – الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط

2أ- مجال الاقتتالأوالمواجهة العسكرية للصراع المذهبي العقديالواصلي أو المعتزلي – الإباضي بالمغرب الأوسط

2ب- انعكاسات هذا المجال أو الضرب من الصراع على الطرفين بالمغرب الأوسط

إن كانت تلك إذن طبيعة العلاقة الواصلية – الإدريسية، وهي كما رأينا علاقة تعاون بين الطرفين ظاهريا، وفي الوقت نفسه وبالتوازي علاقة تنافس وصراع بينهما باطنيا.

فلقد اعتبرت وصارت كذلك ظاهريا، نظرا لتقاطع واشتراك المصالح بينهما،والتي لم تكن لتتحقق إلا بوجود هذا النوع من العلاقة، بالتالي فلا نعجب من الغياب التام للحروب والصدامات بينهما.

عكس العلاقة التي جمعت بين الواصلية والإباضية وكذا الصفرية التي ما طبعتها إلا الحروب، والأخذ بالحذر مع ترقب الفرص المواتية للتسلط والقيام مقام الآخر، وهذا هو ما سيميز تلك العلاقة الأخيرة التي سنتعرف على تفاصيلها مستقبلا.

لقد ذكرنا في سياق أمكنة تواجد المعتزلة، وبالأخص في المكان الأول بأنهم قد استقروا في المغرب الأوسط بموقع قريب جدا من تيهرت عاصمة الإمارة الرستمية وإحدى القلاع الكبرى للمذهب الإباضي، في إطار مجتمع مستقل تماما تراوح عدد أفراده ما بين ثلاثين ألفا ومائة ألفا.

إنفرد ابن خلدون وحده من بين كل من تكلم في هذه النقطة بإيراد أقدم تاريخ لتواجد الواصلية بهذا المكان، فقال ما نصه حرفيا: "وزحف [عبد الوهاب] سنة ست وتسعين [بعد المائة من الهجرة/ 811 م] إلى طرابلس...وكان رأس الإباضية والصفرية والواصلية وكان يسلم عليه بالخلافة، وكان أتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين ألفا من ظواعن ساكنين بالخيام"[1].

يفهم من هذا النص بأن هؤلاء الواصلية كانوا خاضعين للإمام الرستمي عبد الوهاب الذي تولوه وهم مكرهون، فكان أن قدموا له يد الطاعة من غير اختيار وطواعية منهم لقوته وغلبته عليهم، بدليل بلوغ هذه الإمارة الإباضية في عهده أزهى قوتها وأعظم اتساعها: حيث امتدت إلى نفوسة شرقا، وإلى حاضرة تلمسان غربا، حتى قيل في حقه بأنه "ملأ المغرب بأسره"[2]، هذا من جهة.

ودليل ظعنهم منعزلين ضمن خيام قريبا جدا من تيهرت كما هو مذكور في النص

---

[1]إالمصدر السابق، 6/ 123.

[2]إبن الصغير، المصدر نفسه، ص: 45.

بعد رفضهم الاندماج في المجتمع الرستمي، نظرا لعدم قبولهم ورضاهم بهذا التسلط عليهم والتحكم فيهم، وإن كانوا مقهورين على ذلك كما أسلفنا ذكره.

كما يُستنتج من نفس هذا النص أيضا بأن تواجد أولئك المعتزلة كان قبل سنة 196 هـ/ 714م: ما دام يعتبر إخبارا عن حدث،بل أحداث وقعت بعد وجودهم بمدة على حيز من المغرب الإسلامي، والذي من ضمنه هذا المكان.

يتوضح من كل هذا بأن هؤلاء المعتزلة أو الواصلية كانوا يتحينون أية فرصة مواتية بغية تغيير وضعهم هذا، والقضاء على المتسبب فيه من الإباضية الرستميين، لأجل ذلك وجدناهم قد هبوا عن بكرة أبيهم – كما يقال – للمواجهة عند بروز تلك الفتنة الأولى بالإمارة، والمتمثلة في الافتراق الأول بظهور فرقةالنكار أو النكارية[1]، وراحوا يدخلون معهم في صراعات فكرية وعسكرية.

لا نستبعد بأن وقوف الإمارة الإدريسية بالمغرب الأقصى هو وراء هذه الصراعات الواصلية – الإباضية بنواحي تيهرت، وخصوصا منها العسكرية حيث كانت لها اليد الطولى في تحريض المعتزلة وتشجيعهم على الإصطدام والتعارك مع الإمارة الرستمية، بسبب توسع هذه الأخيرة على حساب أراضيها ووصولها حتى تلمسان كما رأينا، فضلا عن العلاقة السيئة التي استمرت بينهما طوال تواجدهما على مسرح التاريخ.

ولسبب ثان سياسي متمثل في التنافس الشديد بينهما حول الحكم والزعامة السياسية بالمنطقة، ولسبب ثالث أخير ديني يكمن في اعتقاد الإباضية بمبدأ البراءة من إمامة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لعلّة رضاه بالتحكيم بينه وبين معاوية (رضي الله عنه)عقب

---

[1]فرقة انشقت عن الإباضية عهد الإمام عبد الوهاب بعد إنكارها لإمامته، بل ودخلت معه في معركة عسكرية خاسرة سميت باليزيدية نسبة لزعيمها أبي قدامة يزيد بن فندين اليفرني، فضلا عن تسميتها بالناكثة والنجوية والشغبية، تزعمها لاحقا أبو زيد مخلد بن كيداد اليفرني، فلقد بدأت هذه الفرقة سياسية وانتهت دينية. المصدر السابق، ص: 43، 44، 47 - 51. مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط 1، 1429 هـ/ 2008 م، 2/ 1027. علي يحيى معمر الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 2 1407 هـ/ 1987 م، ص: 64، 65. علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث مراجعة: بكير بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط 3، 1423 هـ/ 2003 م ص: 329 - 336. للوقوف على أهم معالم هذه الفرقة الدينية، ينظر في المرجع الأخير، ص: 331 - 336.

معركة صفين[21].

1- المجال الفكري أو المناظراتي للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي– الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط

فعلى هذا المستوى أو المجال فقد تعاملت الإمارة الرستمية بحزم وشدة ومواجهة جد صارمة لهؤلاء الأتباع من المعتزلة، فالتزمت الحذر التام تجاههم إذ لا شك أنها اعتبرتهم وقتها أكبر الأخطار التي تهددها بالزوال.

من هنا كان لا بد بأن تراقب هذه الإمارة هؤلاء بدقة متناهية: فتضعهم "تحت المجهر" – كما يقال – ما دام ينظر إليهم بمثابة آلة ووسيلة بيد الإمارة الإدريسية تحركهم من أجل تحقيق أهدافها، نظرا لإعتبار الأدارسة الأعداء الألداء لها الكائنين بغربها مباشرة.

وأن يعمل الرستميون على توسيع رقعة إمارتهم وذلك على حسابهم، حيث لم يمنع كل هذا من دخول المذهبين العقديين في مناظرات علمية ونزالات فكرية كأسلوب ووسيلة من وسائل الصراع السلمي الأدبي سلكه الطرفان.

إن أول ما شرع المعتزلة فيه أثناء صراعهم مع الإباضيين هو الدخول معهم في المساجلات والمناظرات الفكرية العقدية خصوصا بهدف تحميس الأتباع ورفع معنوياتهم وبالتالي تهيئتهم نفسيا بغية إعدادهم للثورة ضدهم لاحقا.

1أ- المناظرة الأولى

لا نشك أن المنازلات الفكرية والمناظرات الكلامية بين الطرفين كانت هي السابقة لأننا نرى ذلك شيئا طبيعيا، ما دام طابعها سلميا فلا تثير الريب أو تبعث على الخوف كما لا نستبعد بأن هذه المناظرة التي سنتعرض لها لم تكن هي الأولى بل سبقتهامناظرات أخرى غيرها حتى وإن لم توردها المصادر نظرا لطبيعتها السلمية.

---

[1]قرية مخربة بناها الروم، بينها وبين الفرات غلوة (أي مقدار رمية)، وقع بها اقتتال عظيم بين علي (رضي الله عنه) وأنصاره وبين معاوية (رضي الله عنه) وأنصاره سنة 37 هـ/ 657 م، دام مقام الفريقين فيها مائة وعشرة أيام تخللتها تسعون وقعة بينهما إلى أن انتهت بتفوق علي (رضي الله عنه) ومحاولات الصلح المختتمة بقضية "التحكيم". الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تقديم وتوثيق ووضع الحواشي: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية بيروت، ط 2، 1433 هـ/ 2012 م ص: 246 فصاعدا. المسعودي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط 1993، ص: 272. الرازي، المصدر نفسه، ص: 201.

[2]عمر بن الحاج محمد صالح يا، دراسة في الفكر الإباضي، مسقط، ط 1406 هـ/ 1985 م، ص: 86 87. بكير بن سعيد أغوشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 3، 1408 هـ/ 1988 م، ص: 14، 15.

نصت مصادر إباضية بشكل صريح على أن أول مناظرة وقعت بين الطرفين كانت في عهد الإمام الرستمي عبد الوهاب، وإن لم تذكر تاريخها وسنة حدوثها بالتحديد[1].

إننا نرى بأنها وقعت قبل سنة 196 هـ/ 811 م: تاريخ حدث خروج الإمام عبد الوهاب على رأس عساكره لإعادة الاستقرار إلى طرابلس بالجهة الشرقية من الإمارة، كما سجل ذلك ابن خلدون في النص السابق الذكر[2].

وإن أرخ لها الباحث المتخصص محمود إسماعيل بسنة 195هـ/ 810م[3]، لكن من غير استناد على نص أو اجتهاد منه.

لقد خرجنا بهذا الرأي دون تحديد سنة بالذات فيما يتعلق بهذه المناظرة، بدليل إيراد مصادر القوم الإباضيين لها مقدمة على نفس الحدث[4] الذي أورده ابن خلدون كذلك مؤرخا عنده بسنة 196 هـ/ 811 م[5].

لا تذكر المصادر التي تحدثت عن هذه المناظرة، والتي تعتبر إباضية كلها أي شيء تماما عن محتويات موضوعها، اللهم إلا إضفاء صفات المدح والثناء على من تصدر لها من الطرف الإباضي الرستمي، وإن كنا نرى في ذلك أمر مبالغ فيه، هذا ما يدفعنا إلى التحفظ في قبول معناها.

يدرك هذا ويتوصل إليه كل من يقرأ نصها الحرفي الآتي: "فخرج مهدي[6] للمناظرة [والذي قال عن نفسه حين سأله أصحابه بتيهرت عن تغيبه عنهم يوما واحدا]: أفحمت تسعين عالما من المخالفين [وفي رواية] رددت إلى دين الله سبعين عالما من أهل الخلاف في غيبوبتي عنكم...[و] حمدت الله على ثلاث: أقضي بقليل من النوم غرضي، وبأي طعام سددت جوعي، ولا أخشى في مخالف يفحمني في حجتي...ثم تناظرا [المهدي والمعتزلي]

[1]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 108. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط 1974، 1/ 61، 62. الشماخي المصدر نفسه، 2/ 284.

[2]ينظر بص: 84.

[3]محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 1406 هـ/ 1985 م، ص: 161.

[4]ينظر ذلك عند: أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 108، 118. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 61، 65، 66. الشماخي المصدر نفسه، 284/2، 287.

[5]إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 123.

[6]يعرف بمهدي النفوسي الويغوي، أحد المتميزين في فن الجدل وعلم البرهان والإستدلال، عد في الطبقة الرابعة (150 هـ/ 767 م - 200 هـ/ 815 م)، من أعلام الإباضية بالمغرب. الدرجيني، المصدر نفسه، 2/ 313، 314. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 272، 299 - 301.

فجرت بينهما وجوه من المناظرة والناس يعلمون ما يقولون[1]، فلم يظفر أحد بصاحبه، ثم دخلا في مناظرات لم يفقهها أحد غير الإمام [طبعا هو: عبد الوهاب]، ثم دخلا في وجوه لم يفقهها أحد ولا الإمام، فما كان بأوشك من أن ظفر به مهدي"[2].

نتحفظ كما قلنا على هذه الرواية، ولا نسلم بصحة غلبة هذا الإباضي على المعتزلي وإفحامه بالحجة والبرهان الواردة في ختامها لاعتبارين:

أولا: كون النص قدأورده مؤرخو القوم الإباضيين حصريا، ولم يخبر به ولو مؤرخ واحد من المخالفين بمختلف مذاهبهم العقدية.

ثانيا: ملاحظة الغياب التام لمحتويات ومباحث وموضوعات المناظرة خلال هذا النص، إذ لو سيقت وذكرت لأمكننا الوقوف على الأدلة وكيفيات الإستدلال بها على المطلوب لكل واحد منهما، وهل هذه فعلا من استدلالات مذهبيهما المبسوطة في تراثهما الفكري؟ حتى يحكم القارئ بنفسه ومن باب أولى الباحث، ويتبين الغالب من المغلوب في مثل هذه النزالات المذهبية العقدية.

لم تكن هذه المناظرة الكلامية بين الطرفين الإباضي والمعتزلي هي الأولى المتقدمة في التاريخ والمُبكر بها زمنيا، بل تقدمتها من غير شك – كما سبق ذكره – مناظرات عدة وإن لم نعثر لها على أثر أو نستند من أجلها إلى خبر، ما دام أن القليل من أحداث التاريخ وأخباره،والتي تعد المناظرات جزءا منه هو الذي وصلنا وأرخت له المصادر والأصول.

أما كثيره وإن كان قد يكتشف نزرا منه مستقبلا فيخرج إلى عالم النور بحكم عمليات الطبع والنشر والتحقيق، فهو عكس ذلك لأنه يعتبر في عدادالتراث المفقود نظرا للنزاعات والصراعات المذهبية والسياسية والعسكرية التي طبعت وتطبع تاريخ الشعوب والأمم والمتسببة في طمس وتشويه هذا الكثير منه.

وفعلا نحن لا نعتبر تلك المناظرة هي صاحبة السبق التاريخي، بل وقعت قبلها مثيلات لها كثيرة، منها ما أورده بشكل صريح المؤرخ الإباضي أبو زكرياء قبل أن

[1]"يقولان" هو الفعل الصحيح لغة، ما دام أنه متعلق بشخصين اثنين.

[2]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 106، 107، 108. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 60، 61، 62. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 283، 284.

يستنجدالإمـام عبد الوهاب الرستمي بإخـوانـه في المذهب بجبـل نفـوسة بغية إعانته بأهل العلم من
قبلهمكي يتصدى للواصلية المتواجدين بإمارته[1].

هذا الاستنجاد والطلب للاستعانة بهم هو الذي انتهى بإجراء المناظرة المذكورة حيث قال: "وفيهم [الواصلية] رجل منتحل للمناظرة يذب من[2] مذهبه، وقد جرت بينه وبين الإمام [عبد الوهاب] مناظرات كثيرة"[3].

1ب- المناظرة الثانية

أوردنا هذه المناظرة بعد السابقة تماشيا مع سياقها التاريخي لكون إطارها الزمني متأخر عنها، حيث حدثت في عهد الإمام الرستمي أبي اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، والذي حكم مدة (241 هـ/ 855م – 281 هـ/ 894 م)[4].

فهذه المناظرة هي الأخيرة على صعيد أو مستوى الفكر والجدال النظري التي سجلها التاريخ بين الفريقين في الفترة الوسيطية بهذا المكان، أقدم من رواها هو مؤرخ سني مالكي عرف بنسبة عالية من الموضوعية في أخباره التي أوردها عن بني رستم، وعاش في آخر تاريخها، ناقلا إياها تارة بالرواية عمن سبقه وتارة أخرى معاينة ومشاهدة لما عاصره.

وهي رواية مسندة احتوت على مجريات هذه المناظرة، نرى من اللازم تسجيلها بحذافيرها، نظرا لمصداقيتها وتوفرها على أمارات ذلك من: اتصال سندها، وحيادية صاحبها، فضلا عن موضوعيته كما سجلنا.

زد على ذلك تبنيها من قبل البرادي المؤرخ الإباضي في جواهره من غير اعتراض ألبتة مما يدل على صحتها هذا من جهة، فضلا عما تضمنته من دلائل وأحكام سنتحدثعنها لاحقا من جهة أخرى.

حيث قال ابن الصغير: "وكـان رجـل يقـال له عبد الله بن اللمطي[1]، أخبرنـي أحمد بن

---

[1]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 102. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 57. الشماخي، المصدر نفسه، 1/ 282.

[2]"عن" هي التي تصح لغة بدل "من" حتى يستقيم المعنى.

[3]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 102.

[4]الباروني، المرجع نفسه، 2/ 310. المصدر السابق، ص: 148. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 360.

[1]لم نعثر حسب اطلاعنا على ترجمة عنه، بل كل ما تحصلنا عليه من المعلومات: لا يتعدى كونه عالما إباضيا كبيرا خاصة في علم العقائد والكلام، بدليل تصدره لمثل هذا الضرب من المناظرة، كما يوحي به هذا النص. ابن الصغير

بشير عنه، قال لي: إجتمعت المعتزلة والإباضية بنهر مينة[1] لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة، وكان كثير من هوارة[2] ممن حضر يتسمى بعبد الله ولما اجتمع القوم وضمنهم المكان نادى رجل من المعتزلة يا عبد الله...فأجابه رجل من القوم، فقال: لست أريدك؛ ثم نادى ثانيا فأجابه رجل ثان، فقال: لست أريدك؛ قال عبد الله وقد علمت أنه إياي يريد فكرهت أن أجيبه خوفا من سؤاله، فقال: عبد الله بن اللمطي أريد، فقلت: لبيك، فقال لي: هل تستطيع الإنتقال من مكان لست فيه إلى مكان لست فيه؟ فقلت: لا، فقال: هل تستطيع الإنتقال من مكان أنت فيه إلى مكـان لست فيه؟ فقلت: إذا شئت، فقال: خرجتمنها يا ابن اللمطي"[3].

فهذه إذن هي منازلة علمية ومناظرة كلامية جرت بين معتزلي لم يذكراسمه وإباضي ذكر اسمه وعرف بعبد الله اللمطي حدثت في العهد المذكور حول مسالة المشيئة والقدر، أو مبحث حرية الإرادة الإنسانية إحدى المسائل العقدية التي دار حولها عهدئذ على مستوى العالم الإسلامي كله، وخصوصا بمشرقه جدال كبير وحوار معمق طويل.

إذ يكفي كأمارة ودلالة على أهميتها كونها شكلت سببا رئيسا من أسباب ظهور الفرق والمذاهب في الاسلام.

إننا ولأول وهلة نرى على ضوء هذا النص، أنه ما من أحد من الإباضية إلا وتجده يحجم عن التصدي لهذا المعتزلي، ولا يجرؤ على مناظرته بمقابلة شبهه وإشكالاته بمثيلاتها من عنده مثل ما هو الشأن الجاري في أية مناظره، بل يكتفي بالإجابة على سائله ليس إلا كهذا الإباضي،لكن بعد تردد له أمام هذا العالم الواصلي في حالة كلها استحياء وخشية من الوقوع في الحرج أمام الأتباع بذهاب هيبته وانتقاص قيمته، وما كل هذا إذن إلا دلالة على اعتراف منه وتسليم له بالغلبة والتفوق خصوصا في مثل هذه المباحث والموضوعات الحساسة.

المصدر نفسه، ص: 93، 94، 95. البرادي أبو القاسم بن إبراهيم، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، ط القاهرة، 1325 هـ، ص: 179، 180.

[1] لم نجد ذكرا أو تعريفا به في المصادر التي بين أيدينا، لكن لا نستبعد وقوعه غرب تيهرت مباشرة مسرح هؤلاء المعتزلة في اتجاه مواطن إخوانهم واصلية قبائل أوربة بطنجة ونواحيها. البكري، المصدر نفسه، 2/ 249. قدامة...المصدر نفسه، ص: 256.

[2] لأنهم بنو هوارة بن أوريغ بن برنس بن بربر. القلقشندي، قلائد الجمان...ص: 168.

[3] إبن الصغير، المصدر نفسه، ص: 93، 94، 95. البرادي، المصدر نفسه، ص: 179، 180.

1ت- إنعكاسات هذا المجال أو الضرب من الصراع على الطرفين بالمغرب الأوسط

إتعاظ الإباضيين من هذا الإخفاق أمام المعتزلة

من نتائج وانعكاسات هذا النوع من الصراع بين الجانبين الإعتزالي والإباضي وبالأخص في مجال المباحث والموضوعات العقدية تلك، أنها دلت على مقدرة فائقة منقطعة النظير فيما يخص الجانب أو الطرف الأول، وتمكنعميق له فيها معرفيا ومنهجيا وحجاجيا.

وهذا ما لم يلحظ ولو قريبا منه على الطرف أو الجانب الآخر الذي لم يتجاوز أن يكتفي بالإجابة ومن موقف جد ضعيف على ما يطرح عليه من تساؤلات كما سبق وأن ذكر النص.

مما لا شك فيه أن الإباضيين يكونوا قد استفادوا كثيرا من هذه المناظرات وما انجرّ عنها من إخفاقات لهم عقبها، فاتعظوا بها وأخدوا منها دروسا أدت بمرور الوقت والزمن إلى تفادي الأخطاء، وتحسين الأداء معرفيا ومنهجيا وحجاجيا، وإن لم يستطيعوا وقتها الوقوف أمامهم ولو من موقف دفاعي كحد اقصى نظرا للبَون الشاسع الموجود بينهما فيما يخص هذا المجال.

هذا التغير والتحسن في الأداء مستقبلا هو الذي سيشفع لهم، ويجعلهم في موقف أحسن من هذا حين ستجمعهم مثل هذه المناظرات، وإن مع مذهب آخر مغاير تماما للمذهب المعتزلي، ألا وهو المذهب العقدي السني، حيث ذكر بعضا منها صاحب كتاب „أخبار الأئمة الرستميين" وإن غلب عليها الطابع الفروعي الفقهي[1].

إهتزاز سمعة الإباضيين وارتفاع سمعة المعتزلة

كما أسهم هذا التراجع الإباضي أمام خصومهم المعتزلة في اهتزاز سمعة المذهب الإباضي على مستوى الأتباع والتأثير في معنوياتهم بالسلب، عكس ما حدث للمعتزلة وأشياعهم، حيث باستطاعتنا عد ذلك من بين أحد الأسباب الرئيسة للشروع في مناوشتهمللإباضية قتاليا ومبادأتهم لهم عسكريا، وهكذا راحوا يشرعون في شن الثورات عليهم: هذه الثورات التي ستكون نقطة بحث العنصر الآتي المباشر هذا.

[1] لتنظر عند:ابن الصغير، المصدر نفسه، ص: 117 - 120.

2- المجال الاقتتالي أو المواجهة العسكرية للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي - الإباضي وانعكاساته بالمغرب الأوسط

2أ- مجال الاقتتال أو المواجهة العسكرية للصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي - الإباضي بالمغرب الأوسط

إننا نذهب إلى أن هذه الثورة والاقتتال الذي جرى بين الجانبين يعود لسببن إثنين: أحدهما المذكور سالفا بالنسبة لمذهب الاعتزال، وثانيهما يتمثل في كثرة الانشقاقات التي حدثت داخل المذهب العقدي الإباضي، حيث عبرت عنها المصادر الإباضية بلفظ „الافتراقات„ التي أفضت فعلا إلى الصراع وتصادم الأنصار فيما بينهم[1].

إنفردت المصادر الإباضية لوحدها هذه المرة كذلك برصد عدة معارك دارت بين الطرف الإباضي والطرف الواصلي سجلها النص بالعبارات التالية حرفيا: "تحركت الواصلية بعض الحركة، وهم قوم منالبربر أكثرهم من قبائل زناتة...وقد نشأ إذ ذاك من الواصلية شاب حدثالسن، شجاع عظيم، بطل لا يقاوم له شيء، وهو ابن سيدهم وعمدتهم...وأظهروا مخالفة الإمام- رضي الله عنه- فاعتذر إليهم، وخرج إليهم بعساكر كثيرة، فقاتلهم مرة بعد مرة، وكان الفتى المعروف بالنجدة والشجاعة لا يدرك أحدا إلا قتله ولا يبارزه أحد إلا قتله، وكان لذلك الفتى أب يحرضه عند القتال ويقول له: أقدم أي بني"[2].

يفهم من النص أن هذه المعارك التي وقعت في عهد الإمام الثاني الرستمي الإباضي عبد الوهاب قد انتهت بانهزامه في كلها، وإن لم يصرح فيهبذلك لعلة انحياز من أورده من مؤرخي النحلة والمذهب.

بدليل علم هذا الإمام باستحالة التفوق على الجيش المعتزلي، هذا ما حذى به أن يرسل إلى إخوانه وعامله على جبل نفوسة طالبا منهم وعلى وجه السرعةالمدد الكفيل والعون اللازم[1].

---

[1]المصدر السابق، ص: 47 - 57. أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 88 فصاعدا، 118 فصاعدا، 138 فصاعدا. الدرجيني، المصدر نفسه، ص: 1/ 47 فصاعدا، 1/ 67 فصاعدا. الشماخي، المصدر نفسه، ص: 2/ 214 - 281.

[2]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 102. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 57. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 281، 282.

[1]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 102. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 57. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 282.

ودليل استغلال الواصلية الأمثل للظرف السيء الذي مرت به الإمارة الرستمية وقتها: بانقسامها على نفسها، ونشوب الصراعات المسلحة بين أتباعها حيث سبق التعبير عنها باسم „الافتراقات".

ثم أخيرا خروجها بالسيف عليها عقبها مباشرة، مستفيدة بذلك من تعب الإمارة وإرهاقها، بالتالي اغتنام ضعف قوتها العسكرية عددا وعدة، فكان إذن طبيعيا من جرّاء كل ذلك أن ينتصر المعتزلة ويتفوقوا عليها.

لكن هذا النصر الذي كان في صالح الواصلية لم يدم طويلا، إذ سرعان ما استجاب الأتباع المقيمون بالجبل المذكور، فانقلبت الكفة رأسا على عقب بانتصار الإمارة، بعد أن أنجدوها بالمدد وبعثوا لها بـ "رجل شجاع بطل نجد يبارز الفتى المعتزلي الموصوف بالشجاعة [وهو] أيوب بن العباس[1]...والتقى العسكران [الإباضي والمعتزلي]، والناس ينظرون إلى أيوب ويتعجبون به لما سمعوا من شجاعته ونجدته، وأنه لا يلقى شجاعا إلا قتله...فلما أمعن أهل العسكر في قتل الواصلية وأثخن، وضعت الحرب أوزارها ولم يكن يفلت من المعتزلة إلا اليسير"[2].

إننا نرجح بأن هذه المعارك التي أشعلها أتباع المذهب الواصلي ضد الإمارة الرستمية قد آزرها الأدارسة مؤازرة كبيرة بهدف القضاء عليها لاعتبارها جارة عدوة ضالة ومنحرفة عقديا في نظرهم، ناهيك عن كونها المنافسة لهم بالمنطقةحين وقوفها كحجر عترة في وجه هدفهم السياسي المتمثل في التوسع بالإتجاه الشرقي لدويلتهم.

كما أن هدف معتزلة المنطقة تمثل في الإجهاض والقضاء النهائي على هذه الإمارة الإباضية، ما دامت الفرصة السانحة قد حانت، فلا يجب التفريط فيها ألبتة بل لا بد أن تنتهز وتستغل أحسن استغلال، لكن هل بغية إقامة دويلة مستقلة تحل محلها يقودونها باسمهم، أم باسم الأدارسة وتجسيدا لهدفهم المذكور؟

---

[1] أبو الحسن، ولي على جبل نفوسة، من علماء الإباضية الكبار التي تلت طبقة حملة العلم، كما كان بطلا مقداما وفارسا مغوارا. مجموعة من الباحثين، المرجع السابق، 3/ 460، 500، 503، 504.

[2] أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 102، 107، 110. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 57، 58، 61، 62. الشماخي المصدر نفسه، 2/ 283، 285.

وإن كان رأينا يميل ويجنح لاستساغة التساؤل الأول: أي إقامة كيان سياسي مستقل لهم يحكمونه باسمهم، لتواجدهم البعيد عن إمارة الأدارسة، عكس إخوانهم في المذهب معتزلة قبيلة أوربة الذين كانوا ضمنها والذينلولاهم لما قامت للأدارسة قائمة.

حين أحسّوا مع مرور الوقت بحالة من الهيمنة الإدريسية عليهم بعد غمطهم حقوقهم وطموحاتهم، فكان أن حاولوا رفع ذلك عنهم والتخلص من التبعية لهؤلاء الأمراء العلويين وإقامة كيان سياسي مستقل باسمهم.

يدل على ذلك ما سجلته مصادر سنية ثلاثة عن محاولة فاشلة لهم في هذا المسار ذهب ضحيتها كبير أوربة يومها أبو ليلى إسحاق بن محمد بقتله من طرف إدريس الثاني سنة 192هـ/ 807 م، حين وصلته أخبار عن وقوع مراسلات سرية جرت بين هذا الأوربي وبني الأغلب أعداء الأدارسة[1].

فضلا عن محاولة فاشلة هي الأخرى، تمثلت في قيام مجموعة من البربر لا نستبعد أوربيتهم، ومن ثم اعتزاليتهم بتصفيتهم لراشد مولى إدريس الأصغر وخادمه الوفي بعد تواطئهم مع الإمارة الأغلبية[2]هذه المرة كذلك، واعتقادا منهم بأن ذلك مما سينهي إمارة الأدارسة بحرمانهالمثل هذه الشخصية الذكية المدبرة والمسيرة في الحقيقة لدواليب حكم وإدارة الإمارة.

تلك إذن هي طبيعة العلاقة والتجاور التي جمعت بين الجانبين الواصلي والاباضي فإننا نرى بأنها كانت كلها حذر وتوجس من كل طرف منهما تجاه الآخر، نظرا لطموح كل واحد منهما إلى التفوق والسيطرة على حساب الآخر.

مثل هذهالطبيعة من التجاور بين الطرفين المذكورين، ولو بنحو أدنى من مواصفاتها تلك على الأقل؛ فإننا لا نجدها فيما يخص الجانبين المعتزلي والصفري، وإن كان هذا لا يتعارض وما أورده الجغرافي المشرقي ابن حوقل منفردا بروايته له.

فهو إذن من باب لزوم جماعة من المعتزلة تجاه جماعة أخرى صفرية قوية مسلك التقية ليس إلا: بإبطانهم اعتزاليتهم وإظهارهم الشرك أو الكفر الأصلي، مادام لذلك حكم

---

[1]البكري ،المصدر نفسه، 2/ 207. ابن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 16. التنسي، المصدر نفسه، ص: 40.
[2]المصدر السابق، ص: 38.

آخر عند الصفرية يترتب عنه دعوتهم إلى دين الله تعالى وإبلاغهم به بالحسنى ومن غير إكراه أو عنف.

هكذا كان لا بد لهذه الجماعة من أن تتبع هذا المسلك أمام هؤلاء الصفرية حفاظا على أرواحها ودفعا للقتل ردة عنها، لاعتبارهم طبقا للمذهب العقدي الصفري ممن ينطبق عليهم أشد الأحكام السلبية في الإسلام، ألا وهو حكم الردة عن الدين.

يستنتج كل هذا بمجرد إعمال يسير نظر واستخدام قليل فكر في قول صاحب تلك الرواية: "وفي أخبارهم [البربر المقيمين بين السوس وفاس] أن بعض شراتهم[1]ركب في فئة من قومه، فلقي نفرا من أصحاب واصل بنواحي زناتة، فبدر إليهم وقال: من أنتم؟ وكان المسؤول لسنا[2] جدلا[3] فقال: مشركون نحب أن نسمع كلام الله، وكان يجب عليهم لوازم فيما معهم من المتاع، فقال السائل: أريحوا وأنزلوا على هذا الماء لتسمعوا وتبلغوا مأمنكم كما أمركم الله تعالى[4]، فأنزلوهم وأضافوهم وعلفوهم وأكرموهم وبلغوهم ولم يلزموهم شيئا [وأجازوهم إلى متوسط بلاد المغرب]"[5] .

2ب- إنعكاسات هذا المجال أو الضرب من الصراع على الطرفين بالمغرب الأوسط

فلقد ترتب عن هذا الصراع في هذا المجال بين كل من الطرف المعتزلي والطرف الإباضي نتائج وانعكاسات توصلنا إلى رصدها وتلخيصها في العناوينوالأفكار التالية:

كون الانتصار صارحليف الإباضية في آخر المطاف: حيث أجمعت المصادر الإباضية التي أرخت لأحداث هذا الصراع العسكري والتصادم الاقتتالي بين الجهتين الرستمية الإباضية والواصلية على أن الجهة التي حسمتالأمر في هذا الصراع لصالحها هي الجهة الرستمية.

---

[1]تسمية أطلقت على كل فرق „الخوارج„، وهي تسمية يرضون بها، لأن القرآن الكريم أورد اشتقاقين لها في سياق كله مدح وثناء، فقال عز من قائل: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ...﴾ الآية 74 من سورة النساء. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ...﴾ الآية 207 من سورة البقرة. إبن منظور، المصدر نفسه 3/ 430.

[2]معناه: من عنده فصاحة في الكلام. الرازي، المصدر نفسه، ص: 249.

[3]الشديد في الجدل والأقوى في الخصومة. إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 391.

[4]مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ الآية 6 من سورة التوبة.

[5]إبن حوقل، المصدر نفسه، ص: 103.

وهكذا خرجت هي المتفوقة في الأخير وصاحبة الغلبة في النهاية[1]، بفضل المعونات والمساعدات المكثفة بشكليها الأدبي والمادي، والتي كانت تصلها تباعا وفي أوانها من قبل الإخوان في المذهب الإباضي بجبل نفوسة كما سبق وأن ذكرنا ذلك.

كما يفهم بأن هذا النصر قد استمر قائما مدة بعد ذلك حتى نهايتهما وزوالهما على يد الدولة العبيدية[2]سنة 296هـ/ 908 م، مادامت نفس المصادر بل وكل مصادر هذا البحث سكتت تماما بعده ولم تتكلم عنه إطلاقا.

إستمرار الصراع بينهما ولو بدرجة أقل: وإن كنا نرجح بأن التنافس بين الطرفين قد تواصل ولم يتوقف ولو بوتيرة ضعيفة، حتى وإن لم تذكر المصادر ذلك لا من قريب ولا من بعيد، بحكم الانتصار العسكري الإباضي على الطرف الواصلي والتفوق عليه لاحقا.

كما أن ظاهرة استمرار هذا الصراع بينهما، لا شك أنه يعود إلى كثرة الفتن ونشوب الانشقاقات السياسية والمذهبية داخل المجتمع الرستمي، كما سجل ذلك تارة بالعبارة والشكل الصريح، وتارة أخرى بالإشارة والشكل الإيحائي صاحب مؤلف ,,أخبار الأئمة الرستميين,,[3].

فضلا عن عامل انشغال الإمارة الرستمية بالمناظرات والسجالات العلمية التي جرت بين الإمارة وأنصار المذهب السني الذي مثله مالكية وأحناف،والتي كانت ذات طابع عقدي وفقهي، وإن غلب عليها هذا الأخير[4]، حيث تواصلت تلك المناظرات ولم تفتر أو تنقطع إلا بزوال الإمارة بعد القضاء عليها من قبل العبيديين.

إعتبار هذا الصراع بينهما أحد أسباب انهيار الإمارة الرستمية: لا نشك بأن بداية الصراع وتواصله بين الجانبين ولو بهذه الدرجة والوتيرة الضعيفة يعتبر من بين أسباب تراجع وضعف الإمارة، وهو فعلا مما أدى إلى دخولها في حالة عدم استقرار واهتزاز

---

[1] أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 110. الدرجيني، المصدر نفسه، 2/ 285.

[2] نسبة إلى مؤسس الدولة أبو محمد عبيد الله المهدي، حكم خلال (297 هـ/ 909 م - 322 هـ/ 933 م). النعمان أبو حنيفة النعمان بن محمد، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي الشركة التونسية للتوزيع بتونس، وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ط 2، 1986، ص: 290، 293، 329.

[3] إبن الصغير، المصدر نفسه، ص: 47 فصاعدا.

[4] رصد بعض منها في: المصدر السابق، ص: 117 – 120.

لسمعتها ومكانتها، سواء على مستوى الأتباع، أو على مستوى المخالفين، ثم انهيارها التام في آخر الأمر.

كما لا نعجب من بين تداعيات ذلك، ألا وهو القضاء على هذه الإمارة وإنهائها في مدة زمنية جد قصيرة، بحيث لا نجد لها نظيرا أو مثيلا في كل تاريخ الصراعات والحروب بين الدول، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الانهيار الكامل والضعف التام التي وصلت إليه الإمارة وقتها من جهة، ومدى القوة الكبيرة التي تمتعت بها الدولة العبيدية الجديدة من جهة أخرى.

الفصل الرابع

ملابسات وظروف تواجد المذهب العقدي الواصلي أو المعتزلي بإفريقية

1- ملابسة أو ظرف العامل التجاري

2- ملابسة أو ظرف العامل الجغرافي

3- ملابسة أو ظرف العامل الحضاري

4- ملابسة أو ظرف العامل السياسي

إلى هنا لم يبق لنا فيما يخص هذا الفصل إلاّ الحديث النهائي عن الواصلية محور الفصول السابقة، لكن هذه المرة لا بعلاقتها مع الأدارسة والرّستميّين كما مر، بل مع المذهب العقدي السنّي وبالأخص المدرسة المالكية منه بمنطقة إفريقية حين صارت هذه المدرسة صاحبة الأمر والنهي بها.

لقد سبق وأن أوردنا سلفا بأن المذهب العقدي المعتزلي وجد بالمنطقةالمذكورة وبالتحديد على أرض القيروان قبل سنة 176هـ/792م للدليل النصي الذي سقناه آنفا.

إن كانت المصادر التي بين أيدينا عموما والواصلية منها على الخصوص، والتي لا يستبعد طمسالكثير منهذه الأخيرة من قبل الخصوم والمخالفين لهم في الاعتقاد عقب الانتصار عليهم وقهرهم بالجبهات العسكرية والسياسية لا تسعفنا بالإخبار عن التاريخ الدقيق لتواجد أهل الاعتزال على أرض إفريقية.

إلا أننا نرجح ظهورهم ضمن الفترة الممتدة من ما قبل سنة 131هـ/748م: تاريخ وفاة أحد الأعلام الكبار المؤسسين للمذهب الواصلي، ألا وهو واصل بن عطاء حين إيفاده أول دعاة له وإرساله إلى المغرب الإسلامي من أجل نشر المذهب هناك،وبين سنة 176هـ/792م، للعلل والقرائن التي سبق لنا إيرادها.

هذا فيما يخص الإطار الزمني لتواجد المعتزلة بالمنطقة، أما فيما يتعلق بالإطار المكاني لهم على أرضها: فلقد ذكرت المصادر السنية بأنه قد وجد بإفريقية عالما واصليا نعتته بابن صخر المعتزلي.

وذلك في سياق إيرادها لحدث رفض ثلاثة علماء كبار من المذهب السني جميعهم وهم: عبد الله بن غانم، وعبد الله بن فروخ، والبهلول بن راشد تأدية صلاة الجنازة على ابن صخر هذا حين قدم في نعشه أمامهم واحدا تلو الآخر، لا شيء إلا لنحلته وما يذهب إليه من الإعتزال كما سبق ذكره.

كما انفرد القاضي عياض صاحب „ترتيب المدارك..." بالإخبار صراحة عن وقوع هذا الحدث بالضبط على أرض مدينة القيروان، حيث يفهم هذا ولأول وهلة من قوله في تصديره لترجمته لإبن فروخبأنّه " سكن القيروان وأوطنها"[1].

[1] عياض، المصدر نفسه، 1/ 194.

أمر طبيعي أن يحدث مثل ذلك بهذه المدينة أو الحاضرة، بحكم ما عرفته من أمن واستقرار، وما ألفته من تسامح عقدي فكري بين مكوناتها من أصحاب المذاهب العقدية المختلفة عهدئذ.

حتى وصفها أحد المؤرخين القدامى قائلا بأنها عدت " دار ملك المسلمين بإفريقية منذ الفتح... ودار العلم بالمغرب، إليها ينسب أكابر علمائه، وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم"[1].

فضلا عن ذلك، فإننا سنذكر بأنه وجد غير واحد من أعلام الواصلية أو المعتزلة بإفريقية، والذين سنأتي إلى ذكرهم لاحقا من خلال الكلام عن مجالات الصراع بين الطرفين الواصلي والسني.

أما عن أسباب وعوامل مجيء هؤلاء الدّعاة من المعتزلة إلى إفريقية واستقرارهم بها، فبإمكاننا حصرها في ما يلي:

1- ملابسة أو ظرف العامل التجاري

لما يدره هذا النشاط التجاري من أموال ومكانة اقتصادية... تكون الدعوةالواصلية في حاجة ملحة وماسة وضرورية إليها من حيث: شراء الأسلحة إذا أريد كسب المعارك العسكرية من جهة.

وكذلك تأليف للمخالفين حتى يقبلوا على الدعوة، وتكثير للأنصار تحقيقا للقوة العددية، مع ترسيخ القناعة لدى الأتباع لبلوغ التفوق على المذاهب العقدية الأخرى المنافسة لها، ثمالحفاظ عليه باستمرار.

خاصة إذا علمنا أنّ فعالية هذا العامل تصير أكثر وأقوى إذا قام به الدعاة للمذهب أنفسهم، لأنهم الوحيدون من بين الفئات الاجتماعية الأخرى الذين يعرفون كيف يصرفون هذه التجارة ونشاطاتها فيما يعود بالنفع الجليل والمصلحة المحققة على المذهب العقدي المعتزلي.

لقد عثرنا في ثنايا مصدر للقوم على نص مهم جدا هو بمثابة بيت القصيد والشاهد في هذا الشأن، إذ باستطاعتنا حوصلته في:

---

[1] المراكشي، المصدر نفسه، ص: 255.

تردد أحد دعاة المعتزلة أبي عمرو عثمان بن أبي عثمان الطويل في الاستجابة لشيخه أبي حذيفة واصل بن عطاء، حين رغّبه في الذهاب إلى أرض أرمينية من أجل الدعوة إلى المذهب[1]، لاعتبار الذهاب إلى هناك مما يجني ربحا تجاريا أقل مقارنة بالمكان الذي هو مقيم فيه، وقائلا له :" يا أبا حذيفة خد شطر مالي وأنفذ غيري"[2].

فكان أن رد عليه شيخه ونصحه بما رغبه فيه أولا، لما سيعود عليه بالنفع الدنيوي والأخروي أكثر مما هو عليه بقوله:"إمض يا طويل، فلعل الله أن يصنع لك"[3].

فكانت النتيجة والمآل فعلا كما أخبر الشيخ بعد خروج داعيته عثمانهذا لما رغبه فيه، حيث ربح ربحا أكبر قدر بألف درهم، وأجابه خلق أكبر ببلاد أرمينية[4].

هذا كله مما يدل على ما مدى أهمية مهمة التجارة بالنسبة للدعاية الاعتزالية عند منظر الواصلية الأكبر وتلامذته الدعاة، بل وعند جميع دعاة المذاهب الإسلامية جميعها وبلا استثناء وقتها.

ومما يدل على ممارسة الكثير من أعلام المعتزلة الحرف والصنائع وإقبالهم على أنواع التجارات الأخرى، لما لها من تلك الأهمية البالغة والتأثير الأكبر وقتها،هو "ألقاب الكثير منهم مثل: الغزال[5]والعلاف[6]والنظام[7]والشحام[8]والخياط والأسكافي[9]"[10].

إذن هي نعوتات وأوصاف كما نرى لا تخرج إطلاقا عن نشاطات اقتصادية متنوعةليس إلا، حتى وإن دل ذلك بطريق الإيحاء والإشارة على تحريهم للزرق الحلال في الإقتيات والبيع والشراء...بالنأي بعيدا عن حالات الشبه والريبة فيما يتعلق بمصادر

---

[1] البلخي، المصدر نفسه، ص: 67.
[2] المصدر السابق، ص: 67.
[3] المصدر السابق، ص: 67.
[4] المصدر السابق، ص: 67.
[5] من باشر حرفة الغزل ونسج الخيوط. الذهبي، المصدر نفسه، 4/ 611. الرازي، المصدر نفسه، ص: 198. المنجد في اللغة، دار المشرق، بيروت، ط 25، 1975، ص: 550.
[6] بائع العلف: وهو شرب وطعام الدابة. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 839.
[7] الممتهن لبيع الخيوط الناظمة للؤلؤ. الرازي، المصدر نفسه، ص: 278.
[8] من يمتهن تليين الآلات بالشحم وهي مادة دهنية تستخرج من الحيوان وغيره. رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري، دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1 1423 ه/ 2003 م، ص: 263.
[9] الصانع أيا كان، وخصه البعض بالنجار. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 309.
[10] علي الشابي وأبو لبابة حسين وعبد المجيد النجار، المعتزلة بين الفكر والعمل، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ط 1979، ص: 49.

الإسترزاق الأخرى، فهو لا ينفي ما قد ذهبناإليه.

إبتداؤنا بالعامل التجاري هذا، لا شك بأنه مقصود، لما ينفرد به من فعالية وتأثير بالغ الأهمية على أية دعوة من جهة، كما لا يمكن لأصحابها إن كانوا دعاة إهمال هذه المهنة بأي حال من الأحوال لما تعود به من نفع جم يخدم المذهب فضلا عن خدمته للمؤالفين والمخالفين من جهة أخرى.

وهذا ما لا ينطبق على المهن والنشاطات الأخرى غير التجارية التي لا بد من تلبس بعض الدعاة بها وإتيانها لكسب أقواتهم الأساسية وتلبية حاجياتهم الضرورية لا أكثر ولا أقل أو كحد أدنى.

2- ملابسة أو ظرف العامل الجغرافي

المتمثل في البعد الشاسع لحاضرة القيروان بالنسبة للمغرب الإسلامي عن مركز الخلافة الإسلامية، حيث عدت من أجل ذلك وطيلة القرون الثلاثة الهجرية الأولى الحاضرة الأكبر عمرانا، والأبعد مسافة عن العاصمة مقر الخليفة الأموي بداية ثم العباسي لاحقا.

فرغم بعد المركز أو عاصمة الخلافة الإسلامية تلك،واعتبارها وقتها بمثابة عامل دفع وطرد لكل معارض فردا كان أم جماعة أو مذهبا، إلا أن القليل القليل منهم من كان ينجو من ملاحقات ومطاردات دائمة لهم من قبل جنودها وعيونها المنتشرين عبر أراضي الخلافة وأطرافها غربا وشرقا.

حتى أنه من شدة هذه المطاردة للخصوم والملاحقة الجادة المستمرة لهم فإن جنود وأتباع الخلافة استطاعوا تحقيق وبلوغ جل أهدافهم في هذا المجال: فكان منها أن طالت أيديهم مكانا بعيدا جدا بهذه الناحية المغربية، بل وتحديدا في أقصى غربهابينه وبين القيروان مثل ما بين هذه الأخيرة ودمشق أو بغدادمن المسافة تقريبا.

تكللت فعلا بالنجاح، وهذا باغتيالها العلوي إدريس الأكبر أحد الأعداء الألداء للخلافة العباسيةعهدها، وفي عقرداره بالمغرب الأقصى سنة 175هـ/791م[1]، حيث لم تكتف بذلك بل

[1] يحيى بن خلدون، المصدر نفسه، 1/ 166. التنسي، المصدر نفسه، ص: 36، 37. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه ص: 179، 180.

قامت بعدها بمدة يسيرة جدا بالتصفية الجسدية كذلك لمولى هذا العلوي وخادمه الأوفىومؤدب ابنه إدريس الأصغر راشد بنفس المكان[1].

من هنا وبفضل هذه الخاصية الجغرافية التي انفردت بها الحاضرة المذكورة فإنها استحقت بأن تصير مكان جذب واستقطاب لهؤلاء المطاردين المتنوعي والمختلفي المشارب الفكرية والأصول العقدية.

لأجل هذا نجد بأنه قد توافدت عليها النحل والفرق والمذاهب، هاربة من ملاحقة جيوش وعيون الحكام بالمشرق الذين ضيقوا عليها وصادروا أفكارها وهكذا وجدت القيروان نفسها ملجأ حصينا لتلك المذاهب ودعواتدعاتها[2].

3- ملابسة أو ظرف العامل الحضاري

باعتبار مدينة القيروان بداية كأول وأقدم قاعدة أو حاضرة أنشئت بالمغرب الإسلامي:حيث عدت في بداية أمرها وانطلاق مسارها الحضاريبالنسبة للفاتحين المسلمين الجدد بمثابة "معقل حصين يحميهم...بعد انتهاء أعمالهم لإصلاح شؤونهم واستجماع قواهم وتضميد جراحهم، وتجديدأسلحتهم"[3].

وهكذا جعلت هذه القاعدة منطلقا لبعث الفتوح وإيفاد العساكر إلى الأطراف والمناطق النائية البعيدة، تارة ابتغاء بث الدعوة الجديدة ونشرها، وتارة أخرى من أجل ترسيخالدين بتمكينه في قلوب السكان الأصليين من البربر.

ثم أخيرا مستقرا لراحة جند المسلمين رفقة خيلهم ودوابهم حتى يكسبوا جهداونشاطا جديدين يستطيعون بهما معاودة عمليات الفتوح مجددا وباستمرار؛ وبهذا اعتبرت القيروان قاعدة ثابتة خلفية لهم في مرحلة أولى لها.

بالفعل صارت هذه الحاضرة أو المدينة الأولى بالمغرب الإسلامي كذلك واستطاعت أن تحقق كل أهدافها الأولى تلك، والمتلخصة عهدها في استكمال عمليات الفتح الإسلامي

---

[1] التنسي، المصدر نفسه، ص: 38. يحي بن خلدون، المصدر نفسه، 1/ 166، 177. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه ص: 178. ابن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 200.

[2] مقال بعنوان ,,محمد بن سحنون المتكلم السني: دراسة تحليلية لفكرة الكلام,, لعمار الهمادي، ضمن: محاضرات ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4 - 5 - 6 ذو القعدة 1414 هـ/ 15 - 16 - 17 أفريل 1994، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ط 1، 1995، ص: 458.

[3] موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورة الخوارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط 2، 1981، ص: 28.

به والمسح الديني الشامل له تقريبا.

إن أول من تفطن للزوم إقامة هذه القاعدة بالمغرب الإسلامي، فسارع لتجسيدها على أرض الواقع حتى تضطلع بهذه المهمة أو الصلاحية، فضلا عن مهام أو صلاحيات أخرى سنأتي على ذكرها لاحقا هو عقبة بن نافع[1].

بحيث تدرك هذه المعاني والدلالات صراحة من خلال قول عقبة لأصحابه والذي نقله كل من المؤرخين النويري وابن عذاري بأن:"إفريقية إذا دخلها إمام تحوموا بالإسلام [وفي رواية ابن عذاري: أجابوه إلى الإسلام]، فإذا خرج منها رجع من كان أسلم منهم وارتد إلى الكفر، وأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة نجعل بها عسكرا وتكون عز الإسلام إلى آخر الدهر"[2].

ثم صارت لاحقا وفي مرحلة تالية بعد إتمام جند المسلمين عمليات فتح المنطقة بمثابةالعاصمة الجهوية للدولة المركزية المتمثلة في الخلافتين الأمويةوالعباسية بحيث: تدار انطلاقا منهما الجهات الغربية كإفريقية والمغرب والأندلس.

ومنطلقا يبعث منها كذلك عمال المناطق وأمراء الأجناد، فضلا عن اعتبارها دارا لمقام الولاة المعينين من طرف خليفة المسلمين طيلة ما سمي بعصر الولاة[3]، وهذا انطلاقا من سنة 55هـ/674م تاريخ الانتهاء من بناء القيروان:هذا التاريخ بالتحديد الذي ينفرد بتسجيله المؤرخ النويري[4].

---

[1] بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن مطرف بن الحارث بن فهر، ولد قبل وفاته (صلى الله عليه وسلم) بسنة، وليّ على المغرب مرتين: الأولى على القول الراجح (50 هـ/ 670 م – 55 هـ/ 674 م) والثانية على القول الراجح كذلك (62 هـ/ 681 م – 63 هـ/ 682 م)، قتله كسيلة البربري بعد تواطؤه مع الروم ونصبهم لكمين أوقعوه فيه. إبن عذاري المصدر نفسه، 1/ 19، 21، 23، 29. إبن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1416 هـ/ 1996 م، ص: 335، 337. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1414 هـ/ 1993 م، ص: 158، 192. البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحي، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، ط 1، 1403 هـ/ 1983 م، ص: 225 226. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 7. النويري أحمد بن عبد الوهاب، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د. ت، ص: 187، 188 189، 190. الذهبي محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات (61 هـ - 80 هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1423 هـ/ 2003 م، ص: 188، 189.

[2] النويري، المصدر نفسه، ص: 187. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 19. الحميري، المصدر نفسه، ص: 486.

[3] استمر عصر الولاة بالمغرب والأندلس مدة (88 هـ/ 706 م – 184 هـ/ 800 م). إبن عذاري المصدر نفسه 1/ 46، 91.

[4] النويري، المصدر نفسه، ص: 189.

إننا نعتبر هذا التاريخ هو المقبول والراجح عقلا وواقعا إذا ما قارنا بين النصوص المتعلقة بالحدث: لأنه لا يمكن تحققه ووقوعه إلا خلال الفترة الأولى لولاية عقبه، أي بين (50هـ/670م-55هـ/674م)[1]، ما دامت هي الأطول فترة قضاها كوال على المنطقة من فترتيه بها.

حيث يمكنه عبرها إتمام بناء هذه المدينة، بخلاف ولايته الثانية التي مادامت إلا مدة سنة واحدة أو أقل (62هـ/681م-63هـ/682م)[2]، المستبعد فيها إنجاز كل ذلك نظرا لقصرها الشديد جدا؛ فضلا عن كونها عدت مركز إشعاع علمي كبير، غصت بها علوم وفنون شتى، حتى وصف الجغرافي الحميريصاحب ،،روض المعطار...،، ونعت أغلبعلمائها بالتفنن في العلوم[3].

قد تكون المدينة اصطبغت بهذا الطابع، وتحققت فيها تلك الأوصاف نتيجة إحدى بركات وحسنات عقبة بن نافع بسبب استجابة الله تعالى لدعائه المنسوبله – إن صح – حين توجه به إلى الله عزوجل، متبتلا إليه خاشعا، وطالبا منه جل وعلا بأن يملأها (أيالقيروان) علما وفقها، ويملأها بالعابدين والمطيعين له ويجعلها عزا لدينه وذلا علىمن كفر به، ويعز بها الإسلام، ويصلح بها المغرب ويمنعها عن جبابرة الأرض[4].

إذ يتأكد ذلك خاصة إذا علمنا تسجيل جل من أرخ له بأنه كان رجلاصالحا ورعا مستجاب الدعاء عند الله تبارك وتعالى[5].

وإن كان الأهم من كل ذلك وأكبر فيما يخص الحاضرة المذكورة كونها شكلت طيلة مدة ليست بالقصيرة بيئة فكرية فريدة من نوعها بمنطقة المغرب الإسلامي.

شأنها في ذلك شأن الحواضر الإشعاعية الكبرى المعاصرة لها بالمشرق الإسلامي:

---

[1] إبن عذاري، المصدر نفسه، 19/1، 21. البلاذري، المصدر نفسه، ص: 225. خليفة بن خياط المصدر نفسه ص: 158. النويري، المصدر نفسه، ص: 187، 189. الحميري، المصدر نفسه، ص: 486.

[2] إبن عذاري، المصدر نفسه، ص:23. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص:337. خليفة بن خياط، المصدر نفسه ص: 192. النويري، المصدر نفسه، ص: 190. الذهبي، المصدر نفسه، ص: 188، 189.

[3] الحميري، المصدر نفسه، ص: 486.

[4] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 8. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 56. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 23. النويري، المصدر نفسه، ص: 188.

[5] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 21. البلاذري، المصدر نفسه، ص: 226. الذهبي، المصدر نفسه، ص: 189. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 57. النويري، المصدر نفسه، ص: 187. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 333. خليفة بن خياط، المصدر نفسه، ص: 158.

حيث رواج العلوم والفنون، وتعايش الأفكار بمختلف مشاربها وتياراتها العقدية والفقهية...وخصوصا في عصر الإمارة الأغلبية التي تولت الحكم على أرض إفريقية خلال (184هـ/800م-296هـ/908م)[1].

إستمرت مثل هذه البيئة الفكرية وهذا الجو الثقافي المتميز قائما بالقيروانحتى قبيل تواجد الإمام سحنون[2]، الذي يعتبر أول من وضع حدا لمثل هذا الجو وتغييره من تعايش بين المذاهب، وقبول بعضها بعضا إلى الإبقاء على مذهب واحد منها فقط، ألا وهو المذهب السني أصولا والمالكي فروعا.

بعد إبعاد كل ما سواه من المذاهب الأخرى المخالفة له، مستعينا في ذلك بقوة الحكم والسلطان الذي أوتيه حين عين قاضيا على إفريقية سنة 234هـ/848م[3]، وهذا ما لم يفعله أيّ قاض من القضاة قبله مع أي مخالف مهما كانت عقيدته ومذهبه.

لقد منع الإمام سحنون عمل المذاهب الأخرى المخالفة للمذهب السني المالكي منعا باتا وأوقف نشاطها تماما، سواء في المساجد حيث: اعتبر أول من شرد أهل الملل والنحل من صفرية وإباضية ومعتزلة، ومنعهم من حلق التدريس بها[4]، وكذلك خارج المساجد: حيث منعهم كذلك من تأديب الصبيان والاجتماع فيما بينهم[1]، كما أصدر أوامره الصارمة

[1] النويري، المصدر نفسه، ص: 253، 290.

[2] أبوسعيد عبد السلام بن سعيد، لقب بسحنون (إسم طائر) لحدة ذكائه، ولد سنة 160 هـ/ 776 م بالقيروان، يعتبر أحد شيوخ المالكية بإفريقية، عرف بالفقه والحفظ والعلم مع الصرامة في الصدع بالحق والزهادة في الدنيا، أفقه أصحاب مالك في عهده، إعترف له بالإمامة في المذهب مشرقا ومغربا، سمع عن ابن القاسم وأشهب وابن زياد والبهلول وابن غانم... ما منعه من لقيا مالك إلا الفقر كما صرح هو بنفسه، ولي قضاء إفريقية مدة ست سنوات بلا مقابل، إعتبر أول قضاة إفريقية الذي منع حلق المخالفين وإمامتهم للناس وتأديبهم للصغار...ومن خالف منهم عوقب، فكان ذلك من بين الأسباب الرئيسة لانتشار المذهب المالكي بإفريقية، توفي سنة 240 هـ/ 854 م. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 184 - 187. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 345 - 375. عياض، المصدر نفسه، 1/ 339 - 363. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 77- 104. إبن فرحون، المصدر نفسه، ص:263 - 268. إبن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1994، 3/ 180 - 182. الذهبي، العبر...1/ 340. إبن كثير البداية...2/ 1614. النباهي أبو الحسن بن عبد الله، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري، بيروت، د. ت، ص: 28 - 30. الخشني، قضاة قرطبة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 2 1415 هـ/ 1995 م، ص: 93. الخشني، كتاب طبقات...ص: 236.

[3] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 185. عياض، المصدر نفسه، 1/ 345.

[4] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 148. عياض، المصدر نفسه، 1/ 347، 348.

[1] المصدر السابق، 1/ 348.

ضد من يخالف ذلك بعقوبةالتعزير[1] حبسا أم جلدا[2].

زبدة القول فيما يخص هذا الجو الإيجابي المتميز لهذه الحاضرة، والذي سبق مجيء قاضي إفريقية الإمام المالكي سحنون:هو أنه انفرد واختص بتعايش للمذاهب المختلفة المشارب مصادرا، والمتنوعة الاعتقادات أصولا والمتباينة العبادات فروعا وفقها من غير إقصاء لأي طرف كان، بل قبولا بها في ظل منتهى الحرية رغم التعارض والتضاد فيما بينها.

إذ الفيصل بين هذه المذاهب هو تلك السجالات الفكرية والمناظرات العلمية المثالية الرائدة عبر حلق المساجد والمناسبات وغيرها...أين يحترم الرأي والرأي الآخر من غير إبعاد وإقصاء أو قلة احترام له، تبعا لأدب جم للحوار النموذجيواستمساك بشروطه الصارمة.

بالتالي فلا تكون الغلبة إلا لمن ملك ناصية فن الجدل الحسن وتسلح بالحجة الداحضة؛ من هنا فالأمر طبيعي أن ينجذب الواصلية أو المعتزلة نحو هذه المدينة، ولا يتوجهون إلا إليها لما اختصت به من تلك المواصفات المستقطبة التي ذكرنا بعضا منها، فضلا عن كونها الوحيدة بإفريقية وقتئذ والتي سمحت لهم بأداء نشاطهم الأسمى، ألا وهو تبليغ الدعوة ومقارعة المخالفين بالحجة القائمة على المنطق والعقل لا بغيرهما تبرئة للذمة وإرضاء للمولى عز وجل.

4- ملابسة أو ظرف العامل السياسي

وأخيرا يجب أن لا ننسى ما لهذا العامل الأخير الذي سنختتم به الفصل من أثر بالغ لا يقل أهمية عن دور وأثر العوامل الأخرى التي عرضناها سلفا فيما يخص ظاهرة التواجد المعتزلي بالقيروان، والذي كانت من ورائه الإمارة الأغلبية صاحبة الدور الأكبر في تشكيله، لما لها في ذلك من المنافع، وما يعود عليها من المصالح أصالة، وعلى المذهب الواصلي أوالمعتزلي وجماعته تبعا.

[1] مفهوم التعزير شرعا: هو تأديب على ذنوب لم تشرع فيها حدود، والتعازير هي عقوبات غير مقدرة ولا محدودة تبدأ بالأدنى كالنصح لتتدرج...حتى تصل إلى الأقصى المتمثل في القتل، كما يترك للقاضي اختيار التعزير المناسب للجرم وملابساته. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2 1406 هـ/ 1986 م، 1/ 685.

[2] المصدر السابق، 1/ 348. الدباغ، المصدر نفسه، 1/ 87 - 88.

فضلا عن عمل هذه الإمارة على كسب ود ومؤازرة الخليفة العباسي المقيم ببغداد أمام منافسين لها، والثبات على تحديهم بهدف الاستمرار والبقاء في الحكم مدة أطول كالإمارات: الأموية بالأندلس، والإباضية المتاخمة مباشرةبالمغرب الأوسط، والإدريسية والمدرارية بالمغرب الأقصى، كلها في حالة يقظة وتأهب لتتربص بها الدوائر وتتحين الفرص المواتية بغية القضاء عليها.

ولم لا التوسع على حساب الإمارة الإباضية على وجه الخصوص، حيث لايمكن تحقيق كل ذلك إلا بعد مساعدات كبيرة مستمرة، وتأييد مطلق من قبل الخلافة العباسية القوية الجانب، وهذا وحده الكفيل بدوامالنفع على الأغالبة وتجسيد مصالحهم.

أما ذاك الذي يعود بالمصالح على الطرف العباسي، فيتخلص في اعتبار الإمارة الأغلبية بمثابة سد منيع في وجه تلك الإمارات المذكورة الطموحةوالمعادية لها، بهذا تمثل الإمارةحائلا دون طموحات وتوسعات الإباضيين الجغرافية بالأخص من جهة.

ووقوف العباسيين عبر هذه الإمارة الخادمة عن كثب بالنسبة لكل ما يجري بالإمارة الأموية بالأندلس، الطامعة والساعية لاستعادة الخلافة الإسلامية التي حرمها منها العباسيون من جهة أخرى.

من هنا ولأجل هذا، فإن العلاقة بين العباسيين والأغالبة صارت علاقة ضرورية واستراتيجية بامتياز أملتها تلك الظروف والملابسات التاريخية وقتها واستمرتكذلك حتى تغير تلك الملابسات ونهاية إمارة الأغالبة على يد الدولة العبيدية سنة 296هـ/908م[1].

نذكر من بين علامات وأمارات مثل هذه العلاقة الحيوية بين الطرفين العباسي - الأغلبي ما يلي: كتابة الخليفة العبـاسي هارون الرشيد[2]عهد الولاية على إفريقية لإبراهيم بن الأغلب[21].

---

[1] إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 210. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 145، 149. النويري، المصدر نفسه ص: 296.

[2] الخليفة العباسي الخامس، حكم على القول الراجح خلال (170 هـ/ 786 م – 193 م/ 808 م). الدينوري، المصدر نفسه، ص: 562، 572.

[1] عرف بالفقه والتدين، كان شاعرا وخطيبا مفوها، كما اشتهر بالرأي والحزم فضلا عن العلم بالحروب ومكائدها، كذلك كان عادلا وصاحب سيرة حسنة بين رعيته، أسس إمارة الأغالبة سنة 184 هـ/ 800 م، وتوفي سنة 196هـ/ 811 م. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 176، 186. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 92، 95. النويري، المصدر نفسه ص: 252، 253، 255. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 199، 200.

بل وجدد له نفس هذا الخليفة العباسي العهد، وإن كان في هذه المرة قد كتب له العهد بالإمـارة لا الولاية،وهذا بمناسبة تأسيس إبراهيم هذا الإمـارة الأغلبيةسنة 184هـ/800م[2] حين استقر له الملك على أرض إفريقية نهائيا.

كما أن الخليفة المذكور هو الذي قام بنفسه بتعيين العالم السني المالكي عبدالله بن غانم ككبير القضاة على مستوى الإمارة بإفريقية، واستمر على هذه الوظيفة إلى أن مات سنة 190هـ/805م بعد أن أمضى في هذا المنصب مدة طويلة قدرت بعشرين حولا من غير انقطاع بدءا من سنة 171هـ/787م، ومن غير أن يعزل من قبل أحد[3].

إن هذا الخليفة ذاته هو من كان يكاتب الإمام ابن غانم باستمرار، وبطريقة مباشرة من غير أن يمرعبر واسطة الأمير الأغلبي، بل وجرت العادة أنه كان كلما راسله صدر كلامه إليه بعنوان مبناه الحرفي "من هارون أمير المؤمنين إلى قاضي إفريقية عبد الله بن عمر بن غانم"[4].

فلقد باشر القاضي ابن غانم هذا عمله وتصرف في وظيفته تلك طيلة هذه المدة بحرية كاملة واستقلالية تامة: فلم يخضع لتوجيهات ولا لضغوطات أحد حتى ولو كان الخليفة العباسي الحاكم الأعلى وصاحب الفضل في تعيينه على رأس تلك الخطة القضائية.

حيث أننا نفهم ذلك من حوار دار بين القاضي والأمير الأغلبي إبراهيم أورده بجلاء ووضوح كل من المالكي والرقيق القيرواني والدبـاغ بمناسبة وصول كتابين مستقلين من قبـل الخليفة العبـاسي هارون الرشيد إلى كل منهما.

فكان أن قرأ كل واحد كتابه، لكن حدث بعد ذلك أن قدم الأمير كتابه للقاضي كي يطلع عليه، في حين لم يفعل القاضي مثل هذا العمل تجاه الأمير الذي سأله قائلا: "أما علمت أنه يقال إن أمير إفريقية يقتل قاضيها؟"[1].

---

[1] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 185. النويري، المصدر نفسه، ص: 252.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 186. خليفة بن خياط، المصدر نفسه، ص: 381. إبن عذاري، المصدر نفسه 1/ 92. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 199.

[3] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 116، 117. الخشني، المصدر نفسه، ص:225. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 217 220، 221، 222. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 191، 192، 196. عياض، المصدر نفسه، 1/ 180، 185. الدباغ، المصدر نفسه، 1/ 288، 291، 292، 298، 299.

[4] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 192.

[1] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 226. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 195. الدباغ، المصدر نفسه، 1/ 301 302.

فكان أن رد عليه القاضي بقوله:" أعلم أن قد ذكر ذلك، ولكن لست أنت ذلك الأمير ولا أنا ذلك القاضي"[1]، وأن القاضي المذكور ما كلف بمهمة القضاء إلا من قبل الخليفة وبعد كتابة منه مباشرة، لا من قبل الأمير كما سبق إيرادهبالتالي فالعزل لا يكون إلا من طرفه لا من طرف غيره مهما كان.

هذا إذن عن مظاهر تلك العلاقة الاستراتيجية من جهة الخلافة العباسية تجاه الإمارة الأغلبية، وفي المقابل نجد الأمير الأغلبي يقدر ويحترم كل ما يصدر عنالخليفة فيطيعه في كل ما يأمر به ويمتثل له، حيث أن علامات وأمارات ذلك كثيرة، نذكر منها:

ما توحي إليه النصوص السابقة الإيراد، إذ يفهم منها قبول الأمير الأغلبي التعيين الخليفي المتعلق بالقاضي ابن غانم، وعدم الاعتراض عليه بأي شكل من الأشكال، رغم أن ذلك يعتبر كما جرت العادة من صلاحيات الأمير.

بل تذكر إحدى الروايات بأن الأمير كثيرا ما كان يداري هذا القاضي[2] فيعمل ما استطاع بغية كسب وده ونيل رضاه، كل هذا من أجل أن لا يغضبه لأنه يعلم بأن إغضابه هو إغضـاب للخليفة، ما دام هذا الأخير هو الذي عينه وكلفه بهذه المهمة هناك.

كما عرف عن هذا الأمير الأغلبي بالذات طاعته وامتثاله لكل مل يأمر به الخليفة العباسي في بغداد: كتنفيذه أمره مرة وفي التو بمجرد وصول كتابه إليه.

هذا الكتاب الذي قضى بالنظر في مسألة دين مالي بين رجل يقال له حاتم الأبزاري وآخر يقال له فرج أحد موالي الخليفة أمير المؤمنين على أرض إفريقية للفصل فيها نهائيا بإنصاف المظلوم ومعاقبة الظالم[3].

فيما يخص صلب هذه المسألة المتمثلة في الظرف السياسي الذي قضىبتواجد المعتزلة في إفريقية، وبالأخص على أرض القيروان: وهو الظرف الذي يكمن في تمكين الأغالبة لأعلام المعتزلة من التحكم في مقاليد الريادة الدينية للإمارة، ومؤسساتها القضائية والتعليمية والدعوية عبر المساجد والحلق والجمع وغيرها...

[1] المصدر السابق، 1/ 302، 303. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 226، 227.
[2] المصدر السابق، 1/ 302، 303. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 226، 227.
[3] عياض، المصدر نفسه، 1/ 181.

فإننا لا نستبعد تبني بني الأغلب المذهب الإعتزالي، وتقديمه كاتجاه عقدي رسمي لدويلتهم بدءا من عهد الأمير زيادة الله الأول[1]، بدليل تأكيده على تعيين وتولية أبيمحرز المعتزلي[2] وهو مكره[3] كقاض على مستوى الإمارة، مما حذا بهذا الأخير-من غير استبعاد- أن لا يقيم لمن يضطلع بالمهام والوظائف على كل أماكن ومناطق الإمارة التي هي في إطار صلاحياته إلامن كان على نحلته ومعتقدا بمذهبه.

لا ريب أنه بهذا العمل والمسلك يكون أبو محرز المعتزلي قد استعمل أفضل وأقوى الوسائل على الإطلاق في نشر المذهب والتمكين له، وهذا بطبيعة الحال هو فعل وديدن كل من يوكل إليه نحو هذا المنصب من قضاة أي مذهب عقدي كان.

إنه هو بالذات من قام به فعلا، وإن وجد من أشبهه في هذه المهمة، لكن على مستوى الفقه والفروع كل من: أبي يوسف يعقوب[4]صاحب الإمام أبي حنيفة، ويحي بن يحي الليثي صاحب الإمام مالك بن أنس، حيث أخبر أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم عن الأول بأنه"لما ولي قضاء القضاة...[و] كان القضاء من قبله، فكان لا يولي قضاء البلدان من أقصى المشرق إلى أقصى إفريقية إلا أصحابه والمنتمين إليه وإلى مذهبه"[5].

كما ذكر عن الثانينفس هذا المعنى كذلك حين قال:"[بأنه] كان مكينا عند السلطان مقبول القول في القضاة، فكان لا يلي قاض في أقطارنا [وفي رواية ابن خلكان والمقري: بلاد الأندلس] إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه"[1].

---

[1]أبو محمد زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب، ثالث حكام الإمارة الأغلبية، تولى الحكم طيلة (201 هـ/ 816 م - 223 هـ/ 827 م)، عرف بفصاحة اللسان وقرض الشعر وكثرة سفكه للدماء. ابن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 96 - 106. النويري، المصدر نفسه، ص: 257 - 265. ابن خلدون، 4/ 274 - 280.

[2] محمد بن عبد الله الكناني، أحد مشائخ أهل إفريقية وقضاتهم، كان يقول بالإعتزال، مات وهو قاض. أبو العرب المصدر نفسه، ص: 166، 167. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 274 - 280.

[3] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 167.

[4] يعقوب بن إبراهيم، أول من دعي بقاضي القضاة، ولد سنة 115 هـ/ 733 م، تفقه على أبي حنيفة حتى صار أكبر أصحابه علما، سمع عن عطاء والأعمش وغيرهما...روى عنه ابن حنبل وابن معين...وصف بالصدق والثقة وغلب عليه الرأي، أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، كما أملى المسائل ونشرها وبث علمه في الأقطار، توفي سنة 182 هـ/ 798 م. الذهبي، المصدر نفسه، 1/ 219 - 220. ابن كثير، المصدر نفسه، 2/ 1547 - 1548. ابن العماد أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت 1/ 289، 301.

[5] الحميدي، المصدر نفسه، ص: 346. الضبي، المصدر نفسه، ص: 445، 446. ابن خلكان، المصدر نفسه، 6/ 144. المقري، المرجع السابق، 2/ 230.

[1] الحميدي، المصدر نفسه، ص: 346. ابن خلكان، المصدر نفسه، 6/ 144. المرجع السابق، 2/ 230.

لقد ولي أبو محرز هذه الخطة القضائية بالمنطقة عقب وفاه قاضيها السابق عبد الله بن عمر بن غانم سنة 190هـ/805م، مع ثباته على المذهب الإعتزاليواحتفاظه به حتى وفاته سنة 214هـ/829م[1]؛ ليخلفه في نفس هذه المهمة معتزلي آخر كذلك هو ابن أبي الجواد[2] حتى سنة 232هـ/846م: وهي السنة التي عزل فيها عن القضاء[3].

بهذا تكون المدة التي استغرقها المعتزلة في الإمساك برأس القضاء وتسيير كل ما له علاقة بالدين على مستوى الإمارة الأغلبية مقدرة باثنين وأربعين سنة: بدءا من سنة 190هـ/805م تاريخ تولية القاضي أبي محرز المعتزلي القضاء بها، وانتهاء بسنة 232هـ/846م تاريخ عزل القاضي ابن أبي الجواد عن القضاء بها.

حيث تمكن خلالها هؤلاء المعتزلة من توسيع نشر مذهبهم واكتساب أتباع جدد من جهة، فضلا عن ترسيخه بين الأنصار والأتباع الأوائل من جهة الأخرى.

وإن كان المعتزلة قد وجدوا بالمنطقة قبل هذه المدة، كما سبق وأن ذكرنا ذلك في سياق الكلام عن العالم ابن صخر المعتزلي، إلا أنهم كانوا قلة، عكس هذه المدة الذين صاروا كثرا.

لا نشك بأن تبني الأغالبة لمذهب الإعتزال، وتسليطهم الحصري لأعلامه في مثل هذه الخطة على الرعية بالمنطقة، وفي هذه المدة بالذات،كانت من ورائه دوافع عديدة بإمكاننا حوصلتها في الآتي:

أولا:أنه في إطار التناغم مع أعلى سلطة دينية سياسية في الإسلام ومركزها بغداد وقتها، وكتقديم عربون أو ضريبة الولاء والمحبة للخلافة العباسية، فقد رأت الإمارة الأغلبية أنه لابد عليها من أن تـقـلـد هذه الخلافة في مسلكها العقدي الجديد.

---

[1] الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 38، 39.

[2] لم تترجم له مصادر السنة ترجمة مستقلة، ما عدا الخشني ضمن ترجمة شحيحة جدا، مما يدل على تحاملها على المعتزلة، وإن انفرد كل من ابن عذاري وأبي العرب: بتسميته عبد الله، وبأنه عزل عن القضاء سنة 232 هـ/ 846 م. الخشني، المصدر نفسه، ص: 227، 336. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 109. أبو العرب، كتاب المحن، ص: 449.

[3] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 109. محمد طالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184 - 296 هـ/ 800 - 909 م) تعريب: المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1415 هـ/ 1995 م ص: 263.

لأنه بالمشرق أعلن ثلاثة خلفاء تولوا حكم الدولة العباسية بالتتابع عن أتباعهم لنحلة الإعتزال عقيدة انطلاقا بالترتيب: من المأمون[1]، ليليه مباشرة المعتصم بالله[2]، ثم أخيرا الواثق بالله[3]، حيث راحوا جميعهم يمكنون لأعلام وشخصيات هذه النحلة وجعلهم يتحكمون في أهم دواليب السلطة ومؤسساتها الحساسة.

حيث أن نفس هذا العمل قام به حكام الإمارة الأغلبية الأربعة على التواليوفي نفس هذا الإطار الزمني بالذات المطابق والمعاصر تماما للخلفاء العباسيين المذكورين أعلاه ابتداء من أواخر ولاية مؤسس الإمارة إبراهيم بن الأغلب.

وتحديدا من سنة 190هـ/805م: تاريخ تولية أبي محرز المعتزلي كقاض على إفريقية من قبله، فطيلة فترة حكم الأمير الثاني عبد الله الأول[4] بإبقائه على نفس هذا القاضي.

ثم إبان كل ولاية الأمير الثالث زيادة الله الأول الذي أبقى عليه حتى وفاته سنة 214هـ/829م، ومعيّنا بعد ذلك مباشرة في نفس الخطة قاضيا معتزليا آخر ألا هو ابن أبي الجواد.

---

[1] أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد، سابع خلفاء بني العباس، حكم مدة (198 هـ/ 813 م – 218 هـ/ 833 م)، عرف بالأخلاق السامية من: جود وعفو وعدل بين الرعية، فضلا عن شجاعته وفهمه مع حسن تدبيره، كما كان صاحب امتلاك لعلوم كثيرة، ومحبا للمجالس والمناظرات في كل أصناف علوم وقته، هو أول من امتحن الناس في مسألة خلق القرآن نظرا لتأثره الشديد بمذهب المعتزلة. ابن الكردبوس أبو مروان عبد المالك، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2009، 2/ 228 - 253. الدينوري، المصدر نفسه، ص: 585 - 587. الروحي أبو الحسن على بن محمد، بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل كتاب ناشرون، بيروت، ط 1، 2010، ص: 224 - 229. السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط 1409 هـ/ 1989 م، ص: 350 - 379.

[2] أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد، ثامن الخلفاء العباسيين، حكم (218 هـ/ 833 م – 227 هـ/ 841 م)، كان شجاعا وصاحب قوة وهمة وفتوحات للخلافة أكثر من سالفيه وإن لم يعرف عنه العلم سار على نهج أخيه الخليفة المأمون بامتحان الناس في قضية خلق القرآن، وكان هو الذي أمر بتعذيب الإمام أحمد بن حنبل ضربا بالسياط بعد رفضه القول بخلق القرآن. الدينوري، المصدر نفسه، ص: 587 - 595. إبن الكردبوس، المصدر نفسه، 2/ 254 - 276. الروحي المصدر نفسه، ص: 232 - 233. السيوطي، المصدر نفسه، ص: 379 - 386.

[3] أبو جعفر هارون بن محمد بن هارون الرشيد، تاسع خلفاء الدولة العباسية، حكم مدة (227 هـ/ 841 م - 232 هـ/ 846 م)، عرف بالجود والعدل وإن استحوذ عليه قاضيه ابن أبي دؤاد ووزيره الزيات فكان لا يصدر إلا عن رأيهما ولا يرد لهما قولا، كما عرف بحبه للفلسفة والطب، إستمر هو الآخر على مذهب عمه المأمون وأبيه في مسألة القول بخلق القرآن وامتحان الناس عليه. المصدر السابق، ص: 386 - 292. إبن الكردبوس، المصدر نفسه، 2/ 277 - 294. الروحي، المصدر نفسه، ص: 232 - 233.

[4] أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب، حكم خلال (196 هـ/ 811 م – 201 هـ/ 816 م)، وكان ظالما لرعيته. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 95، 96. النويري، المصدر نفسه، ص: 256، 257. إبن خلدون، المصدر نفسه 4/ 200، 201.

فمرورا على التوالي مباشرة بمدة حكم الأمير أبي عقال[1] كله، والذي احتفظخلالها بنفس القاضي ومقتصرا عليه وحده، وانتهاء بجزء من ولاية الأمير محمد الأول[2]، حيث أبقي على نفس القاضي المذكور في الخطة القضائية إلى أن أقاله وعزله عنها سنة 232هـ/846م[3].

كما لم يقف تناغم الأغالبة في تقليدهم للعباسيين عند هذا الحد، بل تجاوزوه إلى مسألة عقدية كبرى أثيرت وقتئذمن طرف المعتزلة الذين كانوا هم الممسكون بمركز الخلافة مدة، فعملوا على فرضها وإلزام الرعية بها ولو بالقوة والإكراه حتى تعتقدها وتدين الله تعالى بها.

تلك إذن هي عقيدة "خلق القرآن": بمعنى أن القرآن مخلوق وحادث كسائر المخلوقات، وليس كلاما لله عز وجل قديما قائما بذاته كما ذهب إلى ذلك المعتزلة وغيرهم من المذاهب الأخرى[4].

فلقد شرع بعض خلفاء بني العباس بالمشرق يومئذ، وبالتحديد بدءا من سنة 218هـ/833م، وبأمر من الخليفة المأمون في امتحان كل من يعارض القول بأن القرآن مخلوق

خصوصا من علماء أهل السنة والحديث وسومهم أشد أشكال الأذى وصنوف العذاب حتى

ينقادوا أو يهلكوا أمثال أبو معمر محمد بن نوح[1] وأحمد بن حنبل[2] وغيرهما...

---

[1] الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، حكم مدة (223 هـ/ 837 م – 226 هـ/ 840 م)، عرف بإحسانه للرعية ورفع الظلم عنها وتصديه بحزم وصرامة لمقترفي المحرمات. إبن عذاري، المصدر نفسه 1/ 107. النويري، المصدر نفسه، ص:265 266. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 204.

[2] أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب، حكم طيلة (226 هـ/ 840 م – 242 هـ/ 856 م)، وكان قليل العلم. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 107 - 112. النويري، المصدر نفسه، ص: 266، 270. إبن خلدون، المصدر نفسه 4/ 204.

[3] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 109. إبن خلدون، المصدر نفسه، 4/ 204.

[4] للوقوف على هذه المسألة بتفصيل واستفاضة، وموقف المذاهب العقدية الإسلامية منها، ينظر إلى: عبد الجبار، المصدر نفسه، 2/ 194 - 224. الأشعري، المصدر نفسه، 2/ 256 - 276. إبن حزم الفصل...3/ 4 - 15. إبن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها وحققها: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1406 هـ/ 1986 م، 1/ 107 - 186. بل زاد هذا المصدر الأخير وأضاف موقف الفلاسفة وغيرهم فيما يخص هذه المسألة.

فسُلطت عليهم شتى أنواع التعذيب والتنكيل التي استُمر في اتخاذها ضدهم مدة طويلة لم ترفع عنهم وتزل إلا في سنة 232هـ/846م[3]، تاريخ وفاة الخليفة الواثق بالله وتولية المتوكل على الله[4] على رأس الخلافة بدله: إذ بمجرد انتقال الخلافة إليه راح يرفع هذه المحنة عنهم ويصدر أمره بترك الجدل وعدم الخوض في علم الكلام.

ليطلق العنان بعيد ذلك لأهل الحديث: بإظهارالسنة، والتمسك بالنصوص الدينية، مع إثبات صفات الله تعالى، ورؤيته يوم القيامة...من غير تأويل ولاتمثيل[5].

بالتطابق والتوازي لما كان يدور بالمشرق فيما يخص امتحان الناس حول قضية"خلق القرآن"، فإن نفس ذلك كان يجري على أرض إفريقية أين يحكم الأغالبة وفي وقت معاصر تقربيا لما حدث هناك كما أسلفنا.

فنحو الذي تعرض له الإمام ابن حنبل أو قريبا منه فيما يخص هذه المسألة تعرض له الإمام سحنون كذلك من قبل القاضي ابن أبي الجواد، وبحضرة الأمير الأغلبي محمد الأول، إذ حين لم يستطع ثنيه عن عقيدته في المسالة خفف عنه العقوبة من القتل إلى عقوبة أخف جدا: تمثلت في منعه عن إفتاء الناس خوفا من انتفاضة أهل السنة المالكية وثورتهم[1].

[1] لم نعثر له على ترجمة مستقلة وضافية في المصادر التي بين أيدينا، وإن تبين لنا من خلال المحنة التي مر بها في قضية خلق القرآن وراح ضحيتها إثر التعذيب الذي سلط عليه: أنه من علماء الحديث الذين لا يتعدى فهمهم ظواهر النصوص الدينية حين تعاملهم وتعاطيهم معها. الطبري، المصدر نفسه، ص: 1822، 1824، 1825. إبن كثير المصدر نفسه، 2/ 1618.

[2] أبو عبد الله، عاش (164 هـ/ 780 م – 241 هـ/ 855 م)، من الفقهاء المحدثين والمجتهدين المستقلين في دين الإسلام المشهود له بغزارة العلم وشدة الورع، والذب عن السنّة، والتصدي لأهل البدع، إليه ينسب المذهب الحنبلي. أبو نعيم المصدر نفسه، 9/ 161 - 233. الشيرازي، المصدر نفسه، ص: 91، 92.

[3] بغية الوقوف على تفاصيل ظروف هذه المحنة وتداعياتها، يرجع إلى: الطبري، المصدر نفسه، ص: 1820 فصاعدا. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 942 فصاعدا. إبن كثير، المصدر نفسه، 2/ 1590 فصاعدا. أما عن فهم وقراءة هذه المحنة من الوجهة السياسية، فيرجع إلى : الجابري، المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2، كانون الثاني/ يناير 2000، ص: 65 - 115.

[4] أبو الفضل جعفر بن محمد، عاشر خلفاء بني العباس، حكم خلال (232 هـ/ 846 م - 247 هـ/ 861 م)، كان رجلا مستقيما عادلا بين رعيته. إبن الكردبوس، المصدر نفسه، 2/ 295 - 320. الروحي، المصدر نفسه، ص: 234 - 238. السيوطي، المصدر نفسه، ص: 392 - 403.

[5] إبن الكردبوس، المصدر نفسه، 2/ 299. السيوطي، المصدر نفسه، ص: 392.

[1] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 449، 452. عياض، المصدر نفسه، 1/ 354. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 94، 95. الخشني، المصدر نفسه، ص: 227.

ثانيا: عمل الأغالبة للوقوف في وجه أهل السنة من المالكية على توثيق صلتهم بالمعتزلة[1]، هؤلاء المالكية الذين صار يرتفع صيتهم وتعلوا مكانتهم وتزداد شعبيتهم.

كل هذا ابتغاء إحداث توازن مذهبي على مستوى الرعية قد يستوي فيه أنصار المذهبين: السني المالكي والمعتزلي عددا، أو على الأقل يقترب منه، لأن مراعاة هذا التوازن والعمل من أجله ضروري جدا لبقاء نظام الأغالبة واستمرار حكمهم على أرض إفريقية.

إن هذا التوازن بالذات هو ما كان يدور في خلد كل من علي بن حميد ومحمد بن أحمد الحضرمي[2]، حين ضمتهما مع الأمير الأغلبي محمد الأول وقاضيه علىإفريقية ابن أبي الجواد جلسة خاصة تعلقت حصريا بامتحان الإمام المالكي سحنون، لإلزامه قسريا القول بمخلوقية القرآن والاعتقاد به.

وحين رفض الإمـام تبني هذا القول في القرآن وتمسك حتى النهاية باعتقادهفيه بأنه كلامه القديم القائم بذاته، واعتباره صفة من صفاته سبحانه وتعالى، وأمام هذا الإصرار وعدم التراجع عنه تماما، أصدر القاضي حكمه في هذه الجلسة وأمام ملإ ضمنها: بأن يهدر دمه ويقتل كفرا[3].

نصحا لفائدة الأمير، وحفاظا على مصلحة الإمارة ببقاء نظامها واستمراره، فإن الشخصين المذكورين اللذين حضرا الجلسة لم يعجبهما هذا الحكم الذي أبداه وأصدره قاضي الإمارة يومها، فاقترحا عليه رأيا مخالفا له تماما انفرد بإيراده المؤرخ المغربي الدباغ من بين كل من أرخ للمسألة، تمثل في قولهما للحاضرين في الجلسة ضمن سياق من حديث لهما:"ورجال السنة من أصحاب السلطان"[1].

إننا نراهما بهذا يحذران الأمير من تنفيذ حكم القاضي السابق الذكر على الإمام سحنون، لأنه في نظرهما لا يخدم الإمارة، بل يفضي بها إلى ما لا يحمد عقباه، ما دام أهل السنة (وهم مالكية على الغالب) ممن لا يجب إغفال وزنهم وانتقاص مكانتهم في ظل

---

[1] محمد الطالبي، المرجع نفسه، ص: 259.

[2] لم نعثر على معلومات عنهما، فضلا عمن ترجم لهما، وإن كنا لا نستبعد أنهما كانا من خاصة الأمير المذكور وبطانته المقربة جدا، بدليل سماعه لاقتراحهما في هذا المجلس الذي درست فيه هذه المسألة الخطيرة والمصيرية للإمارة، إذ يستشف هذا من: الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 95.

[3] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 451. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 94. عياض، المصدر نفسه، 1/ 354.

[1] الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 95.

الإمارة، يعتبرون من الذين يطلبون السلطة ويسعون لإقامة حكم لهم، وهذا ما توحي به عبارتهما تلك.

وهكذا اعتبر هذا الاقتراح من طرفهما في نهاية الجلسة محل تقدير وقناعة عند الأمير، الذي ما انفك آخذا به، وليكون في الأخير هو السبب المباشر في إبدال حكم القتل إلى حكم أخف منه بكثير، ألا وهو حرمان الإمام سحنون من التدريس والإفتاء كما سبق ذكره.

الفصل الخامس

مجالات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – السني وانعكاساته بإفريقية

1- مجالات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – السنيبإفريقية

1أ- مجال تأليف الكتب وإصدار الرسائل

1ب- مجال المناظرات

1ت- مجال استخدام الغلظة والتشدد مع استعمال القوة والعنف

2- إنعكاسات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – السني بإفريقية

2أ- تفوق وسيادة المذهب العقدي السني بإفريقية

2بإلتحاق علماء أحناف بالمذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي على أرض إفريقية

2ت- إلتزام علماء المذهب العقدي السني وخصوصا المالكيين بمنهج جديد في التعامل مع النصوص الدينية

2ث- الإيذان بربح المذهب العقدي السني عموما والمالكي خصوصا للساحة الجغرافية المغربية

1- مجالات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أوالمعتزلي – السني بإفريقية

إن تواجد كل من المذهبين العقديين السني والمعتزلي معا بمكان أو منطقة واحدة هي إفريقية وفي وقت واحد، يعتبر في حد ذاته صراعا بينهما ما داما يختلفان في المسائل العقدية والمباحث الأصولية اختلاف تضاد وتناقض، لا اختلاف تنوع وتكامل.

فينطلق كل مذهب منهما من منطلق مفاده: أنه الوحيد الممتلك للحقيقة والمصيب في كل ما يذهب إليه ويعتقد، أو ما عبر عنه في التراث الديني الإسلامي بمصطلح„الفرقة الناجية„.

التي لا بد عليها من أن تقوم بنشر ما اعتقدته بين المسلمين لأنه عندها من أوجب الواجبات[1]، وهذا ما يجعل الاصطدام بالآخر المخالف حتميا ولازبا، ما دام أن الآخر يحمل نفس هذه القناعة.

هناك مجالات عدة للاصطدام ومواجهة الآخر توضح من خلالها الصراع بين المذهبين الواصلي والسني المالكي وظهر جليا عبرها، وإن كانت تلك المجالات لم تخرج عن محور أو صعيد واحد، وهو الصعيد أو المستوى الفكري القائم على الجدال والمناظرات...بين الطرفين، وكل ما من شأنه أن يصب في الصراع الفكري الصرف وإن تعددت أشكاله وألوانه.

وإن كنا نلاحظ فيما يخص هذه المنطقة الشرقية للمغرب الإسلامي غياب الصراع أو الصدام العسكري بينهما تماما، عكس ما مر معنا بالنسبة للصراعبينهما على أرض غرب المغرب الأوسط.

لأن المعتزلة بهذه الأخيرة عاشوا بها ككيان مستقل قائم بذاته أحيانا، وتحت حماية جيش لهم، منظم ومصحوب بالخيام التي تساعدهم على التنقل والترحال حيثما شاءوا والتحرك بكل حرية من مكان لآخر غير بعيدين عن تخوم الإمارة الرستمية خصمهم وقتها.

---

[1] إذ نصوص وأدلة هذا الواجب، ألا وهو واجب الدعوة إلى المعتقد مستفيضة في المصدرين الأصليين المتمثلين في القرآن والسنة. تنظر في: القرآن برواية ورش إلى الآيات: 40، 104 من سورة آل عمران و71 من سورة التوبة، و39 من سورة الأحزاب، و33 من سورة فصلت، وغيرها من الآيات الأخرى الكثيرة...أما السنة فهي مستفيضة أكثر من القرآن فيما يخص هذا الواجب، لكونها الشارحة والموضحة والمفصلة له، فما من صحيح أو جامع أو مسند أو مصنف... من مصادر السنة إلا ونجده قد عقد مؤلفه فصلا أو بابا في الموضوع، وهذا ما يؤمن به كل مذهب من المذاهب العقدية في دين الإسلام.

وفي حالات وأوضاع كلها توجس وحذر من هذه الإمارة الجارة، وترصد لأية فرصة تتاح لهم بغية القضاء عليها والتوسع على حسابها.

عكس معتزلة إفريقية موضوع بحثنا خلال هذا الفصل، والذين عاشوا في ظل الإمارة الأغلبية مع غيرهم من أهل السنة المالكية وبقية الأحناف، مجردين من السلاح والقوة العسكرية الذاتية.

بعد استقرائنا وتتبعنا للمصادر التي تناولت أشكال ومجالات هذا الصراع الفكري الذي دار بين المذهبين المذكورين بشرق هذا المغرب وتحديدا إفريقية، فإننا نخلص بأنها اقتصرت على الآتي منها ولم تتعده.

1أ- مجال تأليف الكتب وإصدار الرسائل

والتي هي في الغالب كتابات صغيرة الحجم قليلة الصفحات، وهذا هو الأصل فيها: إذ القصد من ذلك هو أن تقبل عليها فئة لا بأس بها من القراء كحد أدنى، ولم لا كلهم كحد أقصى ما دامت كذلك.

كما لا بد من حصر كتابة وتقييد هذه التواليف على علماء كبار بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى:حيث لميكن يتصدى لمثل هذا إلا من هم كذلك فيكونوا بهذا جامعين لشروط ومواصفات علمية صارمة ودقيقة تتفق حولها كل المذاهب العقدية الإسلامية.

وفعلا هذا ما حرص عليه الإمام مالك أشد الحرص، حيث ذكرها(أيالمواصفات)هو بالذات آمرا بها علماء المذهب أمر إلزام ومحذرا من عواقب مخالفتها من خلال رسالة أجاب بها على سؤالات الإمام ابن فروخ كان قدوجهها إليه.

روى هذه الرسالة الإمام سحنون ناقلا قول مالك بأن:"...لا يرد عليهم [المخالفين] إلا من كان عالما ضابطا، عارفا بما يقول لهم، ليس يقدروا أن يعرجوا عليه، فإن هذا لا بأس به؛ وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك"[1].

لا شك أن الأهداف المرجوة لأصحابها من مؤلفاتهم تلك تتلخص في: مقارعة

[1] أبو العرب، طبقات...ص: 110. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 177. عياض، المصدر نفسه، 1/ 198.

الخصم بالحجج، والمخالف بالدليل والبرهان من أجل كسبه، أو على الأقل إثارة الشكوك فيما يذهب إليه ببث البلبلة في عقائده والتشويش عليه، هذا بالنسبة للخصم.

وإن كانت موجهة بالدرجة الأولى إلى طلبة العلم في المذهب حتى يستوعبوا ما فيها ويقتنعون بها بداية، ثم ليقوموا لاحقا بنشرها فيمن دونهم من الأتباع وتوعيتهم بها، وهذا ما يجعل ترسيخ المعتقد المتبنى، فضلا عن التصدي للمعتقد المعاديهو مهمة الكل وشغل الجميع، وهذا بالنسبة لشيعة المذهب وأتباعه.

فالنخبة أو الفئة الخاصة من أهل العلم في المذهب هي مشغولة بالتصدي للمخالف مباشرة، وما دون الخاصة من طلبة العلم والقراء هي الأخرى مشغولة لكن بمن دونها من شيعة المعتقد والأتباع المحبين أو العامة من أجل تحسيسهم وجعلهم أشد تمسكا بالمعتقد.

عن الجانب الواصلي أو المعتزلي: فقد أوردت المصادر المنشورة التي عنيت بمثل هذا المبحث مؤلفات عنه انفرد بالحديث عنها الخشني صاحب مؤلف „كتاب طبقات علماء إفريقية„، فذكر بأن أحد أعلامهم المسمى سليمان بن أبي عصفور والمعروف بالفراء[1] هو صاحب كتب في: خلق القرآن، كما له تقييد حول مشكل القرآن[2].

فضلا عن شخصية اعتزالية أخرى لامعة جدا وصاحبة باع كبير في علم المناظرة والجدل عرفت باسم محمد بن الكلاعي[3]، الذي سبق وأنأسهم في إنجاز كتاب رد فيه على ما ألف ابن الحداد[4]القائل فيه بعدم مخلوقية القرآن وانتقضه[5].

لا نشك بأن الواصلية أو المعتزلة كانوا أصحاب السبق في التأليف والكتابة فيمايخص هذا المجال مقارنة بمخالفيهم من أهل السنة، بدليل تصدير هؤلاء الأخرينغالب عناوين تآليفهم وكتبهم بلفظ الرد أو ما يقوم مقامه في الدلالة على معناه.

---

[1] من أهل الجدل والمناظرة والمذكور ضمن الطبقة الثانية؛ إذ مما يدل على اعتزاليته تآليفه الكثيرة في خلق القرآن. الخشني، المصدر نفسه، ص:219.

[2] المصدر نفسه، ص: 119.

[3] لم نعثر على ترجمة له إلا عند الخشني الذي وصفه بالبراعة الفائقة في علم الكلام على طريقة المعتزلة، كما يفهم من نفس هذه الترجمة الفقيرة جدا عنده، بأنه كان معاصرا لأحد أعلام السنة سعيد بن الحداد. المصدر السابق، ص: 221. المالكي، المصدر نفسه، 2/ 57.

[4] أبو عثمان سعيد بن محمد، أحد أعلام أهل السنة الكبار بالمغرب، كان شافعي المذهب ومن غير تقليد عد رجلا صالحا فقيها فصيحا وصاحب اقتدار في المناظرة والرد على المخالفين: إذ مناظرته الطويلة للشيعة الإسماعيلية المعروفة والمشهورة هي الشاهدة على ذلك، توفي سنة 302 هـ/ 914 م. المصدر السابق، 2/ 57 - 115. الخشني، المصدر نفسه، ص: 212 - 218. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 295 - 315.

[5] الخشني، المصدر نفسه، ص: 221.

أو بكلمتي السنة والكتاب - التي ما وضعت إلا للرد أيضا- وما دام أن الأصل عندهم في المسائل العقدية الإتباع-لا الابتداع - لما أثر عنه(صلى الله عليه وسلم) من أقوال وأفعال وتقريرات...(السنّة)[1]، وما قاله الله تعالى في كتابه (القرآن) كما سنرى، فهذه إذن هي ملاحظة أولى.

والملاحظة الثانية هي كون مؤلفات المعتزلة هيأكثر مما ذكرنا وسنذكره لأنكبار أهل السنّة ما كان لهم أن يتباروا ويهبوا للمواجهة والرد لو لم تكن الحالة والوضع الملح القاهر المتمثل في المد للعقائد والفكر الاعتزالي هو الدافع لهم للوقوف في وجهه.

قد يعزى غياب هذه النسبة التي ليست بالقليلة من المؤلفات المعتزلية بعد وجود وضياعها مع ما ضاع من مصادرهم إلى علة كون الدائرة كانت عليهم بعد غلبة أهل السنة.

وبالأخص والتحديد المالكية عليهم بالمنطقة في نهاية المطاف، لأن كل مذهب أو فرقة كما يذكر حرفيا الباحث المغربي المختص في مثل هذه المواضيع محمود إسماعيل إلا وعولت "على إحراق كتب خصومها...الأمر الذي عرض مؤلفاتهم للضياع والاندثار باستثناء القليل الذي كان مستورا فنجا من المصادرة..."[2].

أما عن الجانب السني، فإن علماءه لم يبقوا مكتوفي الأيدي – كما يقال – أمام هذا الهجوم المعتزلي التأليفي، بل قابلوه بالدفاع والرد تقييدا وتأليفا أيضا.

هذا ما يحملنا على الاستنتاج بأن هذا المسلك الذي سلكوه في الرد والمقاومة، ما لجأوا إليه إلا بعد ضرورة واضطرار.

لأن الاعتقاد السائد عند أهل السنة الأوائل، وخصوصا في المسائل العقدية يقوم على اتباعها وعدم الخوض والتعمق فيها كتابة وتأليفا.

نفهم هذا من النص الذيانفرد بتسجيله صاحب „رياض النفوس..." عمارد به أسد

[1] محمد بن محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، عالم المعرفة، جدة، ط 1، 1403 هـ/ 1983 م ص: 16.

[2] محمود إسماعيل، الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط، د. ت، ص: 19.

بن الفرات[1] لما أخبروه بأن بشرالمريسي[2] وكان يكفره،"ويتكلم فيه بأقبح الكلام...[و] أنّه وضع كتابا وسمّاه بـ „كتاب التوحيد„، فقال أسد: أوجهل الناس التوحيد حتى يضع لهم بشر فيه كتابا؟ هذه نبوة ادّعاها"[3].

لأجل سدّ الباب الذي فتحه عليهم هؤلاء المعتزلة عن طريق التأليف ببثهم شكوك وشبه على حساب المسلمات واليقينيات التي يؤمن بها أهل السنة، فإنه صار واجبا على هؤلاء الأخيرين أن يردوا على ذلك لكن بنفس منهج المعتزلة وطريقتهم[4].

بعد أن حاولنا إحصاء وحصر كل من ألف في مجال المباحث المتعلقة بالرد على عقائد أهل الإعتزال وأعلامهم من أقطاب أهل السنة عموما طوال العهد الأغلبي، فإننا توصلنا إلى النتيجة التالية التي مفادها:

كون عبد الله بن فروخ المتوفى سنة 176 هـ/ 792 م هو أول من كتب في هذا الميدان رغم تقدمه بسنوات جد قليلة عن بداية هذا العهد،فضلا عن اعتباره الممهد والمشجع الأول لأعلام مذهبه بالسير على هذا الدرب من التأليف.

فلقد روي عن الإمام سحنون بأنه وقف على رسالة وردت من الإمام مالك إلى الإمام بن فروخ، بعد أن أخبره هذا الأخير عن „البدع„ المتفشية على أرض إفريقية، وبأنه (أي ابن فروخ)"ألف لهم[أهل السنة بإفريقية] كلاما في الرد عليهم"[5].

إن دلالة هذا النص ومعناه واضح فيما يخص الرد على المخالفين في مجال الأصول والعقائد لا في الفروع والفقهيات، لقرينة لفظة „كلام„ الواردة فيه بأنها إذا أطلقت فلا

[1] أبو عبد الله، كان ثقة سليما من البدع غزير العلم والفقه، سمع الموطأ من الإمام مالك، لوحظ عليه تمكنه من المذهبين الحنفي والمالكي، وإن كان مفضلا للأخير، تولى قضاء إفريقية سنة 203 هـ/ 818 م توفي بصقلية أثناء غزوها سنة 213 هـ/ 828 م جراء جراحات أصيب بها. أبو العرب، المصدر نفسه ص: 163 – 166. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 254 – 273. عياض، المصدر نفسه، 1/ 270 – 278. إبن فرحون، المصدر نفسه، ص: 161 – 162. الدباغ المصدر نفسه، 2/ 3 - 26. إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1413 هـ/ 1992 م، 3/ 74. محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تخريج وتعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424هـ/ 2003 م، 1/ 93.

[2] أبو عبد الرحمان بشر بن غياث، من أصحاب الرأي والبراعة في الفقه والنظر الفلسفي، هو من كبار من دعا إلى القول بخلق القرآن مناظرا وداعيا إليه، أخذ عن الجهم بن صفوان وقال بالإرجاء، إليه تنسب الفرقة المريسية، توفي سنة 218 هـ/ 833 م. الصفدي خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، دار الفكر بيروت، ط 1، 1425 – 1426 هـ/ 2005 م 7/ 101.

[3] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 264

[4] إبراهيم التهامي، المرجع نفسه، ص: 232.

[5] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 110. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 177. عياض، المصدر نفسه، 1/ 198.

تصرف إلا ليراد بها علم الكلام المتعلق أصلابمسائل العقيدة[1].

فضلا عن كلمة „البدع" الموجودة فيه كذلك، والتي يقصد بها عهدئد بحكم الصراع بين المذهبين المذكورين بدع العقائد حول صفات الله تعالى، وهل القرآن كلام الله عز وجل مخلوق أم لا؟والقدر وغير ذلك...لا بدع العبادات.

لِيَلِي هذا في الترتيب الزمني تصاعديا الإمام محمد بن سحنون[2] المتوفى سنة 256هـ/869م، والذي عرف له مؤلف رد فيه على بعض المخالفين[3] حتى أخبر عنه المالكي قائلابأنه: "لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، ألف في جميع ذلك كتبا كثيرة تنتهي إلى نحو مائتي كتاب في جميع العلوموفي المغازي والتواريخ"[4].

وإن وجدنا القاضي عياض هو الأوحد من ساق مصنفات ابن سحنون بشكل مفصل فذكر له: رسالة في السنة، وأخرى في أدب المناظرة ضمن جزأين، وكتاب الحجة على القدرية، وكتاب الرد على البكرية، وكتاب الإيمان والرد على أهل الشرك، وكتاب الرد على أهل البدع، وكتاب الرد على أهل العراق، هذا فيما يخص المسائل العقدية[5]، فضلا عن مؤلفاته التي وضعها في الفنون الأخرى[6].

ثم يأتي بعده في النسق الكرونولوجي المتصاعدمحمد بن يزيد القرشي[7]المتوفى سنة 284هـ/897م، الذي سجل عنه الخشني بأنه كان ممن غلب عليه تقييد الكتب وتأليفها[8].

من هنا فلا نستبعد بأنه يعتبر من الذين ألفوا في هذا الشأن، حتى وإن لم تحتفظ لنا المصادر بتقييداته تلك، خاصة إذا علمنا بأنه عدمن المختصينوالمتضلعينفي علم الحديث

---

[1] كمال اليازجي، معالم الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 6، تموز (يوليو) 1979، ص: 152، 153.

[2] أبو عبد الله، كان ثقة وعالما بالمذهب المالكي وصاحب شهرة في مناظرة المخالفين، توفي سنة 256 هـ/ 869 م. الخشني، المصدر نفسه، ص: 129 - 132. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 443 - 558. عياض، المصدر نفسه، 1/ 424 - 433. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 122 - 136.

[3] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 448.

[4] المصدر السابق، 1/ 443. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 123. كما أن معنى هذا النص ورد عند: الخشني، المصدر نفسه، ص: 129.

[5] عياض، المصدر نفسه، 1/ 425.

[6] المصدر السابق، 1/ 425، 426.

[7] كنيته أبو عبد الله، عرف بالصلاح والعبادة، غلب عليه علم الحديث رواية ودراية، زد على ذلك التآليف التي خلفها توفي سنة 284 هـ/ 897 م. الخشني، المصدر نفسه، ص: 172. المالكي، المصدر نفسه 1/ 473، 474. الدباغ المصدر نفسه، 2/ 200، 201.

[8] الخشني، المصدر نفسه، ص: 172.

دراية[1] ورواية[32]، إذ المعروف عن أهل هذا الفن شدة عداوتهم لأهل البدع وعلى رأسها بدع العقائد كما سبق وأن ذكرنا.

لننتقل بعد ذلك إلى يحى بن عمر[4] المتوفى سنة 289هـ/901موالمعروف بوضعه تآليف لها تعلق بموضوع مبحثنا هذا كان لها تأثير إيجابي على المغاربة السنيين وسلبي على المعتزلة منهم.

أورد له هذه المؤلفات والكتب كل من الخشني وعياض والدباغ، فذكروا جميعهم: كتاب الصراط، وكتاب الميزان، وكتاب النظر إلى الله تبارك وتعالى يوم القيامة،وكتاب الرد على الشكوكية، وكتاب الرد على المرجئة[5].

إلى أن نعرج هذه المرة في إطار هذا الترتيب التاريخي فيما يخص هؤلاء الأعلام على الإمام يحي بن عوف الخزاعي[6] المتوفى سنة 298هـ/910م وإن انفرد القاضي عياض وحده بإثبات تقييد آخرله أطلق عليه عنوان "كتاب الرد على أهل البدع"[7].

ثم لنصل في الأخير إلى الإمام ابن الحداد المتوفى سنة 302هـ/914م حيث استقل صاحب"معالم الإيمان..."وحده من بين كل من أرخ له، حين راح يذكر مؤلفات له في مجالات شتى.

فإذا تقيدنا هنا بما يخدم الموضوع ويتعلق بهذا المجال ابتغاء عدم الخروج عن المطلوب، فإننا نجده قد ذكر له تآليف منها: „كتاب المقالات" رد فيه على المخالفين من

---

[1] نسبة إلى علم الدراية الذي هو عبارة عن مجموعة من القواعد والمسائل التي يعرف بها حال الراوي والمروي من حيث القبول أو الرد. محمد عجاج الخطيب، المرجع نفسه، ص: 9.

[2] نسبة إلى علم الرواية أحد علوم الحديث: ومفهوم هذا العلم اصطلاحا: هو النقل الدقيق لكل ما أضيف إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلقية أم خَلقية. المرجع السابق، ص: 7.

[3] المصدر السابق، ص: 172.

[4] أبو زكرياء، رحل من الأندلس إلى القيروان ليستوطن بها، يعتبر من أهل الفقه والعبادة، كان مالكيا وحافظا للرأي إعتبر ثقة في الرواية وصاحب ضبط للكتب، توفي سنة 289 هـ/ 901 م. إبن الفرضي المصدر نفسه، ص: 435. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 341، 342. الضبي، المصدر نفسه، ص: 440، 441. عياض، المصدر نفسه، 1/ 505 - 509. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 233 - 245. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 490 - 504. الخشني، المصدر نفسه ص: 134 - 136.

[5] المصدر السابق، ص: 135. عياض، المصدر نفسه، 1/ 506. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 243.

[6] أبو زكرياء، كان رجلا صالحا، عرف بالعلم والفقه، توفي سنة 298 هـ/ 910 م. عياض، المصدر نفسه، 1/ 529 530.

[7] المصدر السابق، 1/ 530.

أهلالمذاهب، و„كتاب عصمة النبيين„ و„كتاب العبادة الكبرى والصغرى„ و„كتاب الإستواء„
فضلا عن كتب غيرها كثيرة[1]...

كما لا ننسى مؤلفا لابن البردون[2]:حين رده على ابن الكلاعي ومناقضتهلما ذهب واستقل برصد فحواه هذا دون عنواته المؤرخ الخشني بقوله معلقا عليه بأنه: "...شفى غيظه عليه في صدره، وفي بسط أوله قبل أن يصير إلى فصول الحجاج بما فيه عليه من التقصير الشديد والخطإ الشنيع، فكان ذلك سببا لعنايته عليه مع ابن ظفر[3] في سفك دمه"[4].

وإن كنا نعتبر بأن علماء المذهب الإعتزالي عموما وقتها كانوا من الأهمية بمكان إن على المستوى الكمي العددي، أو على المستوى الكيفي باقتدارهم العلمي وشدة تمكنهم من فن الجدل ومناظرة المخالف من خلال التحكم في طرقه ووسائله.

حتى وجدنا المؤرخ الخشني المتميز عن سائر أصحاب المصادر التراجمية المتعلقة بمنطقة المغرب الإسلامي: حين عقد لهم فصلا مستقلا قد أثنى عليهم فيما يخص هذا الفن وأشاد بهم، إلى أن نعتهم بالعراقيين[5].

والذي يجعلنا لا نشك في واصليتهم هو دليل إيراده صراحة لأهم عقائدهم المتميزين بها مثل:الاعتقاد بخلق القرآن، والقول بالقدر، وتقرير مسألة الوعدوالوعيد، والجدل في الأسماء والصفات[6].

1ب- مجال المناظرات

إن شأن مجال المناظرات هو كشأن مجال تأليف وتقييد الكتب، وهذا باعتبارهما مظهرا من مظاهر الصراع بين المذهبين العقديين المعتزلي والسنى إلا أن مجال

---

[1] الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 296.
[2] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، إشتهر بالفقه وعلم الكلام، كما كان أحد أتباع ابن الحداد، قتله العبيديون لمواقفه المناهضة لعقائدهم سنة 299 هـ/ 911 م كما ذكر الدباغ، أو سنة 297 هـ/ 909 م عند كل من عياض وابن عذاري. ابن عذاري المصدر نفسه، 1/ 154. المالكي، المصدر نفسه، 2/ 47 - 51. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 261 - 265. الخشني المصدر نفسه، ص: 215، 216.
[3] أبو الفضل أحد أعلام المعتزلة بإفريقية، كان صاحب جدال وشاعرا وأديبا وعارفا بالطب، أصيب في آخر حياته بالجذام الذي أودى بموته. المصدر السابق، ص: 221
[4] المصدر السابق، ص: 222.
[5] المصدر السابق، ص: 219
[6] المصدر السابق، ص: 219، 220، 221، 222.

المناظرات بين الجانبين لا شك يفترق عن المجال السابق والمجال اللاحق في كونه استغرق المدة الزمنية الأطول بينهما.

بل وجدنا هذا المجال قد غطى طول مدة تواجدهما على أرض إفريقية فما تكاد تنتهي مناظرة إلا وتتلوها الثانية والثالثة وهكذا...من غير توقف ولا انقطاع على أرض منطقة إفريقية في إطار هذا الصراع السلمي أو الحضاري الصرف إن صحت العبارة.

حيث يربط هذا التواجد أو الحضور لهما بالمناظرات رابط قياس تلازمي تلازما بينا بالمعنى الأخص[1](أي إذا تواجد المذهبان تواجدت المناظرات بينهما والعكس صحيح) بالتالي فإنهما قد تناسبا معا وجودا وعدما – كما قيل.

إنه وبعد تتبعنا وإحصائنا لكل المناظرات التي دارت بين علماء المذهبين بمنطقة إفريقية أثناء العهد الأغلبي، تبعا لما أتيح لنا من الوقوف على المصادر المنشورة، فإننا توصلنا إلى رصد ما يلي من المناظرات:

المناظرةالأولى بين ابن سحنون وبين النحوي[2]

إن هذه المناظرة هي عبارة عن نزالات جدالية وحوارات كلامية، جمعت بحاضرة القيروان عاصمة إفريقية: بين الإمام محمد بن سحنون عن مذهب أهل السنة، وبين الشيخ أبي سليمان النحوي عن مذهب أهل الاعتزال وتحت إشراف وتسيير المسمى علي بن حميد الوزير[3].

[1] هو قياس اصطلح عليه كل من علماء فني المنطق وأصول الفقه الإسلامي، محصله: "أن يكون تصور الملزوم وحده كافيا في تصور اللزوم والجزم به". محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق دار الفكر، دمشق، ط 1424 هـ/ 2003 م، ص: 43.

[2] كنيته أبو سليمان واسمه محمد، لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتوفرة لدينا، وإن عرف عنه من خلال هذه المناظرة أنه شيخ كبير وعالم متمكن في الاعتزال: بدليل تقديمه في المناظرة على الحاضرين بالمجلس، وأنه عراقي حديث القدوم إلى القيروان. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 448، 449. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 134.

[3] في غياب المظان المترجمة له، فإن أهم ما يذكره نص المناظرة عنه بأنه "وزير" في الإمارة الأغلبية: مما يفهم منه بأنه المسير للإمارة في غياب الأمير، كما هو الشأن هنا في هذا المجلس، حيث نجده أول من تولى رئاسته إثر غيابه. المصدر السابق، 2/ 134. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 448، 449.

فلقد أسكته محمد بن سحنون هذا سكوتا طويلا حين طرح عليه رفقةالحضور من العلماء في المجلس تساؤلا ليرد ويجيب، قائلا له:"أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟"فما كان من المسؤول إلا أن سكت ولم يجد له جوابا[1].

لأجل ذلك راح ابن سحنون يسخر منه، ويشبه سكوته العجيب الطويل هذا بموت ميت مرت عليه سنة، الذي لا تجوز صلاة الجنازة عليه بإجماع علماء الأمة الإسلامية بالتالي فلا يلتفت إليه، ومن باب أولى أن لا يلتفت إلى مسؤوله النحوي هذا، بحكم أن "له ثمانون سنة ميت في عداد الموتى"[2].

لأن المسؤول يعلم بأنه لو أجاب ورد، فسيحكم على نفسه بالانهزام والتراجع أمام الملإ الحاضرين، مادامت الإجابة سوف لا تخرجه عن احتمالين اثنين لا ثالث لهما:

الاحتمال الأول: بأن يرد بعبارة "كل مخلوق يذل لخالقه"، فيكفر بذلك لجعله القرآن ذليلا نظرا لمذهبه فيه إلى مخلوقيته، بدليل قول الله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لاَ يَأتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[43].

الاحتمال الثاني: في لزومه الرجوع والعودة إلى مذهب أهل السنة فيما يخص هذه المسالة والاعتقاد بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، بالتالي فهو صفة من صفاته القديمة القائمة بذاته تعالى[5].

لا شك أن لهذه المناظرة بينهما دلالات: أولاها أنها اعتبرت بالفعل مقياسا معبرا أشد تعبير عن علو مكانة ابن سحنون العلمية والحجاجية، بعد تفوقه المطلق خلالها فيما يخص هذه المسألة العقدية المتداولة عهدها على كل الحاضرين.

وضمن هذا المجلس العلمي الذي جمع علماء قيروانيين أصحاب مناظرة وأهل جدل رفقة الوزير المذكور، بدليل عدم تقدم واحد من هؤلاء الحضور إلى مناظرته، بل الذي ناظره هو هذا الضيف المعتزلي المشرقي حديث المجيء إلى القيروان، والذي كان مصيره في نهاية المطاف الانهزام أمام ابن سحنون كما ذكرنا.

---

[1] المصدر السابق، 1/ 449. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 134.
[2]المصدر السابق، 2/ 134. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 449.
[3] الآيتان 41، 42 من سورة فصلت.
[4] المصدر السابق، 1/ 449.
[5] المصدر السابق، 1/ 449.

ثانيها: أنه لا يخفى علو واقتدار العالم النحوي هذا في المذهب الواصلي وقوة تحكمه في طرق ووسائل فن الجدل والمناظرة،إذ يفهم ذلك من: تقديمه لها من قبل الوزير وتمييزهله بها عن جميع الحـاضرين؛من وصف نص صريح لـه أخبر به المالكي حين ذكر بأنّ له

صحبة للكسائي الصغير[21].

ثالثها وأخيرها: كون هذا العالم السني قوي التحكم فيما قاله، وسديد التفقه والفهم للأدلة النقلية والعقلية التي استند على بعض منها وساقها في استدلالاته: النقلية بإيراده نصا مناسبا من كتاب الله تعالى، وإجماعا مناسبا أيضا؛أما العقلية فباستخدامه قياسا واحتمالا في محلهما.

المناظرة الثانية بين ابن سحنون السني والمعتزلي سليمان الفراء

مرة أخرى ثانية وفي إطار المسائل العقدية دائما وإن كان هذه المرة حول أسمائه تعالى عموما لا حول صفة الكلام المتعلقة بالقرآن الكريم.

فكان أن طرح المعتزلي سليمان الفراء المعروف بابن أبي عصفور على السني أبي عبد الله محمد بن سحنون حول قضية مرتبطة بالأسماء كما أسلفنا سؤالا وجهه إليه بقوله له فيه : "هل سمى الله تعالى نفسه؟"[3].

إن السائل المذكور ما طرح مثل هذا التساؤل إلا وهو على يقين بأن المسؤول سيجيب عنه بنعم، فيقع حينئذ في الشراك والفخ المنصوب له من قبله بالتالي يوقعه هذا السؤال في وضعية إقرار بلسانه على حدوث أسماء الله تعالى[4] كما يذهب إلى ذلك جماعة المعتزلة ولا إلى قدمها كما يعتقد أهل السنة.

لكن المسؤول ابن سحنون السني خيب ظنه وأزال يقينه بأن قلب الدائرة عليه حين أجابه بقوله:"[أن] الله [سبحانه وتعالى] سمى نفسه لنا ولم يزل، وله الأسماء الحسنى"[1].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن يحي، مقرىء محقق ثقة وصاحب تصدر، توفي على القول الراجح سنة نيف وسبعين ومائتين للهجرة/ 883 للميلاد كما ذكر الدارقطني. إبن الجزري أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1402 هـ/ 1982 م، 2/ 279.

[2] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 449.

[3] الخشني، المصدر نفسه، ص: 198.

[4] المصدر السابق، ص: 198.

[1] المصدر السابق، ص: 198.

معنى ذلك أن أسماءه عز وجل – كصفاته– غير مخلوقة، بل قديمة قائمة هي الأخرى بذاته تعالى، هكذا إذن وجدنا ابن سحنون يتحدى هذه المرة كذلك خصمه في المناظرة سليمان الفراء، ويتفوق عليه بروح علمية عالية وآليات حجاجية قوية.

المناظرة الثالثة بين سليمان الفراء وبين ابن الحداد

هذه المرة وإن كنا نلتقي بنفس المناظر عن الجانب الواصلي، لكن ليس الأمر كذلك عن الجانب الآخر السني، بحيث تصادفنا شخصية أخرى غير ابن سحنون، ألا وهي شخصية الإمام ابن الحداد.

وهذا مما يدل على أن أعلام المذهب الإعتزالي كانوا دوما أصحاب المبادرة فيما يخص هذا المجال من جهة، وعلى اعتبارهم أيضا أصحاب حنكة ودربة واقتدار.

لم يحفظ لنا المؤرخون المغاربة الذين كتبوا عن العالمين في مؤلفاتهم ولو نزرا يسيرا جدا فيما يخص هذه المناظرة التي جمعت بينهما، اللهم إلا الخشني المؤرخ الأندلسي الذي سجلها ضمن مؤلفه الموسوم بـ„كتاب طبقات علماء إفريقية‟.

إن هذا المعتزلي هو الذي سيبدأ بمساءلة مخالفه السني الثاني في المناظرة إلا أن الجديد خلالها أنه نوقشفي إطارها مبحث دقيق ومتميز جدا عن المباحث السابقة، وإن كان له تعلق وارتباط بصفات الله سبحانه وتعالى، إنه بالتحديد مبحث „مكان‟ الذات الإلهية أو أينية (أين) الله تبارك وتعالى.

وإن كنا سنكتشف تميزا ثانيا طيلة هذه المناظرة بينهما كذلك، كونها قامت وساد فيها على الإطلاق منهج تحكيم علم الكلام وآلياته: حيث استعمال المصطلحات الفلسفية والدلالات المنطقية، لا منهج النقل والاستدلال بظواهر النصوص الدينية:حيث الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واستخدام المصطلحات الشرعية والدلالات اللغوية البيانية وغيرها...

فكان أن صدر المعتزلي مناظرته تلك بسؤاله لخصمه السني قائلا له:"أين كان ربنا إذ لا مكان؟"[1]، لكن حدث أن وقف له هذا الأخير بالمرصاد مفهما له ومبينا بأن طرح مقولة „إذ لا مكان‟ تدل على نفي المكان[2].

---

[1] المصدر السابق، ص: 198.

من هنا فقد أبان له ابن الحداد خطأه بأن هذا السؤال بالذات لا يستحق أن يكون كلاما معقولا، ما دام طرفاه متناقضان، بالتالي ففكرة السؤال هي في الحقيقة مغالطة ليس إلا.

وهذا ما دعا مناظره لأن يتفطن لخطئه ويعيد صياغة سؤاله من جديد عبر عبارة صحيحة معقولة غير متناقضة هذه المرة في قالب لغوي سليم بقوله سائلا له حرفيا:"كيف كان ربنا إذ لا مكان؟"[2].

إنه وبعد أن تبين لسعيد ابن الحداد السني بأن سؤال مناظره المعتزلي صحيح منتف عنه الخطأ عقلا، راح يرد عليه ويجيبه بجواب لم يورد صاحب النص فحواه،بل اكتفى معلقا عليه لاحقا وذاكرا بأن السني كان هو المتفوق والمنتصر.

حيث أن المعتزلي التمس عنده بأن يغطي عن عوراته، ويحفظه فلا يكشف مناورته تلك بقطع المناظرة عبر المهاترة والجدل العقيم بهدف التراجع والهروب.

نفهم كل ذلك من كلام لسعيد بن الحداد قال فيه عن نفسه:"فلما أبنت[3] عليه، جعل يقول لي : يا أبا عثمان إن المسالة عظيمة كبيرة فتدبرها، فعلمت أنه رجل يريد الستر على نفسه"[4].

وهكذا خرج السني أبو عثمان هو المتفوق على منازعه في الاعتقادالمعتزلي سليمان الفراء طيلة هذه المنازلة العلمية والمناظرة الكلامية بكل جدارة وتمام استحقاق والتي اقتصرت حصريا على المنهج والآليات العقلية لا النقلية وعلى البراهين الكلامية لا الاستدلالات الظاهرية للنصوص الشرعية.

المناظرة الرابعة والأخيرة بين ابن الحداد وبين ابن الأشج[5]

لقد جمعت هذه المناظرة بينهما حضرة الأمير الأغلبي وبرفقة جماعةمن العلماء إثر مجالسة جرت حول صفة من صفات الله تعالى، ألا وهيصفة كلامه عز وجل أهو مخلوق أم

---

[1] المصدر السابق، ص: 199.
[2] المصدر السابق، ص: 199.
[3] وضحت وبينت كلامي، عكس مخالفي في كلامه. إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 184.
[4] الخشني، المصدر نفسه، ص: 199.
[5] أبو محمد عبد الله بن محمد، كان ممن يذهب مذهب المعتزلة في الإعتقاد، حيث عد من كبار أهل الجدل وعلم الكلام توفي سنة 286 ه/ 899 م. المصدر السابق، ص: 193. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 232.

لا؟ وهذا انطلاقا من تكليمه جل وعلا للرسولموسى(عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) مصداقا لقوله تعالى:﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰتَكْلِيمًا﴾[1].

إذ بينما أفراد الجماعة يتبادلون أطراف الحديث والنقاش حول المسألة حتى انبرى لهم ابن الحداد السني مسائلا إياهم عمن سمع النبي موسى (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم) هذا الكلام؟

فما كان من ابن الأشج إلا أن بادره بإجابة منه، على أنه سمعه من الشجرة لكن ابن الحداد أعاد عليه طرح سؤال ثان قائلا له:"[أسمعه] من ورقها أم من لحائها؟"[2].

إلا أن الأمير الأغلبي اضطر أن يتدخل، وهذا ما فعله لمنع المسؤول ابن الأشج من الإجابة، لأنه لو أجاب لسقط في يديه ووقع في شراك الهزيمة، ثم الانكسار أخيرا أمام سائله،وهذا ما يتوجب عليه العقوبة[3].

إن هذا مما لا شك فيه انتقاص من سمعة الأمير، ومس بالثلب لجنابه وشخصه، ما دام ابن الأشج معدود من شيعته وأتباعه الذين يذهبون كلهم جميعا مذهب المعتزلة أو الواصلية في القضية.

علة منع الأمير المسؤول عن الرد والإجابة على السائل تكمن في ذهاب المسؤول إلى الاعتقاد بأن السماع كان من الشجرة على وجه الحقيقة فقط لا غيرها، مما يستلزم وصمه بالكفر والخروج عن الملة: لأنه اعتقاد يفضي إلىاعتبار "أن الله تبارك وتعالى لم يكلم موسى [عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام]وأنه لم يفضله بكلامه"[4].

إنه ونظرا لما عاينه بنفسه وحضره بشخصه من تحديات ابن الحداد السني لمخالفيه خلال هذه الجلسة وتفوقه عليهم، فإن الأمير المذكور لم يتمالك نفسه لما آلمه وأحزنه من تساقط أنصاره أمام هذا العالم السني.

---

[1] الآية 164 من سورة النساء، وإن كانت نسبة الكلام إلى الله تعالى في القرآن الكريم قد وردت في ثلاث وثلاثين موضعا منه. أنظرها عند: محمد فؤاد عبد الباقي، المرجع السابق، ص: 620، 621. فضلا عن ورودها بنسبة أكبر في السنة. فليرجع لبعض منها إلى: أ. ي. ونسنكوي. ب. منسنج، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، دار الدعوة بإستانبول ودار سحنون بتونس، ط 1988، 6/ 55، 56 58، 60 - 63.

[2] المالكي، المصدر نفسه، 2/ 71.

[3] المصدر السابق، 2/ 71، 72.

[4] المصدر السابق، 2/ 72.

بل راح يجيبه بنفسه على سؤاله المطروح سلفا، لكن بصيغة أخرى جديدة غير الصيغة التقليدية، قائلا له عبرها كمحاولة منه للصمود أمام سؤاله هذا : "لا أقول مخلوقا ولا غير مخلوق، لأن الله تعالى قال كلامي ولم يقل مخلوقا ولا غير مخلوق"[1].

وإن كان ابن الحداد السني قد أقحمه هو الآخر، حين استرسل معه في هذا النزال الجدالي مستعملا معه دليل ومبدأ القياس، حيث جعله يقر ويتفق معه في كل تفاصيله التي انتهى إليها، فكانت خلاصة هذا الدليل أن قيست صفة على صفة: بإلحاق الفرع محل النزاعوالمتمثل هنا بصفة كلامه سبحانه وتعالىبالأصل محل الاتفاق(وهو صفة علمه جل وعلا)[2].

فلقد طرح عليه أولا مبحث صفة علم الله عز وجل أهو مخلوق أم لا؟ فلو قال بأنه مخلوق للزمه القول من أن يسبقه جهل، ما دام أن ضد العلم هو الجهل: فيكون الله سبحانه قبل أن يخلق العلم جاهلا – تعالى الله عن هذا علوا كبيرا – وهذا محال في حقه[3].

وأن نفس ما قيل(من الاستدلال الكلامي) في صفة العلم يقال ذاته فيما يخص صفة كلامه عز وجل، بمعنى: أنه إذا كان كلامه مخلوقا لزم ذلك أن يسبقه ضده ألا وهو الخرس: الذي يعتبر هو الآخر مستحيل في حقه تبارك وتعالى وهكذا وأخذا بمبدأ القياس ما دام أن "ما لزم في العلم لزم مثله في الكلام"[4]، فإنه يصح قياس صفة الكلام على صفة العلم، وهذا إذن هو الدليل الأول.

أما الدليل الثاني: فيتمثل في اعتبار صفة العلم في حقه تعالى لا تتعدى احتمالين: الاحتمال الأول المتمثل في عدها صفة فعل له عز وجل، والتي يحكم على من اعتقد مخلوقيتها أو نفيها بالكفر[1].

الاحتمال الثاني: باعتبارها صفة ذات، فمن اعتقد فيها نفس الاعتقاد السالف المذكور بوجهيه ، فإنه ينطبق عليه نفس هذا الحكم الديني الوارد أعلاه[2].

---

[1] المصدر السابق، 2/ 72.
[2] المصدر السابق، 2/ 72.
[3] المصدر السابق، 2/ 72.
[4] المصدر السابق، 2/ 72.
[1] المصدر السابق، 2/ 72.
[2] المصدر السابق، 2/ 72.

أخيرا ولما سقط في يدي هذا الأمير وبهت أمام اقتدار وجدارة ذلك السني العلمية وما أورده من حجج كلامية عقلية، وساقه من براهين منطقية صرفة فإنه لم يجد إلا العناد والمكابرة كمخرج له وملجإيصير إليه، وراح يتخذ لنفسه اتباع مسلك الوقف في القضية: فلم يجب بإيجاب ولا بسلب، بل التزم الحياد[1].

1ت- مجال استخدام الغلظة والتشدد مع استعمال القوة والعنف

عبر أشكال وأساليب تبادلها المذهبان على العموم، حيث تعمدنا إرجاء الكلام عنها في آخر هذا المبحث، لأن المجال المذكور بطبيعته تلك يعبر عن مظهر من مظاهر الضعف والتراجع التي تعرف بها المجتمعات المتخلفة البدائية عبر مسيرة التاريخ، عكس المجالين السالفين المؤشرين عن حالة التحضر والسمو الفكري في عكسها من المجتمعات المتحضرة.

لقد حاولنا هنا أيضا أن نكتفي بإيراد نماذج عن هذا المجال جرت في ظل مرحلة حكم الأمراء الأغالبة، لا لشيء إلا لجلائها وكثرتها مقارنة بالمرحلة السياسية السابقة عن ذلك، وكما سبق وأن أسلفنا فإن هذا المجال استغرق أشكالا وصورا، نذكر منها:

ترك الصلاة وراء المخالف

مثل ما فعله الإمام سحنون السني المالكي بترك شهوده وأداء صلاة الجمعة مأموما خلف معد بن عقال[1] بمسجد القيروان، لأنه كان يذهب مذهب الإعتزال في تبنيه القول بخلق القرآن[2].

بل إننا نلاحظ نفس هذا المسلك والتصرف يتكرر مرة أخرى مع نفس هذاالإمام:بحيث نجده يتراجع ولا يصلي خلف جنازة بمجرد إخباره بأن الذي يؤمها هو القاضي المعتزلي المعروف بابن أبي الجواد في عهد الأمير الأغلبي زيادة الله[3]، من غير اكثرات بما قد يلحقه من أذى إذا ما طرقت أنباء ذلك سمع الأمير هذا.

---

[1] المصدر السابق، 2/ 72.

[1] لم نعثر على من ترجم له، بل نفهم من معطيات أحيطت باسمه: بأنه كان عالما معدودا على معتزلة القيروان. المصدر السابق، 1/ 488.

[2] المصدر السابق، 1/ 488.

[3] أبو العرب، كتاب المحن، ص: 451.

مع العلم بأن هذه الممارسة لم تكن حكرا على الطرف السني، بل طبقهاوسار عليها الطرف المعتزلي الآخر أيضا، حين امتنع جماعة من بطانة الأمير محمد بن الأغلب.

والذي لا نشك في اعتزاليتهم من تأدية صلاة الجنازة على الإمام سحنون نفسه، بعد أن استأذنوا الأمير من إعفائهم عنها، بحجة قولهم له بأنه (أي سحنون):"يُكفّرنا ونكفّره فإن صلينا عليه رأى الناس أنا قد رضينا حاله"[1].

إتخاذ أسلوب الهجران للمخالف

من خلال قطع الإتصال والتواصل مع هذا المخالف من قبل الذين يساكنونه ويتواجدون معه يوميا ودوما عبر: امتناع التكلم معه وعدم السماع منه، فضلا عن التعامل معه أخذا وعطاء... كل ذلك بقصد دفعه للتراجع عن مخالفته إذا أراد حياة عادية ضمن أفراد بني قومه - والحاملين لعقيدتهم المميزة والمحددة المعالم - الذي يعيش بين ظهرانيهم ويستأنف دوره الطبيعي ضمنهم من غير إقصاء ولا هجران.

وهو أسلوب كان قد أسس له سلف أعلام هذا المذهب السني، ومشى على اتباعه الذين أتوا بعدهم مع مخالفيهم من المذاهب الأخرى خصوصا في مجال العقائد، من خلال استعمال عدد من التصرفات وتبني سلوكيات معينة معهم:

تارة بترك التحية والإمتناع عن إفشاء السلام على هؤلاء ممن عرف عنهم التشبث بخصال عقدية أو عبادية هي من خصال المذاهب المخالفة، وهو ما كان يقوم به الإمام سحنون فعلا ويحرص عليه أشد الحرص، مقتديا في ذلك بشيخه ومعلمه البهلول بن راشد كما حكى هذا هو بنفسه[1].

وتارة أخرى ثانية برفض قبول عيادة وزيارة المخالفين في حال المرض حيث نلاحظ ذلك جليا وبوضوح حين أخبر الإمام البهلول بن راشد وهو مريض طريح الفراش لمن جاؤوا يستأذنونه في إمكانية دخول أبي محرز أحد رؤوس المعتزلة وقتها عليه بغية عيادته أن "قولواله: إن كنت على رأيك فلا تقربنا"[2].

[1] النعمان، المصدر نفسه، ص: 61. عياض، المصدر نفسه، 1/ 362. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 102.

[1] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 203. عياض، المصدر نفسه، 1/ 192. الدباغ، المصدر نفسه، 1/ 266.

[2] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 203. عياض، المصدر نفسه، 1/ 192.

وتارة أخرى ثالثة وأخيرة متمثلة في عدم السماع والأخذ عن مثل هؤلاء المخالفين من علماء ومشائخ فيما يخص المسائل العلمية والعملية: سواء كانت عقدية أصولية أم عملية عبادية فروعية، والتي كانت تثار عهدها أثناء مناظراتهم فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين خصومهم.

كما لا يفوتنا أن نسجل مظهرا من هذه التصرفات أو السلوكات بجلاء من خلال الموقف الذي أرساه الإمام البهلول أيضا آخذا إياه من محمد والد أبي عثمان سعيد حيث صار قاعدة مطردة وسنة متبعة التزم بها اتباع المذهب السني خصوصا طلبة العلم ومن باب أولى العامة، كي لا تكثر وتختلط في أذهانهم الشبه فتشوش عليهم وتفتنهم في دينهم.

أقدم من سجل وأورد هذا التصرف هو أبو العرب تميم المتوفى سنة333هـ/944م في طبقاته بقوله:"وحدثني أبو عثمان سعيد بن محمد، قال سمعت أبي يقول: جزت بسقيفة[1] العراقي[2] وهم يتناظرون في الاعتزال، فوقفت أسمع منهم فبلغ ذلك بهلولا، فلما جئته أقبل علي وجعل يقول: يا محمد، بلغني أنك مررت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في القدر فوقفت إليهم تستمع منهم، وأغلظ علي [في رواية المالكي:فلا تقربني] "[1].

إستعمال خطة القضاء كوسيلة لإلحاق الأذى بالمخالفين بكل عنف وغلظة

إرتبط هذا المسلك، والمتصف بتلك الطبيعة والنعت لأول مرة في تاريخإفريقية الإسلامية بالإمام سحنون أحد علماء المذهب السني وبالتحديد المالكي.

كما ارتبط كذلك بالإمام المعتزلي عبد الله بن أبي الجواد، خلال توليهخطة القضاء في الإمارة الأغلبية بإفريقية مدة ليست بالقصيرة قدرت بثمانية عشرة سنة كما مر معنا ذلك، حين صار كبير قضاتها ومتخذا القيروان عاصمة الإمارة مكانالإقامته.

بيت القصيد في هذا المسلك والتصرف أوالشاهد فيه، هو ذلك الحكم الجائر من وجه، والعنيف من وجه آخر الذي أنتهى إليه وخرج به هذا القاضي المعتزلي بإلزام الإمام

---

[1] كسقيفة بني ساعدة، وهي كل بناء سقفت (بمعنى ارتبطت) به صفة أو شبهها حتى جعلته بارزا مميزا. إبن منظور المصدر نفسه، 3/ 304. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 820.

[2] لم نصادف أي تأريخ له بالمصادر المتوفرة، وإن عرف عنه اشتهاره بالمناظرات، واقتداره للخوض في المسائل الكلامية، لأجل ذلك لا نستبعد اعتزاليته. أبو العرب، طبقات...ص: 129. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 204.

[1] أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 129. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 204.

سحنون: بأن يؤخذ "عليه الضمناء[1]، وينادى عليه بسماط[2] القيروان: لا يفتي ولا يسمع أحدا ويلزم داره، ففعل ذلك، وأخذ عليه عشرة حملاء[3]"[4].

لا لشيء إلا لأنه خصمه المناقض له في الاعتقاد: بذهاب هذا القاضي وبطانته وقتها في مسألة خلق القرآن بأنه مخلوق[5] بائن عن الله تعالى مقابل ذهاب الإمام سحنون اتباعا لسلفه من أعلام المذهب السني بأنه كلام الله تعالى غير مخلوق[6].

وبهذا يكون هذا القاضي وجماعته قد ضرب بقيم الحوار وحرية الرأي والقبول بالقول المخالف...عرض الحائط، المعروف بها والمستفيضة في خطاب المعتزلة الفكري على الخصوص.

وإن كان الإمام سحنون قد واتته الفرص وأسعفته الظروف وصار هو الآخر صاحب منصب كبير في الإمارة الأغلبية بتقلده خطة كبير قضاتها مباشرة عقب عزل منافسه وخصمه المعتزلي ابن أبي الجواد هذا،والذي سلط عليه الأذى المذكور.

فعلا انتهى الإمام سحنون إلى هذه الوظيفة واستقر عليها انطلاقا من سنة 232هـ/846م حتى وفاته سنة 240هـ/854 م من غير عزل أو ابعاد كما سبق تسجيل ذلك، مما يدل على أن الإمارة الأغلبية طوال تاريخها كانت تحكمها السياسة والمصالح لا الاعتقادات والمبادئ الدينية الثابتة في تعاملها مع هذين المذهبين العقديين المتواجدين على أرضها.

هكذا إذن يعتبر الإمام سحنون أول من عاش محنة "خلق القرآن" بالمغرب الإسلامي، وكابد الآلام والويلات المترتبة عنها[1] إلى أن خرج منها منتصرا بدليل تتويجه كبير قضاة إفريقية في آخر مطاف ونهاية عمره، كتلك التي عايشها وإن بوتيرة أشد ودرجة

---

[1] مفرده ضمين أو ضامن: بمعنى كفيل. أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجيل، بيروت، ط 1981 ص: 265.

[2] جمعه سمط، وسماط: أي المكان ما بين صدره ومنتهاه. الفيروزآبادي، المصدر نفسه، ص: 672.

[3] أو الحمالون مفرده حمال: وهو من يرفع الأثقال على ظهره لنقاها مقابل أجرة. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ط 3، 1985، 1/ 206.

[4] عياض، المصدر نفسه، 1/ 254. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 95. أبو العرب، كتاب المحن، ص: 451. وإن كان هذا الأخير يذكر "أحد عشر حملاء".

[5] المصدر السابق، ص: 449.

[6] المصدر السابق، ص: 451. عياض، المصدر نفسه، 1/ 354. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 94.

[1] تنظر بشيء من التفصيل عند: أبي العرب، المصدر نفسه، ص: 449 - 452.

أكبر: الإمام أحمد بن حنبل في المشرق الإسلامي[1] بالجهة المقابلة له، وانتصر هو الآخر فيها أيضا.

فضلا عن كون المتسبب في محنتهما واحد،ألا وهو المذهب الإعتزالي وبعض منظريه، حين استطاع أن يؤثر بشدة في الحكم وسلطة القرار عهدها بل يصير صاحب اليد الطولى فيها ولو خلال زمن مؤقت إلى أن وضعالمذهب العقدي السنـي حدا له لاحقا بانتقال هذه الهيمنة السياسية إليه وانفراده بها.

2- إنعكاسات الصراع المذهبي العقدي الواصلي أو المعتزلي – السنى بإفريقية

أمر طبيعي أن ينبثق عن هذه المجالات المتنوعة المذكورة بمزاياها تلك نتائج وانعكاسات، حيث يمكننا رصد أهمها في الآتي:

2أ– تفوق وسيادة المذهب العقدي السنى بإفريقية

لقد كتب التفوق والانتشار فالسيادة أخيرا لعقائد المذهب السني بمنطقة المغرب الإسلامي كلها، عقب نزالات وصراعات استغرقت مدة ليست بالقصيرة بين الطرف السني والطرف المعتزلي قدرت بقرن من الزمان تقريبا: بدءا من النصف الأول للقرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حتى المنتصف الأول للقرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

وإن عرفت تلك العقائد السنية تطويرا وتحويرا وإثراء مع مرور الزمن بعدذلك بفعل ظروف وملابسات أحاطت بها، حيث ضربنا الصفح عنها وتركناها جانبا فلم نتعرض لها، ما دامت خارجة عن موضوع البحث وإطاره الزماني.

2ب – إلتحاق علماء أحناف بالمذهب الشيعي الإسماعيلي[1]على أرض إفريقية

لقد ذكر الباحثان التونسيان المختصان في مثل هذه الدراسات المتعلقة بنطاق المغرب الإسلامي بأن نسبة ليست بالقليلة من علماء المذهب الحنفي قد تبنوا المذهب الشيعي الإسماعيلي وانضموا إليه[2]، حين بشر به أتباعه ونجحوا فعلا في التمكين له ولو مؤقتا منخلال ما عرف بالدولة العبيدية.

---

[1] تراجع هذه المحنة باستفاضة وتفصيل أكثر عند: إبن كثير، المصدر نفسه، 2/ 1615 فصاعدا...

[1] الذي سنتناول الحديث عنه لاحقا.

[2] Hady Roger Idriss, la berberie orientale sous les Zirides Xè-XIIè, librairie d'Amériqueet d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1962, 2/687. Farhat Dachraoui, les commencements

وإن كنا نعتقد بأن ظاهرة التحاق علماء أحناف بالمذهب المذكور هي بمثابة نتيجة بعيدة أو انعكاس لهذا الصراع، خصوصا عقب خضوع النطاق المغربي تقريبا للمذهب العقدي السني وبالتحديد المالكي، وعلى حساب تراجع المذاهب العقدية الأخرى من واصلية وصفرية وإباضية تاركة ساحة هذا النطاق له بالكاد لأنه سبق للمذهب السنيالحنفي أنكان صاحب اليد الطولى والسيد علىمنطقة إفريقية تحديدا بلا منازع مدة[1].

ما أقدم هؤلاء الأعلام من الأحناف الذين هم على مثل هذا النهج أو السلوك: أي انضمامهم إلى مذهب الشيعة الإسماعيلية وتبنيه، إلا للنجاة بأنفسهم من تنكيلهبهم بعد تمكنه من الغلبة والسيادة بالمنطقة من جهة.

ثم جريا وراء الدنيا من كسب منصب وبلوغ جاه ووصول إلى رتبة وطلب مال...من جهة ثانية.

ثم بحكم مبالغتهم في توظيف العقل فيما يخص تعاملهم مع النصوص الدينية – عكس المذهب السني المالكي – سواء في الأصول موضوع بحثنا هذا أمفي الفروع، هذا إذن ما جعلهم يتقاطعون ويشتركون مع ما ذهب إليه علماء المذهب الشيعي الإسماعيلي في هذا الأمر من جهة ثالثة.

من أجل ذلك نعتهم الجميع بلا استثناء بأصحاب الرأي، ما دام الرأي ضرب من ضروب النشاط العقلي كما هو معلوم: لأنهم (أي الأحناف) يعتبرونالأوائل الذين قالوا به وأعطوه مساحة من التوظيف والاستعمال أكثر بكثير مقارنةبغيرهم من أعلام المذاهب الأخرى.

إن المصدر الوحيد الذي احتفظ لنا صاحبه بجرد دقيق لهؤلاء الأحناف الذين اعتنقوا المذهب الشيعي الإسماعيلي هو„كتاب طبقات علماء إفريقية‟حيث أوصلهم مؤلفه الخشني

du califat fatimide au Maghreb, Edition critique et analyse du Kitab Iftitah AL-DA'WA du cadi Al Nu'man, STD, Tunis, 1986, p : 21.

ضمن كتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، المذكور والمحال إليه.

[1] ينظر إلى هذا التفوق في مدته وأسبابه عند: إسماعيل سامعي، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري (8 - 11)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 2006 ص: 55، 64، 68، 72.

إلى أحد عشر عالما، والذين أورد تراجم لهم ضمن عنوان خاص بهم أطلق عليه لفظ „باب ذكر من شرّق[1]...من رجال العراقيين„[2].

فالذي يدل على حنفيتهم قبل دخولهم في التشيع الإسماعيلي هو كلمة „العراقيين„ الواردة في النص المذكور، والتي إذا اطلقت وقتها فإنه لا يعنى بها إلا أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة في الفروع والعبادات كما سبق ذكر ذلك وتوثيقه.

مثل ما هو شأن لفظة „المدني„ التي استعملت كعلامة وأمارة على كل متبع للمذهب المالكي، ونسبة إلى „المدينة المنورة„: مكان ميلاد ونشأة ووفاة الإمام مالك بن أنس[3] مؤسس المذهب المذكور، فضلا عن سيادة المذهب بها عهدها.

أما عن اعتزالية وواصلية هؤلاء الأحناف في مجال الأصول والعقائد فيكفي كبرهان عليها كونها تلتقي مع المذهب الشيعي الإسماعيلي المعتزلي العقائد كما هو معلوم وبالتحديد في قضايا منها:تأويل الصفات وخلق القرآن...لأنه من المستبعد تماما أن يكافؤوا:فيمنحالكثير منهم تلك الوظائف السامية كخطط المظالم والقضاء وكتاب الوثائق[1] ما لم يشتركا ويتفقا معا حول مساحة لا بأس بها من العقائد.

وإن لم يمنع ذلك من تبني علماء سنيين مالكيين للمذهب الجديد لنفس أغلبالأهداف التي سبق وأن سقناها، إلا أنهم قدروا بنسبة قليلة لم يتجاوز عددهم الستة أحصى أفرادها كلهم المؤرخ الخشني[2].

كما يجب أن لا يفوتنا في هذه النقطة ذكر أحد علماء الأحناف – إنتصارالمن ذهب إلى القول بحنفيته[3] بداية نظرا لتكنيه بكنية أبي حنيفة[4]– البارزين الملتحقين لاحقا بالتشيع الإسماعيلي، ألا وهو أبو حنيفة النعمان بن محمد[5].

---

[1] بمعنى: تشيع التشيع الإسماعيلي من علماء القيروان الأحناف. الخشني، المصدر نفسه، ص: 223، 224 - 226.

[2] المصدر السابق، ص: 223، 224 - 226.

[3] مصطف الشكعة، الأئمة الأربعة، دار كتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1403 هـ/ 1983 م، ص: 291. إبن قتيبة المصدر نفسه، ص: 280.

[1] الخشني، المصدر نفسه، ص: 225، 226.

[2] المصدر السابق، ص: 223، 224.

[3] وإن كان الباحثون قد تفاوتت آراؤهم حول مذهبية القاضي النعمان: فمن قائل بإسماعيليته أصلا، وثان بحنفيته، وثالث بمالكيته؛ للوقوف عليها بشيء من التفصيل يرجع إلى: مقدمة كل من المحققين الثلاثة: الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي لكتاب المجالس والمسايرات، للنعمان بن محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1997 م ص: 7، 8.

لما له من فضل أكبر على الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي بما ألفه لصالحهم من مؤلفات كثيرة متباينة العلوم من: تاريخ وفقه وعقائد ومناقب، وما قدمه من خدمات جليلة لها من خلال تبوئه المناصب العليا بمؤسساتها وأجهزتها السياسية[3].

2ت– إلتزام علماء المذهب العقدي السنيوخصوصا المالكيين بمنهج جديد في التعامل مع النصوص الدينية

يعتبر هذا الإلتزام هو الآخر أحدنتائج وانعكاسات هذا الصراع المذهبي العقدي فضلا عن اعتبارنا إياه أهمها على الإطلاق لما له من تأثير رئيس ومحوري على الحياة الفكرية والثقافية بكل صورها عبر هذا النطاق الجغرافينظرا لتعلقه بالجانب الإيبستمولوجي[1].

لقد تمثل هذا المنهج في إقبال علماء السنة عموما والمالكية خصوصا علىتعلم وإتقان آليات وطرق علم الكلام المستخدمة من قبل المخالفين في الحجاج والمناظرة عهدئذ لما كان لها من تأثير بالغ الأهمية على المتلقين وكسب الأنصار، فضلا عن دحض حجج الخصوم بالطريقة العقلية والمنهج المنطقي.

إنه سلوك منهج جديد سار عليه علماء أهل السنة وخصوصا منهم: المالكية والشوافع...في الذبوالدفاع عن العقائد والاحتجاج لها أمام الخصوم والمخالفين هذا المنهج الذي عرف بـ "علم الكلام"، حيث حدّه ابن خلدون اصطلاحا بقوله أنه: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[2].

---

[1] إبن خلكان، المصدر نفسه، 5/ 415.

[2] كان صاحب علم في الفقه والدين، من المنضمين الأوائل للدعوة الإسماعيلية بإفريقية، له مصنفات عدة ومتباينة تصب كلها في الانتصار للدعوة الجديدة، توفي سنة 363 هـ/ 974 م. المصدر السابق، 5/ 415 - 423.

[3] للوقوف بالتفصيل على هذه الكتب والخدمات، ينظرفي: المرجع السابق، ص: 8 - 20. فؤاد سزكين تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، 1403 هـ/ 1983 م، 1/ 3/ 363 - 367.

O.p. cit. p: 21- 23.

[1]أصلها يوناني، وتتكون من: إبيستم بمعنى علم أو معرفة، ولوغوس بمعنى خطاب. أما في الاصطلاح الأكاديمي الفرنسي فيعنى به البحث في علمية العلوم، وهذا بإخضاع أسسها ومبادئها وفرضياتها ونتائجها للاختبار النقدي.
Madeleine Grawitz, Lexique des sciences sociales, Dalloz, Paris, 8 éditions, 2004,p :153.

[2] إبن خلدون، مقدمة، 3/ 966.

بهذا يكون هؤلاء العلماء قد شكلوا في مجال ما اصطلح عليه بالإيبستمولوجيا مدرسة كلامية قائمة بذاتها، سماها الجابري أحد المفكرين المغاربة بـ "المدرسة البرهانية" مقابل كل من "المدرسة البيانية" التي اضطلع بها أهل الحديث، و"المدرسة العرفانية" بقسميها الإشراقي والفلسفيالتي التزم بها أهل التصوف[1].

إن هذا العلم أو المنهج الاستدلالي الجديد الذي استعان به هؤلاء الأعلام من أهل السنة عموما في تمسكهم بعقائدهم والدفاع عنها أمام المخالفين من جهة أولى، ثم منازعتهم لعقائد المناوئين بغية دحضها من جهة ثانية.

والذي اعتبرناه أحد نتائج وانعكاسات هذا الصراع المذهبي العقدي السني - الواصلي ما هو في الحقيقة إلا التماس للحجج العقلية المدعمة للعقائد والآراءالدينية، ما دامت القاعدة السارية في علم الكلام تقوم على: الاعتقاد أولا ثمالاستدلال لاحقا[2].

إذ هو كما نرى انفتاح على منظومة من القواعد الكلامية والمبادئالفلسفية الأقرب إلى آليات الفلسفة والعقل منه إلى دلالات البيان واللغة في مجال كل الممارسات الفكرية الدينية: إن على المستوى العملي التطبيقي كما هو الشأن في ميدان الفروع والفقه، أو على المستوى العلمي النظري التصوري كما هو الشأن فيما يخص الأصول والعقائد.

إننا نعتقد ونذهب إلى أن هذا المنهج بدأ في التألق والازدهار ضمن إطار أهل السنة عموما،وانطلاقا من القيروان بإفريقية لينتشر عبر المناطق المتبقية من المغرب الإسلامي لاحقا، وتحديدا عهد الإمام محمد بن سحنون المتوفى سنة 256هـ/869م بالنسبة للمدرسة المالكية.

لأنه يعتبر صاحب السبق من بين كل أعلامها فيه، بالتالي فلا نعجب إذا رأينا بأن كل من أرخ له لا يشذ عن أن يسجل عنه انطباعا معينا خاصا به، لهارتباط وثيق بمثل هذا

---

[1] للوقوف على هذه المدارس باستفاضة، يرجع إلى: الجابري، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 7، تشرين الثاني/ نوفمبر 2004، ص: 13 - 482.

[2] أحمد محمود صبحي، المرجع نفسه، 1/ 18

النوع من العلوم: حيث نجد الخشني ينعته تارة بأنه من "الناظرين المتصرفين"[1]، وتارة أخرى كونه "جيد النظر"[2].

وكذا المالكي حين يورد له حوارا دار بينه (أي ابن سحنون) وبين متكلم معتزلي مشرقي كبير: أين تحداه ابن سحنون فدحض كل حججه وفند شبهه بعدأن استعصي على غيره من العلماء الآخرين مواجهته، والوقوف أمامه بالمنطقوالعقل ليس إلا.

فضلا عن مناظرته لذلك العالم اليهودي المخالف له في الملة تماماوالمنتهية في الأخير إلى تأثر هذا اليهودي به تأثرا كبيرا أفضى به إلى اقتناعه بحججه وأدلته، فإسلامه على يديه[3]؛ هذا إذن عن المدرسة المالكية.

أما عن تبلور هذا المنهج بالنسبة للمدرسة الشافعية:فتحديدا عهد الإمام أبي عثمان سعيد بن الحداد المتوفى سنة 302هـ/914م، المعروف والمتميز بسجالاته العلمية ومناظراته الكلامية الطويلة النفس المؤداة بكل جدارة واقتدار إلى التفوق على رجالات وأعلام المذهب الشيعي الإسماعيلي، وهي المناظرات التي سنستعرض لها ونقف على تفاصيلها لاحقا.

لأن جميع المصادر التي ترجمت له تجمع كلها على انفراده بخصائص تكمن في مهارة عالية جدا قل أن يتمتع بها أحد في علم الكلام، واقتدار فائق في العقائد والنحل وتميز منقطع النظير وقتها في الذب عن مذهب أهل السنة والرد على المخالفين[1].

وأخيرا فيما يخص المدرسة الحنفية: فلا نشك بأنها تعتبر المدرسة الصاحبة السبق المبكر في تأثرها بعلم الكلام – كما سبق إيراد ذلك – بوقت سابق على تأثر المدرستين المذكورتين به، بحكم قيامها على التوسع أكثر منهما في توظيف العقل والتعامل مع النصوص الدينية.

حتى عرف أصحابها برواد مدرسة الرأي بلا منازع كما ذكرنا هذا أعلاهإذ يكفي تسجيل المؤرخ الخشني فصلا عنهم تحت عنوان معبر ودال دلالة جلية عن ذلك بقوله:

---

[1] الخشني، المصدر نفسه، ص: 129. وقارن ذلك بما في معناه عند: عياض، المصدر نفسه، 1/ 424، 427. الدباغ المصدر نفسه، 2/ 127.

[2] الخشني، المصدر نفسه، ص: 129. عياض، المصدر نفسه، 1/ 424، 427. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 127.

[3] المالكي، المصدر نفسه، 1/ 449، 450، 451. عياض، المصدر نفسه، 1/ 429، 430. الدباغ المصدر نفسه، 2/ 125، 134.

[1]الخشني، المصدر نفسه، ص: 198 - 212. الدباغ، المصدر نفسه، 2/ 295 - 315. المالكي، المصدر نفسه، 2/ 57 – 115.

"وهذه تسمية أهل المناظرة والجدل من طبقةالعراقيين"[1] ضمنه نماذج من علماء هذه المدرسة.

فضلا عن إيراد نفس هذا المؤرخ فصلا آخر حوى عددا لا بأس من أعلامهم، وإن كان بعنوان آخر ألا وهو "باب ذكر من شرّق [بمعنى تشيع التشيع الإسماعيلي] ممن كان ينسب إلى علم أهل القيروان من رجال العراقيين"[2].

فلقد وجد بالمنطقة قبل محمد بن سحنون وسعيد بن الحداد أعلام سنيون غيرهما... كعبد الله بن فروخ، وعبد الله بن عمر بن غانم، والبهلول بن راشد وغيرهم...الذين عرفعنهم اتباع سنن منهج علماء السلف في تلقي العقائد[3]:المعروفون بالتزامهم حدود معنىالنص الديني من غير تجاوز لظاهره ودلالته اللغوية.

وهو ما عبرنا عنه سلفا باصطلاح المدرسة أو المنهج البياني الذي يأتي ليقابل المنهجين البرهاني والعرفاني، مع هجرهم كل من علم عنه تعاطي ولو جزءا يسيرا جدا من علم الكلام[4].

لا ريب أن هذه النقلة النوعية للمذهب السني عموما من اقتفائه منهج السلف أو الإستدلال البياني إلى تحوله لاحتذاء مدرسة علم الكلام أو المنهج البرهاني والناشئة عن أسباب وعوامل عدة بإمكاننا حوصلتها ضمن فكرة مفادها: بأنه صار مؤكدا ويقينيا كون رسوخ أي مذهب عقدي لدى معتقديه وأتباعه، فضلا عن نشره والعمل على تفشيه بين الناس، لا يتأتى إلا باتخاذ هذا المنهج الوسيلة الضرورية لذلك، ما دامت حياة أي مذهب واستمراريته وغلبتهعدت مرهونة تماما بالتمسك به واتقان آلياته، والعكس صحيح.

2ث– الإيذان بربح المذهب العقدي السني عموما والمالكي خصوصا للساحة الجغرافية المغربية

إذ نعتبر هذا الإيذان أو الإعلام بذلك أحد نتائج وانعكاسات موضوع هذا الصراع المذهبي العقدي السني – الواصلي، حيث تهمنا منه أمارات أو إرهاسات إن صح تسميتها

---

[1] الخشني، المصدر نفسه، ص: 219 - 222.
[2] المصدر السابق، ص: 223، 224، 226.
[3] إسماعيل سامعي، المرجع نفسه، ص: 187.
[4] أبو العرب، طبقات...ص: 108.

بذلك:تبدت لنا في خضم هذا الصراع بين تلك المذاهب العقدية كلها وخصوصا بين المذهبين العقديين المذكورين لمرافقتها وجوده واستمراره.

لا تخرج هذه الأمارات عن كونها شمائل رفيعة وسلوكات أخلاقية جد عالية: كخلق الزهد، والترفع عن الدنيا ووسائلها من مناصب وعقارات وتجارات...المدرة للشهوة والمال والجاه على أصحابها...قد تشبث بها رؤوس وأعلام من المذهب العقدي السني وخصوصا المالكي منه أكثر من رواد المذاهب الأخرى المتواجدة عهدها بمنطقة المغرب الإسلامي.

إنه وبمجرد تصفحنا لكل المصادر المتقبية والأصول التراجمية بغض النظر عن انتماءاتها العقدية وميولاتها الدينية انطلاقا من تلك الخصال والشمائل المذكورة، فإننا نلاحظ فكرة معينة أو نخرجبنتيجة واحدة فقط لا يختلف حولها اثنان، ألا وهي كون العلماء المنتمين للمذهب العقدي السني وبالتحديد المالكي منه هم الأكثر التزاما بهذا النوع من الأخلاق وتجسيدا له في تصرفاتهم ومعاملاتهم مقارنة بغيرهم من الأقران المنتمين إلى المذاهب العقدية الأخرى.

فضلا عن تعرض أولئك العلماء بالذات للإذايات الجسام والابتلاءات العظام التي لا نظير لها عند غيرهم، بالتالي كانوا الأكثر تحملا وصبرا على ما كان ينزل بهم جراء ما ذهبوا إليه من اعتقاد، فلم يخشوا أحدا مهما رغبهم أو رهبهم ومهما علا قدره وارتفعت مكانته وتفاقم جبروته واستبداده.

يكتشف ذلك كل من تعرض بالتتبع لكتب التراجم والمناقب التي تناولت أعلام المنطقة في هذه الفترة سواء المتقدمة منها أوالمتأخرة، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:"كتاب طبقات علماء إفريقية..." لأبي العرب، و"كتاب طبقات علماء إفريقية" للخشني، و"كتاب رياض النفوس..." للمالكي، و"ترتيب المدارك..."لعياض، و"معالم الإيمان..." للدباغ وغيرها...

هكذا إذن يحصل جميع من طالع تلك المؤلفات وتصفحها من ألفها إلى يائها، ويخرج بنتيجة حوصلتها: أن أعلام مذهب أهل السنة عموما والمدرسة المالكية خصوصا قد بزوا وتفوقوا على أقرانهم من أعلام المذاهب الأخرى فيما يخص تلك المواقف والسلوكيات

الإيجابية المسجلة آنفا، وإن كانت تلك المصادر قد بالغت في إيرادها وتجوزت الواقع في تصوير أصحابها نظرا للانحياز وغلبة الذاتية.

بالتالي فإننا نخلص في الأخير إلى كون هذه السلوكيات والمعاملات المميزة تركت من غير شك انطباعا حسنا، وحالة من الجاذبية والتأثير الإيجابي لدى قطاع عريض جدا من المغاربة تجاه هذا المذهب العقدي السني والمدرسة المالكية خصيصا.

حيث هيأتهم وأعدتهم ليكونوا في جانبه ومن الموالين له تماما: بين محب له ومتعاطف معه على أقل تقدير وحد أدنى، ومنضم إليه وأحد معتقديه على أكبر تقدير وحد أقصى.

الفصل السادس

إنتقال المذهبين العقديين الإباضي والصفري من المشرق إلى المغرب الإسلاميين

1- ظهور المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمشرق الإسلامي

1أ- النواة أو الجماعة الأولى للمذهبين العقديين الإباضي والصفري قبل الإفتراق بالمشرق الإسلامي

1ب- إفتراق تلك النواة أو الجماعة على نفسها إلى فرق بالمشرق الإسلامي

2- تواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي

2أ-إنتقال المذهبين العقديين الإباضي والصفريمن المشرق إلى المغرب الإسلاميين

2ب- تواجد المذهب العقدي الإباضي بالمغرب الإسلامي

2ت- تواجد المذهب العقدي الصفري بالمغرب الإسلامي

1-ظهور المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمشرق الإسلامي

1أ- النواة أو الجماعة الأولى للمذهبين العقديين الإباضي والصفري قبل الإفتراق بالمشرق الإسلامي

تؤرخ كل مظان وأصول التاريخ الإسلامي المكتوبة وبلا خلاف بداية نواة المذهبين العقديين الإباضي والصفري بحدث أو حرب صفينعلى أرض المشرق الإسلامي، وما ارتبط به من تداعيات ونتائج.

وصولا إلى حقن دماء المسلمين التي سالت مدة وبلا توقف تقريبا طيلة معارك متعددة جرت في هذا الحدث– والتي تعتبر أحد تداعياتها ونتائجها المفجعة – أوصلها المؤرخ والجغرافي اليعقوبي إلى أربعين يوما[1] كأقل تقدير[2]: قدرت خسائرها في الأرواح

[1]اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، وبيروت، د. ت، 2/ 188.

[2]وإنذكر المسعودي أنها استغرقت مائة وعشرة أيام. المسعودي، المصدر نفسه، ص: 272.

حسب رواية المسعودي بسبعين ألفا كلهم من شيعة وأنصار علي بن أبي طالب[1] (رضي الله عنه).

ناهيك عن عدد الأرواح الأخرى المزهوقة فيما يخص أتباع معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)، حيث لا نشك بأنه أكبر من التعداد السابق بحكم انهزام جيش هذا الأخير في نهاية هذه الحرب[2].

وتحقيقا لوحدة صف المسلمين وعملا من أجل جمع كلمتهم، إتفق كل من علي ومعاوية (رضي الله عنهما) على صلح بينهمابتمثيل: الصحابي أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) عن الأول، والصحابي عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عن الثاني حتى يبحثان ويتدارسان معا الأمر ويضعان حدا له،وفعلا اجتمعا بدومة الجندل[3] سنة 38 هـ/ 658 م، حيث توصلا إلى تفاهم واتفاق.

الذي يهمنا من هذا التفاهم بينهما ويخدم موضوعنا، هو عنصر واحد منه متعلق بخلع كل واحد منهما صاحبه وجعل الأمر بعد ذلك شورى: يختار فيها المسلمون من يرونه أهلا لتولي الخلافة غيرهما[4].

لقد كان من النتائج المباشرة والقريبة جدا للإعلان الرسمي عن هذا الاجتماع المكلل بالاتفاق بينهما أن افترقت شيعة علي (رضي الله عنه): فخرجت جماعة عن صفه لاعتقادها بأن الطرفين المتحاربين حكما الرجال وتركا حكم الكتاب (القرآن الكريم)القاضي بأحقية الإمامة لعلي (رضي الله عنه)[1]،إذ بهذا يكونان قد كفرا وخرجا عن ملة دين الإسلام[2].

---

[1]المصدر السابق، ص: 272.

[2]إبن كثير، المصدر نفسه، 1/ 1149.

[3]بضم أوله، موضع بين الحجاز والشام، على عشر مراحل من المدينة، وعشرين من الكوفة، وثمان من دمشق، واثني عشرة من مصر. الحميري، المصدر نفسه، ص: 245.

[4]المسعودي، مروج...2/ 378.

[1]علي يحي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى نشأة المذهب، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم بابزيز، مكتبة الضامري، السيب، سلطنة عمان، ط 3، 1429 هـ/ 2008 م، ص: 24.

[2]اليعقوبي، المصدر نفسه، 2/ 190.

هذه الجماعة هي التي ستتفق مصادر الخصوم وخصوصا منها السنية على نعتها بلفظ الخوارج وتسميتها به[1]: نسبة إلى التعريف الاصطلاحي عند المذهب السني الذي يراد به "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه...سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان"[2]، حيث ينطبق ذلك تماما في نظرهم على هذه الجماعة بخروجها على الإمام علي (رضي الله عنه) وقتها.

من هنا فالحدث المذكور اعتبر بمثابة تدشين تاريخي لبداية انفصالهم واستقلالهم عن الإمام علي (رضي الله عنه)، ثم الشروع لاحقا في معاداته وعدم التوقف عن حربه هو وكل من لم يتبن نفس منطلقهم الفكري التكفيري هذا: اعتقادا منهم أنهم وحدهم المؤمنون وما عداهم كفار[3].

لم تكتف الجماعة بهذا المنطلق الفكري على مستوى الجانب العقدي العلمي وتقتصر عليه، بل تعدته إلى مستوى آخر بعد اعتباره مواز له بحيث لا ينفك عنه، ألا وهو مستوى الجانب الفكري العملي الحركي: فراحت تتهيأ تنظيميا وتستعد عسكريا وتخطط بغية إقامة الخلافة الإسلامية المنشودة، والقائمة على الحق والعدل من منظورها وطبقا لتصورها.

هذه الخلافة التي – في اعتقادها –قد ولت وغابت بغياب خلافة كل من: الشيخين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، وعثمان (رضي الله عنه) قبل ظهور الأحداث التي "نقم" البعض عليه من أجلها، وعلي (رضي الله عنه) قبل استجابته وقبوله تحكيم الحكمين[1].

كما ننبه بأن هذه الجماعة التي ستكثر ويزداد عدد أتباعها، شكلت باستمرار وطيلة مدة ليست بالقصيرة مصدر قلاقل ومتاعب كبيرة ومؤثرة جدا على الخلافتين الأموية بداية والعباسية لاحقا، بل لا نجانب الصواب إذا اعتبرناها أحد الأسباب الرئيسة في انحطاط الأولى وزوالها سنة 132 هـ/ 749 م من جهةوفي ضعف الثانية وتقلص حدودها الجغرافية

[1] البغدادي، كتاب الملل...ص: 56، 57. البغدادي، الفرق...ص: 72. الرازي، إعتقادات...ص: 49. الإسفرايني المصدر نفسه، ص: 45. الأشعري، المصدر نفسه، 1/ 167. الشهرستاني، المصدر نفسه، 1/ 154. إبن حزم المصدر نفسه، 4/ 188.

[2] الشهرستاني، المصدر نفسه، 1/ 154، 155.

[3] الأشعري، المصدر نفسه، 1/ 204.

[1] المصدر السابق، 1/ 204.

باستقلال أطراف عدة عنها، خصوصا تلك النائية والواقعة بعيدا عنها مشرقا ومغربا من جهة أخرى.

وأن مواقف وردود فعل هاتين الخلافتين تجاهها تجلت في أسلوب واحد لا ثاني له ألا وهو العنف واتخاذ السيف حكما، بحيث نعتبر ذلك من بين الأسباب التي أطالت في عمر تواجد الجماعة عبر التاريخ الوسيط الإسلامي، عكس ما تصرف به معها الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): فقدم طريق الحوار والمناظرة والجدال بالتي هي أحسن معتبرا ذلك وحده فقط هو القاعدة والأصل ومفضلا إياه على أسلوب القوة والعنف لاعتباره إياه المستثنى والشاذ.

إذ مما يشفع لنا كأدلة على هذا السلوك العلوي الفريد معها: دليل مناظراته (رضي الله عنه) لها بنفسه واستماعه إلى „مستنداتها" و„أدلتها" فيما تذهب إليه من اعتقادات وتنفرد بها من قناعات، ثم مناقشتها معها أخيرا بحرية كاملة وأدب فذ وعلم جم[1]؛ ودليل مناظرات من كلفه وأرسله لينوب عنه:إبن عمه عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) من أجل هذه المهمة مزودا بمثل هذه المواصفات والضوابط[2].

إن مما يدل على مدى الأهمية العظمى والفائدة الكبرى لهذه المناظراتوما أثمرته من نتائج إيجابية: هي تلك النتيجة الملموسة التي لا مثيل لها والمتمثلة في أوبة ورجوع ما تعداده ألفان من أفراد هذه الجماعة إلى صف الإمام(رضي الله عنه) وعودتهم إلى معسكره بعيد انتهاء إحدى تلك المناظرات مباشرة[1].

كما أخبرنا عننتاج وثمرة أخراها صاحب مؤلف „الكامل في اللغة والأدب"تمثلت هي أيضا في رجوع نسبة عددية تائبة أضخم من السابقة تمخضت عنها حيث أوصلها إلى ستة آلاف[2].

وهكذا لم يتوان كل من الإمام علي وابن عباس (رضي الله عنهم) طيلة بقية عمرهما عن محاورة تلك الجماعة ومجادلتها بالتي هي أحسن: مفندان شبهها ومزيلان إشكالاتها

---

[1]ينظر إلى بعض من هذه المناظرات عند: الإمام على بن أبي طالب (رضي الله عنه)، نهج البلاغة، جمع: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط 1989، 1/ 230 - 231 - 234 - 235، 236 - 237. المبرد، المصدر نفسه، 3/ 130 - 131، 150 - 151.

[2]يرجع إلى بعضها في: المصدر السابق، 3/ 118 - 119، 169.

[1]المصدر السابق، 3/ 131.

[2]المصدر السابق، 3/ 150.

بالأدلة القاطعة والحجج الواضحة والبينات الناصعة – سبق وأن أحلنا إلى بعض مظانها من المصادر أعلاه – علها تؤوب وتعود إلى الصف.

ودليل عدم مقاتلتها بداية، لأنه لايجوزشرعا قتالها إلا بعد أن تبدأ هي بالقتال[1]، أو بعد رفضها تسليم من قتلوا أصحاب علي (رضي الله عنه) بغير حق، كما حدث مع ابن الصحابي عبد الله ابن خباب[2].

ودليل استنتاجنا لندمه (رضي الله عنه) لما مضى من قتاله لها، وإن كانت هذه المقاتلة بعد مبادأتها هي بقتاله كما ذكرنا، من خلال وصيته المأثورة عنه لمن سيأتون بعده في تولي منصب الإمامة الكبرى على المسلمين بقوله لهم: "لاتقتلوا الخوارج [ما نعتناهم نحن بالجماعة] بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه[3] كمن طلب الباطل فأدركه[4] "[5].

كم تمنينا أن يدوم ويستمر نحو هذا المسلك الذي جسده على أرض الواقع وسنه الإمام وابن عمه (رضي الله عنهم) - في التعامل مع هذه الجماعة، وينتهجه كل من أتى بعد علي (رضي الله عنه) - التي لم تغط خلافته وللأسف سوى خمس سنين على الأكثر(35 هـ/655 م – 40 هـ/660 م)[1]- وأنيطت به تولي السلطة والحكم على المسلمين، بحيث لوكان الأمر كذلك لتغير حال هذه الجماعة بكل فرقها والأمة الإسلامية كلها– من غير شك – غير الحال الذي استقرت عليه وآلت إليه.

1ب- إفتراق تلك النواة أو الجماعة على نفسها إلى فرق بالمشرق الإسلامي

إذا كان هذا الحديث المختصر هو عن تاريخ بداية ظهور هذه الجماعة بالمشرق الإسلامي مع إرفاقه بذكر أهم ظروف وملابسات هذا الظهور، فما هي إذن علاقة كل ذلك بفرقتي الإباضية والصفرية بالذات؟

---

[1] الطبري، المصدر نفسه، ص: 867.

[2] المبرد، المصدر نفسه، 3/ 134.

[3] المقصود به الخوارج كما يدل عليه سياق النص.

[4] المقصود به أصحاب معاوية (رضي الله عنهم)، بدليل مفهوم المخالفة المستنتج من نفس النص؛ كما ذهب إلى المعنى السابق وهذا المعنى: إبن أبي الحديد، المصدر نفسه، 2/ 144. ودليل الواقع التاريخي الذي عاصره الإمام: فما عاصر وعايش طيلة حياته ممن طلبوا الخلافة إلا الخوارج ومعاوية.

[5] الإمام علي (رضي الله عنه)، المصدر نفسه، 1/ 104.

[1] إبن الكردبوس، المصدر نفسه، 1/ 117، 146.

أورد العالم اللغوي الشهير بالمبرد في كامله كتابا قام بإرساله نافع بن الأزرق[1] إلى أقرانه وأصحابه في الجماعة، والذين رضوا بالإقامة في ظل حكم خصومهم الأمويين وبالتحديد على أرض البصرة أين يحكمون قبضتهمعليها.

حيث بين فيه – حسب نظره – الحكم الشرعي الذي ينطبق عليهم في هذه الحالةبعد أن أشفعه بالنصوص القرآنية الصرفة، حيثاعتبرهاأدلة كافية لما خرج به من مذهب اعتقده من معتقد، ومنكرا بذلك عليهم الإقامة بين ظهراني هؤلاء„الأعداء„[2].

إلا أن رد فعل أصحابه على فتواه تلك تمثل في مخالفته الرأي، مما ترتب عنه في التو افتراق الجماعة إلى اتجاهات وفرق[3]، يهمنا منها: الإباضية والصفرية بحكم اعتبارهما موضوعي بحثنا هذا.

هكذا إذن نلاحظ بأن هذا الكتاب وما احتوى عليه، المرسل من قبل ابن الأزرق قد سجل لنا صراحة الظرف أو العامل الرئيس والمباشر لتأسيس الفرقتين المذكورتين على أرض المشرق الإسلامي.

أما عن تحديد وضبط تاريخ وزمن حدوث ذلك، فهذا ما لم تسجله لناالمصادر الإباضية وغيرها...بلوحتى المراجع والدراسات التي وقفنا عليها بمختلف مشاربها وانتماءاتها..

وإن كنا نرجح بأن ذلك جرى عقب موت الخليفة يزيد[1]، ما دام مؤلف „الكامل..." يذكر بأن تبادل هذا الكتاب وغيره من الكتب الأخرى والرسائل بين قادة الفرقة وما انجر عنها من انقسام إلى مذاهب عقدية أخيرا، قد تم في ظرف وفاة الخليفة الأموي المذكور[2].

إذ من المعلوم بلا خلاف أن وفاة الخليفة يزيد كانت سنة 64 هـ/683 م[3] وموتة الخليفة ابن الزبير[4] قتلا هي سنة73 هـ/692 م[5]، بحيث تبودلت تلكالكتب والرسائل وهذا

---

[1]يكنى أبا راشد، مؤسس ومنظر فرقة الأزارقة، قتل بالبصرة من قبل الجيش الأموي. البغدادي، المصدر نفسه ص: 63. المبرد، المصدر نفسه، 3/ 205، 206.

[2]المصدر السابق، 3/ 203، 204.

[3]المصدر السابق، 3/ 203، 204.

[1]إبن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما)، تولى الخلافة في الدولة الأموية بعد استخلاف أبيه مدة (61 هـ/ 680 م - 64 هـ/ 683 م). إبن الكردبوس، المصدر نفسه، 1/ 183 - 213.

[2]المبرد، المصدر نفسه، 3/ 199.

[3]الروحي، المصدر نفسه، ص: 45. الطبري، المصدر نفسه، ص: 1030. السيوطي، المصدر نفسه، ص: 237 وغيرها من المصادر التي أرخت له.

الأخير على قيد الحياة[3]، بالتالي فالنتيجة المستخلصة هي أن الحدث محصور –من غير شك– بين 64 هـ/ 683 م و 73 هـ/ 692 م.

2- تواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي

2أ-إنتقال المذهبين العقديين الإباضي والصفري من المشرق إلى المغرب الإسلاميين

إن هاتين الفرقتين أو المذهبين هما الوحيدان من بين سائر المذاهب الأخرى للجماعة الذي تأسست كلها بالمشرق الإسلامي،واللذان سينشطان كثيرا وإن كان هذه المرة بنطاق بالمغرب الإسلامي.

حيث سيبذلان جهدا مضنيا ضمن مسيرة دعوية في بداية الأمر وعسكرية في مرحلة لاحقة اعتبرت شاقة جدا فرشت بالتضحيات والمكاره، واستمرت كذلك حيث لم تفتر أوتتوقف حتى أتت أكلها وكللت بالنجاح حين مكن المذهبان لنفسيهما سياسيا.

كيف انتقل المذهبان العقديان الإباضي والصفري إلى نطاق المغرب الإسلامي؟ وأيضا كيف توصلا في دعوتهما إلى هذا النجاح الباهر، فضلا عن إفضائهما إلى إنشاء كيانين سياسيين على أرضه؟

إن المؤرخين الإباضيين جميعهم: سواء كانوا قدامى أو متأخرين، والذين كتبوا حول البداية الأولى المبكرة لهما، ذكروا عبر رواية موصول سندها إلى الإمام عبد الرحمان بن رستم[1]، محصلتها: أن أول عالم إباضي دخل هذا النطاق هو سلمة بن سعد[2]قادما إليها من البصرة من أجل تأدية مهمة خاصة ومعينة ألا وهي الدعوة إلى المذهب[3]، إلا أنهم لم

---

[1]هو عبد الله بن الصحابي الزبير بن العوام (رضي الله عنه)، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بحجر المنجنيق أثناء احتمائه بحيطان الكعبة المشرفة، لأنه طالب بالخلافة وبايعه أهل مكة وغيرها على ذلك. الذهبي، العبر...1/ 60. الروحي المصدر نفسه، ص: 50 - 52.

[2]الذهبي، المصدر نفسه، 1/ 60.

[3]المبرد، المصدر نفسه، 3/ 198.

[1]مؤسس الإمارة الرستمية بتيهرت، تولى الإمارة طيلة (160 هـ/ 776 م – 171 هـ/ 787 م). الباروني، المرجع نفسه 2/ 83، 101.

[2]قد يكون أحد من طلب العلم على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة أحد منظري الإباضية الأوائل بالمشرق ومن الأوائل الذين أرسلوا بهدف الدعاية للمذهب على أرض المغرب الإسلامي. أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 40 - 42. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 11، 12. الشماخي، المصدر نفسه، 1/ 212.

[3]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 40، 41. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 11. الشماخي، المصدر نفسه، 1/ 212.

يذكروا– ولو واحد منهم – بطريقة أو أخرى تاريخ هذا الدخول الذي نعتبره مهما بالنسبة لبحثنا.

رغم اطلاعنا على المصادر التي أتيح لنا الوقوف عليها والمتعلقة بالمسألة فإننا لم نعثر في ثنايا نصوصها: لا على إجابة مباشرة وصريحة، أو غير مباشرة وموحية.

وإن كان الأستاذ الباحث محمود إسماعيل قد خصص بحثا موسعا ومفصلا عن "الخوارج" – كما سمّاهم – بهذا النطاق، أدلى فيه برأي وإجابة على ذلك، فقال حرفيا بأن: "الظهور الحقيقي لمذهب الخوارج في بلاد المغرب يعود إلى أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الهجريين"[1].

إن مما يلاحظ على هذا الرأي لأستاذنا محمود، كونه لم يعلل ويدلل على ما ذهب إليه: لا بنقل عن مصدر ولا باجتهاد منه معقول وواقعي، وإن أحال إلى ابن خلدون[2].

لكن بعد رجوعنا إلى هذا الأخيرفإننا لم نجد فيه ما له علاقة مع هذا الرأي لامن قريب ولا من بعيد، بل هو يفيد معنى آخر تماما ألا وهو تفشيمذهبي الإباضية والصفرية بين المغاربة الذين لقنوهم إياهما بعض العرب لا أكثر ولا أقل[3].

بتصفحنا لبعض المصادر التي ترجمت لعكرمة[1]–وهي متوفرة، العكس بالنسبة لسلمة بن سعد – الذي ذكر مع هذا الأخير باعتبارهما الأولين الذينأدخلا المذهبين إلى المغرب: الصفري في حق الأول – وإن كانت مسألة صفريته تحتاج إلى نوع منالتبسط الذي سنأتي عليه –والإباضي في حق الثانيحين أتياه مترادفين على بعير واحد بعد قدومهما من المشرق[2].

هذا التصفح الذي ما قمنا به إلا من أجل الوقوف فقط على تاريخ وفاة عكرمة المختلف حولها والتحقيق فيها، فمن: قائل بسنة 104 هـ/722 م، وثان بسنة 105 هـ/ 723

---

[1]محمود إسماعيل، الخوارج...، ص: 43.

[2]المرجع السابق، ص: 3، هامش: 123.

[3]إبن خلدون، كتاب العبر...6/ 111.

[1]أبو عبد الله، مولى لابن عباس (رضي الله عنهما) الذي شهد له بكثرة العلم، روى عن أبي سعيد وعائشة وابن عباس (رضي الله عنهم)، روى عنه كثيرون، وهو ممن يحتج به لأنه محل مصداقية وثقة. البخاري أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم، كتاب التاريخ الكبير، دار الفكر، بيروت، ط 5، محرم 1407 هـ/ 9 سبتمبر 1986 م، 7/ 49.

[2]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 40، 41. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 11.

م، وثالث بسنة 106 هـ/ 724 م، ثم رابع وأخير بسنة 107 هـ/ 725 م[1] وإن كنا نميل ونرجح بأنها سنة 105 هـ/ 723 م لقرينتين:

القرينة الأولى المتمثلة في كونها تاريخ وفاة الشاعر كثير عزة[2] التي تؤرخ بها اتفاقا ومن غير اختلاف[3]: لأن مؤرخين قدامى ومحدثين أوردوا جميعهم خبراواحدا مفاده: أن كثير وعكرمة توفيا في يوم وسنة واحدة، كما صُلّي عليهما فيموضع واحد بالمدينة المنورة[4].

القرينة الثانية التي تكمن في ترجيح واختيار الإمام الذهبي لهذه السنة بالذات حين قال: "والأصح سنة خمس [طبعا بعد المائة]"[5]، وإن لم يدلل على ذلك، فنحن ما أتينا برأيه إلا للاستئناس ما دامت تكفي قوة حجية القرينة السابقة وتكفي لما ذهبنا.

إن عكرمة لكي يرجع من المغرب إلى المدينة المنورة ليموت بها يلزمه زمنا نظرا لبعد الشقة وطول المسافة، فضلا عن محطات التوقف الكثيرة والطويلة الواجب إنفاذها خلال مسيره هذا.

كما يلزمه أيضا وقتا وزمنا أطول من السابق قبل ذلك عقب وصولهإلى المغرب بداية بغية تأدية مهمته التعليمية والدعوية، خصوصا إذاأدخلنا في الحسبان القامة العلمية الكبرى التي تمتعت بها تلك الشخصية.

إذ تصير الحاجة إليه وإلى علومه ماسة جدا من جهة؛ وحداثة البربر عهدئذ بالإسلام مما يستدعي تعطشهم لمثله في صنوف علوم الدين واللغة، بحيث لا يتم تحصيلهم لذلك إلا بواسطة نحوهذا العالم وغيره من الأقران...من جهة أخرى.

بالتالي فهذه الاعتباراتكلها تستغرق زمنا نراه لا يقل عن ست سنين والتي تطرح من مائة وخمس سنوات لتصبح النتيجة أقل من مائة سنة،والتي هي بالضبط نهاية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي.

---

[1] إبن الجوزي، المصدر نفسه، 2/ 61. الذهبي، سير...4/ 352. إبن حجر، المصدر نفسه، ص: 397.
[2] أبو صخر كثير بن عبد الرحمان، كان مفرطا في القصر؛ هو أحد عشاق العرب المشهورين: إذ له مع عزة بنت جميل حكايات ونوادر وأمور مشهورة عكسها جل شعره. إبن خلكان، المصدر نفسه، 4/ 106 - 113.
[3] المصدر السابق، 4/ 113. إبن العماد، المرجع نفسه، 1/ 131.
[4] إبن خلكان، المصدر نفسه، 4/ 113. الذهبي، المصدر نفسه، 4/ 351، 352. إبن الجوزي، المصدر نفسه، 2/ 61.
[5] الذهبي، المصدر نفسه، 4/ 352.

وهو التاريخ الذي نقدره لقدوم عكرمة إلى المغرب رفقة سلمة كما سبق ذكره ومكثهما بالقيروان، وبالفعل هو ذاته الرأي الذي انتهى إليه الأستاذ الباحث يوسف جودت عبد الحكيم[1]، بعد تعليله إياه بوجود خوارج على أرض مصرفيالعقد السادس للقرن الأول الهجري/ السابع الميلادي نقلا عن المقريزيفي خططه[2].

لا نشاطر الأستاذ يوسف جودت هذا التعليل، لأنه شتان بين الوضعالأمني والسياسي في كل من مصر والمغرب وقتها: فالذي بمصر جالب وجاذب، عكس الذيبالمغرب.

2ب- تواجد المذهب العقدي الإباضي بالمغرب الإسلامي

لقد ترتبت عن تواجد الداعية الإباضي الأول سلمة بن سعد بالقيروراننتائج معتبرة بنطاق المغرب، نذكر منها بداية: إنتشار دعوته بها، معتهيؤ واستعداد نسبة من بربره لتقبل كل ما سيبشرهم به دعاة المذهب اللاحقون فضلا عن تلهف وتشوق بعض نخبهم خصوصا إلى تعلم المذهب والتعمق فيه:فما „حملة العلم" – الذين سنتعرف عليهم لاحقا – إلا مظهر وعلامة على ذلك.

كما نلفت بأنه قد وقعت تجارب وجرت محاولات لإقامة كيانات سياسيةقادها زعماء وأعلام في المذهب، وإن باءت كلها بالفشل لسببين رئيسينهما:البعد عن استعداد أصحابهاحال تصادمهم مع الخصوم عدداوعدةواستراتيجية...زد على ذلك الخلافات التي نشبت بين هؤلاء الزعماء.

نلمس هذا ونقرأه في محاولاتهم المتسلسلة زمنيا والفاشلة في التمكين للمذهبالواحدة تلوى الأخرى من خلال:

تزعم الأولى من طرف عبد الله بن مسعود التجيبي[1] بمنطقة طرابلسانتهت بقتله سنة 127 هـ/744 م من قبل إلياس عامل المنطقة لأخيه عبد الرحمان بن حبيب[32].

---

[1]يوسف جودت عبد الحكيم، العلاقات الخارجية للدولـة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1984 ص: 25.

[2]المرجع السابق، ص: 25، هامش: 3.

[1]من أوائل مشايخ الإباضية بالمغرب الإسلامي، أخذ العلم عن الإمامين جابر بن زيد وسلمة بن سعد...عمل على تأسيس دولة إباضية بالمغرب منذ سنة 122 هـ/ 739 م إلا أنه لم ينجح في ذلك. مجموعة من الباحثين، المرجع السابق 3/ 578.

[2] إبن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، تغلب بالقوة على إفريقية سنة 127 هـ/ 744 م وطرد واليها، كتب إليه الخليفة مروان بولايته على إفريقية والمغرب سنة 132 هـ/ 749 م إلى أن قتله أخوه إلياس في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 86، 92، 96، 98.

أما الثانية فبقيادة كل من الحارث بن تليد الحضرمي[2] وعبد الجبار بن قيس المرادي[3]: الأول بحكم كونه إماما، والثاني بمثابة وزير له وقاضيه[4]، حيث كانت خاتمتهما القتل بأمر من عبد الرحمان بن حبيبسنة 131 هـ/ 748م[5].

عبر قتلة تدل كيفيتها[6] على أنها كانت مدبرة، بحيث لا يستبعد حبكها وتنفيذها من طرف جند عبد الرحمان وبإيعاز منه بغية إيثار الخلاف بين أتباعالمذهب الإباضي[7]، حتى يكون ذلك حائلا يحول دون وحدة كلمتهم ورص صفوفهم.

وفعلا هذا ما تحقق من انقسامهم على أنفسهم وافتراق فيما بينهم: من قائلين بالتبرؤ منهما (أي الإمامان: الحارث، وعبد الجبار)، ما دامأن كلا منهما قد قتل صاحبه، وآخرين قائلين بالتوقف ما دام اليقين منتف في المسألة،وأخيرين قائلين بتيقن ولايتهما: ما دام صلاحهما متيقن وقتل بعضهما بعضا مشكوك فيه، لأن اليقين عندهم يدفع الشك ولايدفعه الشك[1].

وأخيرا المحاولة الثالثة التي كانت عقب قتل الحارث وعبد الجبار: حين ولى الإباضيون على أنفسهم إسماعيل بن زياد النفوسي[2] الذي ما فتئ هو الآخر أن واجهه نفس مصير أخويه في المذهب السابقين، والمتمثل في قتله من قبل شعيب بن عثمان ابن عم وأحد جنود عبد الرحمان بن حبيب سنة 140 هـ/757م[3].

---

[1]إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 372. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 86، 89، 93.

[2]أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وبأمر منه التحق رفقة عبد الجبار بن قيس المرادي بالمغرب: فأقاما نظاما بطرابلس بعد مقتل ابن مسعود التجيبي وهزما جند الخلافة مرارا إلى أن تمكن عبد الرحمان بن حبيب من قتلهما سنة 131 هـ/ 748 م. المرجع السابق، 2/ 241، 242.

[3]أحد أعلام الإباضية الأوائل بالمغرب، أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم، واشترك مع الحارث بن تليد في مواجهة الخصوم إلى أن قتلا معا بأمر عبد الرحمان بن حبيبسنة 131 هـ/ 748 م. المرجع السابق، 3/ 508، 509.

[4] الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 247. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 91. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه ص: 372.

[5]الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 92. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 113.

[6]بطعن كل واحد الآخر بسيفه ووضع مقبضه إلى جهة الآخر. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 248. لا شك أن ذلك كان خطة مدبرة من ابن حبيب القصد منها هو إيهام الأتباع بأن قتل بعضهما بعضا كان متعمدا.

[7] الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 24.

[1]المصدر السابق، 1/ 24

[2]أبو الزاجر، أحد الأئمة الإباضية بالمغرب، بويع بإمامة الدفاع على طرابلس سنة 131 هـ /748 م بعد مقتل الحارث وعبد الجبار، وبعد جولات من التصادم مع جيش ابن حبيب تمكن هذا الأخير من قتله بإحداها سنة 140 هـ/ 757 م. المرجع السابق، 2/ 108.

[3]إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 373. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 113.

فلقد توصل العالم والمنظر الإباضي أبو عبيدة مسلم بنأبيكريمة[1]إلى حقيقة وقناعة راسخة لا يعتريها الشك، وأدرك إدراكا يقينيا بحكم قوة بضاعته العلمية وشدة حنكته الدعوية بأن تحقيق أهداف الحركة الإباضيةوالتي تتلخص في إقامة دولة طبقا لأصول وفروع المذهب: تكون حارسة له ومنفذة لأوامرهوحامية لأتباعه...

أدرك أن كل هذا لا يتم إلا بعد إعادة النظر في النشاط الحركي والعمل الدعوي وتغييره جذريا، تبعا لخطة محكمة تكمن في التركيز على مرحلة الدعاية باللسان والبيان وعدم الاستعجال والتسرع فيها، والمصطلح عليها عندالقوم من أهل المذهب بمسلك الكتمان[1] أحد مسالك الدين الأربعة التي لا تكون الدعوة الإباضية إلا بها، ولا تنجز إلا عبرها: تبعا لظروف الأتباع ومتطلبات كل مسلك[2].

كل هذا قصد كسب أكبر قاعدة من الأشياع والأنصار: المقتنعين بالدعوة فضلا عن المحبين المتعاطفين معها.

يليها بعد ذلك الشروع في مراحل جديدة أو أنواع أخرى من الإمامات ومسالك الدين أو درجات الجهاد كما يسميها أعلام الإباضية مرورا بالتدرج إلى الأعلى: بجهاد الشراة،ثم جهاد الدفاع[3]، وأخيرا جهاد الظهور[4].

---

[1]التميمي المقيم بالبصرة، كان واسع العلوم حيث بز أقرانه، إذ أورد كل من ترجم له من الأمثلة الكثيرة على ذلك في الأصول والفروع، كما يفهم منها بأنه تولى إمامة المذهب بعد وفاة شيخه جابر بن زيد سنة 93 هـ/ 711 م على القول الراجح، وأن وفاته تمت في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. إبن سلام، المصدر نفسه، ص: 110. الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ترتيب: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، المطبعة العمومية بدمشق، طبعة رمضان 1388 هـ ، 2/ 193، حديث رقم 742. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 7، 2/ 238 - 246. الشماخي، المصدر نفسه، 1/ 196، 199.

[1]هي المرحلة الدنيا أو المسلك الأول للدعوة الإباضية حين يكون أتباعها في حالة ضعف أمام الخصوم والأعداء: فيعجزون عن رد المظالم وإنكار المنكر إلا بالقلب، إذن فإمامة الكتمان هي أدنى درجات الجهاد حيث تتميز بعدم مساعدة الظالمين وتولي المناصب عندهم من جهة، وتربية الأتباع لتهيئتهم للمسالك والمراحل الأخرى اللاحقة عبر المساجد والمناسبات...من جهة أخرى. بكير...المرجع نفسه، ص: 110. عدون...المرجع نفسه، ص: 164 - 174. علي يحيى معمر، المرجع نفسه، ص: 78. إبن جميع أبو حفص عمرو، عقيدة التوحيد، تحقيق وتعليق: عمر بن أحمد بازين المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط 3، 1424 هـ/ 2003 م، ص: 17.

[2]تنظر بالتفصيل مسلكا مسلكا عند: عدون...المرجع نفسه، ص: 149 - 175. علي يحيى معمر، المرجع نفسه ص: 76 - 78. بكير...المرجع نفسه، ص: 105 - 110. المصدر السابق، ص: 16 - 18.

[3]وهي المرحلة التي يدافع فيها الأتباع ضد من انحرف من الحكام أو الأعداء من الدخلاء...علي يحيى...المرجع نفسه ص: 76، 77. عدون...المرجع نفسه، ص: 156 - 159. بكير...المرجع نفسه، ص: 109. المصدر السابق ص: 17.

[4]أو الإمامة الكبرى، وهي الأصل المأمور به، بالتالي فهذا الجهاد هو المقصد الأعلى والتتويج النهائي لمراحل الجهاد السابقة الذكر: حيث ظهور الدولة الإسلامية المنفذة لتعاليم الدين من المنظور الإباضي من جهة، والمكلفة بحمل دعوة غير

حيث تتلخص هذه المراحل في انتهاج التدرج والتمهيد للاستقرار على طريق السيف والسنان في النهاية: إذ يشرع في العمل العسكري القائم على خوض المعارك والحروب مع الخصوم والأعداء بغية التمكين للمذهب في آخر المطاف.

لأن تاريخ نشاط قادة المذهب السالفين بالمغرب أثبت بأنهم أضاعوا جهودا كبيرة وأزهقت خلاله أرواح كثيرة لا حصر لها[1] من غير طائل ولا فائدة،لا لشيء إلا لأنهم لم ينظموا أنفسهم ويحترموا مراحل وأبجديات سير دعوتهم تلك.

كل هذا شريطة أن لا تكون البداية الأولى لانطلاق هذه الدعوة إلا من خلال الأطراف النائية البعيدة عن عيون وجواسيس الخلافة العباسية وملاحقات الجند وقمعهم حتى يضمن للمرحلة الأولى تلك تحقيق أهدافها.

لا نشك بأن هذا المشروع الكبير المتميز بهذه الاستراتيجية الدقيقة والتنظيم المحكم لا يقوى الإمام أبو عبيدة وحده لتجسيده على أرض الواقع، بل لابد من تكاثف وتعاضد جهود مضنية من قبل علماء ودعاة متميزين حرص هو بنفسه على إعدادهم وتكوينهم.

لأجل هذا كله، إستقر أبو عبيدة نهائيا بالبصرة:حيث عكف فيها على تخريج أقصى ما أمكنه من نخب الدعاة المقتدرين ليضطلعوا بهذه المهمة العظيمة ويكونوا في مستواها وأهلا لها.

إذ توحي لنا بهذه المعاني كلها تلك النصيحة التي تفضل بها سلمة إلى جماعةمن طلاب العلم بأن يرحلوا إليه ويقدموا عليه هناك[1]، بمجرد أن وقف على إخلاصهم للدعوةوتوسم فيهم النجابة والشأن الكبير.

بهذه النظرة الجديدة للدعوة والنقلة النوعية للحركة من قبل أبي عبيدة فإن المذهب الإباضي بالمغرب الإسلامي سيدخل التاريخ من بابه الواسع وخصوصا: حين سيرسل إليه تلك القيادة الجماعية العلمية العسكرية، المنعوتة في مصادر القوم بـ "حملة العلم"[2].

المسلمين على الدين من جهة أخرى. المرجع السابق، ص: 109. عدون...المرجع السابق، ص: 150 - 155. علي يحيى معمر، المرجع السابق، ص: 76. المصدر السابق، ص: 16.

[1] بعد انهزامات متتالية وفادحة، تنظر عند: إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 372، 373، 374. الرقيق القيرواني المصدر نفسه، ص: 92. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 113.

[1] أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 42، 55. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 12. الشماخي، المصدر نفسه، 1/ 212.

[2] أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص : 54. الشماخي، المصدر نفسه، 1/ 199، 212. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 19.

والمتمثلة حصريا في خمسة أعلام هم: أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (العربي)[1]، وعبد الرحمان بن رستم (الفارسي)، وعاصم السدراتي (البربري)[2]، وإسماعيل بن درارالغدامسي (البربري)[3]، وأبو داود القبلي النفزاوي(البربري[4])[5].

بعودة هذه النخبة العلمية إلى المغرب، فإن المذهب سيتجاوز مرحلة الدعوة، لينتقل إلى مرحلة جديدة لاحقة، ألا وهي مرحلة الدولة التي سيكون فيها السنان أو السيف - لا البيان - هو الفيصل هذه المرة، بعد تزويدهم بتعليمات تفصيلية صارمة من طرف أبي عبيدة، والتي من الواجب عليهم التزامها في عملهم الميداني الحركي هذا[1]، بغية تحقيق الهدف المذكور.

فعلا وعلى أيدي هذه الجماعة الصغيرة من حملة العلم الخمسة سيمكن للمذهب: بدءا من وصولها إلى المغرب في سنة 140 هـ/ 757 م تاريخ مبايعة أبي الخطاب بالإمامة[2].

ثم شروعها بعد ذلك في العمل والحركة حتى سنة 160 هـ/ 776م أو 162 هـ/ 778م تاريخ التأسيس لأول كيان سياسي إباضي متمثل في الإمارة الرستمية[3]المستقلة - بكل ما للكلمة من معنى-بالمغرب الأوسط، أو ما يطلق عليه من المنظور المذهبي الإباضي بإمارة الظهور.

---

[1] ممن تولى إمامة الأتباع من طرابلس حتى تونس خلال (140 هـ/ 757 م – 144 هـ/ 761 م)، والدعوة للمذهب مع إخوانه من حملة العلم الآخرين، إلى أن قتله ابن الأشعث الموالي للعباسيين. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 245 - 256. أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 57 - 70.

[2]أحد حملة العلم، عرف بالشجاعة وقوة الشكيمة، قتل مسموما عند حصار أبي الخطاب للقيروان سنة 141 هـ/ 758 م وفي رواية يوردها الشماخي ويراها راجحه لاتصال سندها إلى ابن سلام الإباضي: أنه قتل كذلك لكن عند حصار الإمام الإباضي أبي حاتم للقيروان سنة 154 هـ/ 770 م، المصدر السابق، ص: 54، 62 - 63. الدرجيني، المصدر نفسه 1/ 28 – 29. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 246، 252، 258، 259، 267 - 268.

[3]يفهم من ذكر الشماخي لإسمه في سياق نص له: بأنه بعد عودته مع حملة العلم من البصرة ألزم نفسه بتعليم الناس تعاليم المذهب. المصدر السابق، 2/ 299.

[4]هو الآخر أيضا ممن ألزم نفسه بنشر المذهب عبر التدريس عقب عودته إلى المغرب. المصدر السابق، 2/ 246، 271.

[5]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص : 54. الشماخي، المصدر نفسه، 2/ 245، 246. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 19.

[1]أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 56. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 21. الشماخي، المصدر نفسه 2/ 246.

[2]المصدر السابق، 2/ 247، 248. أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 57، 59.

[3]إبن الصغير، المصدر نفسه، ص: 29 - 31. أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 81. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 196. محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص: 155. يوسف جودت، المرجع نفسه، ص: 62، هامش: 4.

لقد تم كل ذلك بعد معاناة قاسية للإباضيين بالمغرب عانوا منها وتجرعوا مراراتها وخسائر فادحة في الأرواح وغيرها...تكبدوها، وإن كنا قد تعمدنا عدم الخوض فيتفاصيلها[1] حتى لا نخل بموضوع البحث، ما دامت ليست من صميم مطالبه.

وهكذا عمرت هذه الإمارة أزيد من مائة وثلاثين سنة: بدءا من عام 160 هـ/ 767م أو 162 هـ/ 778 م تاريخ التأسيس حتى انهيارها السريع تحتالضربات الأولى للدولة العبيدية سنة 296 هـ/908 م[2].

2ت- تواجد المذهب العقدي الصفري بالمغرب الإسلامي

هذا عن المسار المجمل للمذهب الإباضي: منذ بدايته بالمشرق كجماعة منبثقة من أنصار علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) – والمنعوتة من قبل المصادر السنية بالخوارج – لظروف سبق إيرادها، إلى انتقاله إلى نطاق المغرب الإسلامي للاستقرار والتمكين له على أرضه نهائيا، فماذا عن مسار المذهب الصفري الذي عرف هو الآخر تواجدا به؟

فيما يخص أولية من دعا إلى المذهب العقدي الصفري بالمغرب الاسلامي فإن مصدرين تاريخيين إباضيين فقط ذكرا بأنه عكرمة[1]، وإن كانت المصادر السنية جميعها وبلا استثناء ناقضت ذلك ولم تذهب هذا المذهب فيه، رغم انقسامأصحابها حياله إلى قسمين:

قسم ذكر بأن عكرمة كان يرى رأي الخوارج[2]، وشتان بين كل من لفظ ,,يرى,,ولفظ ,,يدعو,,.

وقسم آخر ينفي عنه هذه التهمة تماما فلا يلصق به أية بدعة[43]، لأن هذا الرأي الذي اتهم به عكرمة والمتمثل في ذهابه إلى جواز الخروج بالسيف على الحكام الظلمة أو الفسقة من المسلمين يعد من بدع لعبادات عند علماء المذهب العقدي السني[5].

---

[1]قارن محتواها بين المصادر الإباضية: إبن سلام، المصدر نفسه، ص: 117 - 121، 125 - 132. أبو زكرياء المصدر نفسه، ص: 59 - 81. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 22 - 29، 70 - 72. وبين المصادر السنية، منها: إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 70 - 72. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 113، 114.

[2]إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 197.

[1] أبو زكرياء، المصدر نفسه، ص: 41. الدرجيني، المصدر نفسه، 1/ 11.

[2] إبن خلكان، المصدر نفسه، 3/ 365. إبن سعد، المصدر نفسه، 5/ 224. الذهبي، ميزال الاعتدال في نقد الرجالتحقيق: محمد بركان الرسالة العلمية، دمشق، ط 1، 1430 هـ/ 2009 م، 3/ 103 106. وهذا بعد أن نقل كلام أعلام كبار في علم الجرح والتعديل من أهل الحديث فيه.

إلا أنني أرجح بأنه لم يكن يدع إلى الصفرية كما سجلا ذلك عنه المصدران التاريخيان الإباضيان السالفا الذكر عبر نص تاريخي لا سند له متصل أو قرائن تثبته.

حتى وإن رأى الصفرية-فرضا- في مسألة ما رأيا تقاطعوا معه فيها، فإن هذا لا يعني أنه صفري مثلهم، مادام لا يأخذ بأصول مذهبهم الكبرى كلها.

ولقبول بعض أئمة وعلماء الحديث المعتبرين رواياته لأحاديث وآثار النبي (صلى الله عليه وسلم)، حيث قال الإمام البخاري صاحب الصحيح: "ليس أحد من أصحابنا إلا احتج به"[4]، وعدم رد مالك بن أنس إمام دار الهجرة لمروياته (أي عكرمة) في الحج[5].

ثم أخيرا شهادة أبي الشعثاء جابر بن زيد أحد أعلام أهل الحديث الكبار المتوفى سنة 103 هـ/ 721م على القول الراجح[1] فيه: حين راح يدفع علماء عصره لأخذ العلم عنه بقوله لهم: "هذا مولى بن عباس، هذا البحر فسلوه"[2].

إذ لو كان داعيا إلى الرأي المذكور الموسوم بالبدعة عند أئمة الحديث، لما قبلوا مروياته تلك ما دامت كتبهم "طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعـاة"[3]،لأن ترك الرواية عن المبتدعـة الدعـاة هي بمثـابة إهانة لهم وإخمـاد لمذهبهم[4] وهذا مـا لا ينطبق على غيـر الدعاة كما هو شأن عكرمة عندهم، بحكم أن "تعظيم المبتدع تنويه لمذهبه به"[5].

إن لم تحدثنا المصادر التاريخية عن أول داعية صفري وجد بنطاق المغرب الإسلامي، إلا أن هناك نصا تاريخيا يخدمنا في بيان البداية التاريخية الأولى للصفرية به.

إذ هو نص مهم جدا في المسألة استقل بإيراده المؤرخان المشرقيان ابن الأثير والنويري حيث رويا فيه كلام أبي قرة[6] متحدثا عن نفسه بقوله: "بعد أن سلم عليّ بالخلافة

---

[1] حدها في الاصطلاح الشرعي: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى". الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الإعتصام، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1408هـ/ 1988 م، 1/ 28.

[2] الذهبي، المصدر نفسه، 103/3. إبن حجر، المصدر نفسه، ص: 397. أبو نعيم، المصدر نفسه، 3/ 326 - 347. الذهبي، العبر...1/ 100. إبن كثير، البداية...2/ 1442.

[3] محمد بن صالح العثيمين، المرجع نفسه، ص: 515، 516.

[4] البخاري، المصدر نفسه، 7/ 49.

[5] المصدر السابق، 7/ 49.

[1] إبن سعد، المصدر نفسه، 7/ 133 - 136.

[2] الذهبي، ميزان...3/ 103.

[3] إبن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان، علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عنتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط 2 1972، ص: 104.

[4] إبن دقيق العيد محمد بن علي، الإقتراح (مخطوط)، ورقة 26، وجه ب.

[5] المصدر السابق، ورقة 26، وجه ب.

أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا؟"[2]رافضا قبول الأموال التي تقدم بها إليه قائد جند العرب عمر بن حفص[3] كي يصرفه عن الحصار المضروب عليه من قبله وقبل قادة وجند البربر الآخرين الذين أحاطوا به من كل جانب سنة 151 هـ/ 768 م بطبنة[21].

نستنتج من هذا النص بأن دعاة الصفرية قد تواجدوا بالنطاق سنة 111 هـ/ 729 م على أقصى تقدير، أو قبل ذلك على أدنى تقدير لتثمر دعوتهم تلك المبايعة: وهذا عبر طرح أربعين عاما مدة المبايعة بالخلافة من سنة 151 هـ/ 768 م تاريخ بداية الحصار السالف الذكر.

لقد عرفت الدعوة الصفرية بالنطاق وقتئذ انتشارا سريعا وواسعا منقطع النظير، دل على ذلك صراحة ما أورده المؤرخ المغربي ابن خلدون عنه حين قال: "وفشت هذه البدعة [عروق الخارجية كما نعتها]، وأعقدها رؤوس النفاق من العرب وجراثيم الفتنة من البربر ذريعة إلى الإنتزاء على الأمر، فاختلفوا في كل جهة"[3].

وإن كان هذا الانتشار يعود لعوامل وأسباب عديدة مجتمعة سنتحدث عنها بالتفصيل خلال الفصل الآتي كله مباشرة.

كما أن الصفريين سينتقلون إلى مرحلة جديدة لاحقة على مرحلة الدعوة ألا وهي مرحلة العمل على قيام الدولة عبر خوض الثورات على ولاة وجند كل من الخلافتين الأموية بداية فالعباسية لاحقا بالنطاق لأجل التمكين للمذهب في إطار كيان سياسي بكل مؤسساته: يكون هو الوحيد في نظر أصحابه الحامي للدين، والخادم للمسلمين، والداعي بحق لأمة الدعوة من غير المسلمين.

---

[1] المغيلي الصفري أحد قادة ورجال الصفرية بالمغرب عهدها، ثار بتلمسان سنة 129 هـ/ 746 م وملك كثيرا من بلاد المغرب. الإيلاني صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، باب الزوار الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ص: 169.

[2]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 829. النويري، المصدر نفسه، ص: 234. كما ينظر طرف النص الأول عند: الإيلاني، المصدر نفسه، ص: 169.

[3] هو عمرو بن حفص عند ابن عذاري، ولي على إفريقية والمغرب سنة 151 هـ/ 768 م إلى أن قتل في إحدى المعارك مع الصفرية سنة 153 هـ/ 770 م أو 154 هـ/ 771 م. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 75، 77. الطبري، المصدر نفسه، ص: 1580.

[1]مدينة كبيرة من أعظم بلاد الزاب، وهي ذات أرباض واسعة؛ بينها وبين المسيلة مرحلتان. الحميري، المصدر نفسه ص: 387.

[2] إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 829.

[3] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 111.

من هذه الثورات: ثورة كل من ميسرة وخالد بن حميد الزناتي[1] بالمغرب الأقصى وهي أولاها، حيث قادها ميسرة بعد أن بويع له بالخلافة مدة انطلاقا من مدينة طنجة أقصى غرب النطاق سنة 122 هـ/ 739 م[2] انتهت به إلى اقتتاله اقتتالا عظيما بالقرب منها مع جند الخلافة بقيادة خالد بن أبي حبيب الفهري[1]، ليلتحق به توا بغية التعضيد والمؤازرة حبيب بن أبي عبيدة[32] وإن كان مصيره القتل من طرف أنصاره لما أنكروا عليه من "سوء سيرته وتغيره عما كانوا بايعوه عليه"[4].

خلفه في القيادة وجاء بعده بعد مبايعة له من قبل الأتباع: خالد بن حميد الزناتي الذي استطاع أن يحقق نصرا ماحقا على جند القائد العربي ابن أبي حبيب سنة 123 هـ/ 740 م بوادي شلف[5] بالمغرب الأوسط في معركة نعتتها المصادر بوقعة الأشراف، نظرا للعدد الكبير الذي قتل خلالها من أشراف العرب وفرسانهم[6].

كما أن نفس هذه الشخصية البربرية، هي من حققت نصرا كبيرا ثانية أيضا بمكان سماه صاحب „كتاب أخبار مجموعة..." ببقدورة، والمؤرخ ابن القوطية بنفدودة: الواقع على وادي سبو وهو وادي طنجة بالمغرب الأقصى، في سنة 123 هـ/ 740 م على الجيش العربي بعد قتل كل من قائديه: الوالي كلثوم بن عياض[7] وحبيب بن أبي عبيدة وثلثه المقدر بعشرة آلاف جندي[8].

---

[1]خلف ميسرة المقتول في قيادة صفرية الناحية الغربية للنطاق، هزم جند الخلافة مرات، وإن كانت المصادر تسكت عن الإخبار عنه تماما بدءا من سنة 123 هـ/ 740 م. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 53، 54، 55. الرقيق القيرواني المصدر نفسه، ص: 74، 75. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112.

[2] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 73، 74.

[1] ولاه ابن الحبحاب على عسكر إفريقية؛ قتل في غزوة الأشراف سنة 122 هـ/ 739 م. النويري، المصدر نفسه ص: 214. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 53. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 73، 74، 75.

[2] إبن عقبة بن نافع الفهري؛ أحد قادة جند الخلافة الذي أرسله ابن الحبحاب والي إفريقية والمغرب لغزو السوس وصقلية. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 51، 52.

[3] إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 364. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 53. النويري، المصدر نفسه، ص: 214. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112.

[4] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 53.

[5] نهر بأرض البربر على ساحل من تيهرت. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 74.

[6] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 364. النويري، المصدر نفسه، ص: 214. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 54. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 75.

[7] ولي على إفريقية والمغرب سنة 123 هـ/ 740 م من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك. المصدر السابق ص: 76. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 54.

[8] مجهول، كتاب أخبار مجموعة...ص: 112، 113. إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 29. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 54، 55. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112. النويري، المصدر نفسه، ص: 215، 216.

ثانيها ثورة كل من عكاشة[1] وعبد الواحد[2] بإفريقية؛ إذ فشلت ثورتهما تلك لنجاح خصمهما حنظلة[3] في خطته التي قضت بالمسارعة والتعجيل لقتال عكاشة قبل أن يجتمع بحليفه عبد الواحد سنة 124 هـ/ 741 م بموضع القرن القريب جدا من القيروان، وانتهت بهزيمة جيشه هزيمة ساحقة وقتله؛ ليستعد بعدها مباشرة في مواجهة عبد الواحد بموقع الأصنام، الذي لا يبعد عن القيروان إلا بثلاثة أميال، وهي المواجهة التي انتهت هي الأخرى بقتل هذا الأخير وهزيمة جيشه في نفس السنة المذكورة[1].

ثالثها تصرفات قبائل ورفجومة[2] الشنيعة بالقيروان بمجرد استيلائها عليها سنة 140 هـ/ 757 م بقيادة عبد الملك بن أبي الجعد النفزي، حيث عاثت فيها فسادا وبين ساكنيها إجراما وعذابا مدة أزيد من سنة، فلم يخلصهم من هذا الوضع الأليم إلا الإمام الإباضي أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة 141 هـ/ 758 م[3].

كما أنها ستثور مرة أخرى بقيادة واحد منها هو أبو زرجونة لتنتصر على عسكروالي إفريقية والمغرب يزيد بن حاتم[4] بالقيروان سنة 157هـ/ 773 م طبقا لماأورده

ابن خلدون[5]؛ وكان هذا آخر حدث متعلق بهذه القبائل سجله لنا التاريخ فلم يذكر عنها بعده شيئا.

---

[1] إبن أيوب الفزاري، قائد بربري صفري؛ قتله حنظلة سنة 124 هـ/ 741 م بالقرن. إبن عذاري، المصدر نفسه 1/ 58، 59. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 365.

[2] إبن يزيد الهواري ثم المدهمي، قتله الوالي حنظلة سنة 124 هـ/ 741 م. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 85. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 369. وإبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 85.

[3] إبن صفوان الكلبى؛ ولّي على إفريقية والمغرب من سنة 124 هـ/ 741 م حتى 127 هـ/ 744 م. الرقيق القيرواني المصدر نفسه، ص: 79، 87.

[1] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 58، 59. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه ص: 79، 80، 81، 82، 85. النويري، المصدر نفسه، ص: 216، 217، 218. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه ص: 369، 370، 371.

[2] من قبائل نفزة البربرية: نسبة إلى نفزاو بن لوى الكبير بن زجيك بن مادغس بن هوك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام). الرقيق القيرواني المصدر نفسه، ص: 102. إبن حزم، جمهرة...2/ 495، 496، 497.

[3] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 70، 71.

[4] إبن حاتم؛ ولي على إفريقية والمغرب مدة (155 هـ/ 771 م - 177 هـ/ 793 م). المصدر السابق، 1/ 78، 79، 81.

[5] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 114، 115.

رابعها ثوارات أبي قرة الصفري بالمغرب الأوسط، وهي أول ثورة قام بها أبو قرة سنة 129 هـ/ 746 م، كما ذكر ذلك المؤرخ الإيلاني المصمودي: حين ثار بتلمسان وملك كثيرا من بلاد المغرب[1]، لتتلوها ثورةتالية سنة 150 هـ/767 م بعد أن جددت له البيعة بالخلافة سنة 148هـ/765م، لأنه سبق وأن ذكرنا بأنه قد بويع له بالخلافة ابتداء من سنة 111هـ/729م؛ وإن كانت ثورة خاسرة هذه المرة نظرا لتراجعه عن الزاب[1] فتلمسان فطنجة أمام تقدم وتفوق الأغلب بن سالم بن عقال[2] التميمي[3].

كما أن آخر ثورة له هي تلك المشاركة له بعدد أكبر من الجند قدر بأربعين ألفا سنة 151 هـ/ 768 م ضمن الجيوش البربرية الضخمة المتحالفة والمؤلفة من اثني عشر عسكرا، حيث تولى قيادتها أبو حاتم[4] بهدف الزحف على القيروان؛ وإن تمكن عمر بن حفص من إبعاده وفصله عنها بطريق غير مباشر: عبر استمالة ابنه - وفي رواية: أخيه - إليه بالأموال مقابل دفع أبيه أو أخيه إلى الانسحاب بعد أن استعصي عليه استمالة أبي قرة مباشرة[5].

هكذا وبعد هذه السنة المذكورة أعلاه، فإننا نلاحظ وجود اختفاء عبر مصادر التاريخ لكل ما له ارتباط بشخصية أبي قرة سواء من قريب أو بعيد.

وإن كنا نخرج باستنتاج مهم في آخر تتمة هذا الفصل فحواه: بأن معركتي كل من الأصنام والقرن قد وضعتا حدا نهائيا لثورات الصفرية بهذا النطاق من المغرب الإسلامي[6] حيث لم تقم لهم قائمة بعدهما أبدا.

---

[1] الإيلاني، المصدر نفسه، ص: 169.

[1] بلاد واسعة على أطراف الصحراء من إفريقية؛ والزاب أحد أعمالها الذي يحوي مدنا كثيرة أعظمها طبنة الواقعة وسطه، إذ بها ينزل الولاة بين الزاب والقيروان مسيرة عشر مراحل. المقدسي، المصدر نفسه، ص: 107، 108. الحميري، المصدر نفسه، ص: 281.

[2] تقلد ولاية إفريقية والمغرب خلال (148 هـ/ 765 م - 150 هـ/ 767 م). إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 74، 75.

[3] المصدر السابق، 1/ 74.

[4] قائد عسكري إباضي المذهب؛ سماه ابن عذاري بيعقوب بن لبيب؛ قتله يزيد بن حاتم سنة 155 هـ/ 771 م. المصدر السابق، 1/ 78. الطبري، المصدر نفسه، ص: 1582.

[5] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 114. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 76. النويري، المصدر نفسه ص: 230، 234.

[6] إذ ذهب إلى نفس هذا الرأي باحثون متخصصون عرب وأجانب. محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1984، ص: 81. موسى لقبال، المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج: سياسة ونظم المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1981، ص: 162.

لكثرة ما سقط خلالهما من القتلى ضمن صفوف جند عكاشة وعبد الواحد الصفريين بعد تصادمهما العسكري بجيش حنظلة السني[1]،حيث عدت هاتان المعركتان بمثابة منقبة له ولجيشه، ومحل غبطة واشتياق لمن لم يسعفهم الحظ للمشاركة فيها من اتباع المذهب العقدي السني.

حتى أننا وجدنا أحد كبار أعلام هذا المذهب ألا وهو الليث بن سعد[2]خير من عبّر عن ذلك بلسانه حين قال بأن: "ما من غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر أحب إليّ من غزوة القرن والأصنام"[3]، نظرا لما ينتظر كل من يقاتل مثل هؤلاء الذين يجنحون إلى نحو هذا المذهب العقدي الصفري في حالة خروجهم بالسيف على السلطان من الأجر الأكبر والجزاء الأوفى عند الله تبارك وتعالى على ضوء المنظور الشرعي السني.

مصداقا لحديث النبي (صلى الله عليه وسلم) القولي: "يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ"[4].

وفي رواية "إِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ أَوْ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ"[5]، وفي رواية أخرى بأنهم شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ، وَخَيْرُ قَتِيلٍ مَنْ قَتَلُوا، كِلاَبُ أَهْلِ النَّارِ، قَدْ كَانَ هَؤُلاَءِ مُسْلِمِينَ فَصَارُوا كُفَّارًا"[6].

Henri Terrasse, Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat français Casablanca, 1949, 1/100. Charle André Julien, Histoire de l'Afrique du nord, Paris, 1966, 2/ 30. Alfred Bel, la religion Musulmane en Berberie (Esquise d'histoire et de sociologie religieuse), Paris, 1938, 1/ 148. Emile felix guautier, le passé de l'Afrique du nord, Paris 1952. P: 317.

[1] إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 715.

[2] أبو الحارث الفهمي الأصبهاني الأصل، الإمام الحافظ، كبير الديار المصرية ورئيسها الأنبل في العلم كان أتبع للأثر وأفقه من مالك، لم يكتب لمذهبه الانتشار لتقاعس أصحابه عن نشره؛ توفي سنة 175 هـ/ 791 م. الذهبي، كتاب تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه: الشيخ زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419 هـ/ 1998 م، 1/ 164 - 166.

[3] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 85. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 715. النويري، المصدر نفسه، ص: 218. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 59. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112.

[4] إبن ماجة، المصدر نفسه، كتاب المقدمة، باب في ذكر الخوارج، ص: 34، حديث رقم: 168.

[5] المصدر السابق، نفس المقدمة والباب، ص: 35، حديث رقم: 175.

وإن كنا نستثني من هذه الحركة الصفرية مجموعة منها قامت لها قائمة بالفعل بعد المعركتين المذكورتين: جماعة استطاعت أن تمكن لنفسها سياسيا وتعمر مدة ليست بالقصيرة بدءا من سنة 140 هـ/ 757 م حتى سنة 366 هـ/ 975 م[2] ضمن ما نعت في التاريخ بإمارة سجلماسة[1]، التي تأسست بالطرف الجنوبي للمغرب الأقصى على أطراف الصحراء وبعيدا عن الحواضر المغربية.

كما نسجل عن هذه الإمارة أيضا بأنها لم تستمر على مذهبها الصفري، بل أدارت ظهرها له ولفظته إلى غير عودة، متبنية بدله المذهب السني، تحديدا في عهد الأمير محمد بن الفتح بن ميمون الشاكر بالله انطلاقا من سنة 331 هـ/ 942 م[2].

---

[1] المصدر السابق، نفس المقدمة والباب، ص: 35، حديث رقم: 176. كما أن هذه الروايات الثلاث تعتبر من قسم المقبول من الأحاديث، بحيث يدل على ذلك كونها لم تذكر عند: محمد ناصر الدين الألباني، ضعيف سنن ابن ماجة، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط 1، 1408 هـ/ 1988 م.

[2] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 132 - 135.

[1] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 156. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 132.

[2] المصدر السابق، 6/ 135.

الفصل السابع

العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي

1-العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضيوالصفري بالمغرب الإسلامي والمتعلقة بالعرب

1أ- جور الولاة في معاملتهم للبربر

1ب- الغنيمة هي الهم الأكبر للولاة

1ت- التجاوزات الممارسة من قبل بعض الخلفاء

1ث- تجاوزات من هم دون الولاة من العرب في حق البربر

1ج- الصراع القبلي العربي – العربي

2-العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي والمتعلقة بالبربر

2أ- النزعة الاستقلالية لدى البربر

2ب- حسن الدعاية الصفرية والإباضية

1- العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي والمتعلقة بالعرب

لقد عرف المذهبان العقديان المذكوران حالة من الانتشار والتفشي منقطعة النظير بنطاق المغرب الإسلامي كله، هذا التفشي الذي كان بمثابة ثورة عامة شاملة على مذهب الصحابة (نواة المذهب العقدي السني).

حيث اعتبر ابن خلدون أفضل من صور تلك الحالة من بين سائر المؤرخين المغاربة من خلال خبر جد معبر قال فيه عن بربر النطاق:"ثمنبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها، ولقنوها من العرب الناقليها[1] من منبعها بالعراق، وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الإباضية والصفرية"[2].

لا شك أن هناك عوامل وأسباب متنوعة اجتمعت وتكاملت لتكون وراء بروز هذه الظاهرة المتمثلة في مثل هذا التفشي والثورة الشاملة لهذين المذهبين بالمنطقة على المذهب العقدي الرسمي السائد يومها، انطلاقا من بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي توصلنا إليها بعد بحث وتقص واستقراء لا نراها تتعدى أوتتجاوز الآتي:

1أ- جور الولاة في معاملتهم للبربر

باعتبارهم في مرتبة البهائم، بل وعدهم خارجين عن دائرة الإسلام: فأول ظلم صدر وكان من قبل والي الدولة الأموية على إفريقية والمغرب ووقع فعلا على بعض البربر: ما اقترفه وتصرف به يزيد بن أبيمسلم[3] معحرسه منهم.

بحيث رصدته مصادر سنية التي نعتبر مؤلفيهاممن يتبنوننفس مذهب هذا الوالي مما يضفي على ما أوردوه من المصداقية ويدلل على صحته: فإنهم ذكروا جميعا سلوكا قبيحا وتصرفا مشينا اتخذه معهم هذا الوالي لا يليق بالبشر بقدر ما يليق بالعجماوات من الحيوانات.

وهذا بالوشم على أبرز أعضائهم، فضلا عن تسويتهم في ذلك بالروم المسيحيين

---

[1] لعل ذلك تحريف من كلمة: "الناقلين لها".

[2] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 111.

[3] أحد ولاة الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك على إفريقية والمغرب طيلة (101 هـ/ 719 م – 102 هـ/ 720 م)، إتفق كل من أرخ له على نعته بالطاغية والجائر. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 48. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 357 358. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 63، 64. النويري، المصدر نفسه، ص: 211–212.

بعد أن مهد لذلك أثناء خطبة له على المنبر يوم الجمعة وبقوله فيها: "إني رأيت أن أرسم في أيديهم كما تصنع ملوك الروم بحرسها، فأرسم [وفي رواية: فأشم] في يمين الرجل اسمه وفي يساره حرسي، ليعرفوابذلك من بين سائر الناس، فإذا وقفوا على أحد أسرع لما أمر به"[1].

لم يكتف يزيد بهذا الظلم أو التجاوز، بل راح يقترف تجاوزا آخر أشد منه جرما وأكثر وقعا في النفس مقارنةبغيره من التجاوزات: حين قام بتجريد بربر إفريقية من ملة الإسلام.

أفضل وأغلى ما يعتز بها أي مسلم على الإطلاق، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو طبقته... فجعلهم أخماسا[2]، ووضع الجزية[3]عليهم كأنهم أهلذمة[54] وإن كانوا غير ذلك بل في الحقيقة هممسلمون.

لا شك أنه ما قام بهذا الفعل أو ذاك إلا ظنا منه أنه سيستقيم له أمر الولاية،بحيث يستقر الوضع ويستتب الأمن وتخضع الرعية، بالتالي يرضى عنه متولوه من الخلفاء وغيرهم: فيبقونه في ولايته تلك كحد أدنى، أو يمنحونه مناصب أعلى منها كحد أقصى.

وهذا أكبر ما كان يتمناه يزيد ويطمح إليه معتقدا أن مثل هذه السياسة والسيرة مع أية رعية هي الناجعة في تحقيق الأهداف، ما دامت قد آتت أكلها بالمشرق.

حين طبقها (أي السياسة المذكورة) الحجاج بن يوسف[6] "في أهل الإسلام الذين

[1]إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 357، 358. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 63، 64. إبن عذاري المصدر نفسه، 1/ 48.

[2]مفرده خمس، وهو جزء من خمسة أجزاء الشيء: إنه حصة الدولة الإسلامية من غنائم الحرب مع غير المسلمين. محمد رواس...المرجع نفسه، ص: 201.

[3]مصطلح فقهي وقيمة اقتصادية تجنيها الدولة الإسلامية من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) مقابل حمايتها لأنفسهم وأملاكهم. كريزر كلوس وديم فارنر وماير هانس جورج، معجم العالم الإسلامي، ترجمة: ز. ج. كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1418 هـ/ 1998 م، ص: 216.

[4]مصطلح فقهي هو الآخر، وضع للدلالة على أهل الكتاب (اليهود والنصارى). المرجع السابق، ص: 216.

[5]إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 357. النويري، المصدر نفسه، ص: 212.

[6]الثقفي نسبة لثقيف أكبر قبيلة اشتهرت بالطائف: لقد قدم للأمويين خدمات جليلة حين كلف بمسؤوليات ووظائف عسكرية كبرى تمثلت في تصفية رؤوس الخصوم وقمع الثورات؛ له في القتل وسفك الدماء وغير ذلك...غرائب وعجائب لم يسمع مثلها: كقتل عبد الله بن الزبير وغيره...وهدم الكعبة رميا؛ كان بليغا وخطيبا مفوها، توفي على الأصح سنة 94 هـ/ 712 م إثر مرض عضال ألم به خمسة عشر يوما. إبن خلكان، المصدر نفسه، 2/ 29 - 54.

سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد[1] من أهل الذمة: فإنه ردهم إلى قراهم، ووضع عليهم الجزية على ما كانوا عليه قبل الإسلام"[2]؛ غير آخذ بعين الاعتبار اختلاف وتفاوت الشعوب والأقوام في النفسيات والمشاعر والأمزجة...

لقد كان الوالي يزيد هذا من أعوان الحجاج والمقربين عنده: حيث عمل له مدة في خطة صاحب الشرطة[43] بالمشرق، كما اعتبر من المعجبين والمتأثرين به.

من هنا فإنه عمل على نقل تجربة متوليه السابق الحجاج تلك إلى إفريقيةليجسدها على بربرها عله يكون من الناجحين، ترى هل سيفلح في اختباره الأول هذا على أرض ذلك النطاق الجغرافي الجديد، ومع هؤلاء القوم الجدد؟

بطل في الواقع مراد يزيد وتبخر رجاؤه ولم يسدد في مسعاه،ومن ثم خاب ظنه هذا لأنه وجد شعب البربر من طينة ومعدن متميز بمزاج ونفسية فريدة من نوعها: إذتأبى الضيم ولا ترضى بالظلم وتخضع له لتستمر على ذلك وتبقى ساكتة، بل عكس هذا هو مسلكها وطريقها:فسرعان ما تقف في وجهه وتثور على الاستبداد والمستبدين.

فكانت النتيجة أن دارت الدائرة عليه، خصوصا لما مس هؤلاء البربر وطعن في أعز ما يملكون – ويملك كل شعب – ألا وهو الدين والملة: حين اعتبرهم أهل ذمة وخمسهم رغم إسلامهم كما سبق وأن أسلفنا، وهكذا نفذ صبرهم عليه وضاقوا به ذرعا واشتط غضبهم الذي لم يهدأ إلا بالاتفاق والتعاقد فيما بينهم على تصفيته جسديا.

وفعلا قتلوه ليلا أثناء خروجه من داره إلى مصلاه لأداء فريضة صلاة المغرب[5]

---

[1]لفظ يطلق لبراد به ما حوالي الكوفة والعراق من القرى والرساتيق؛ كما يراد به أيضا قرى ورساتيق الأمصار مطلقا. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 362. الحموي، المصدر نفسه، 3/ 272. وإن كان المقصود به هنا المعنى الثاني بدليل سياق ومناسبة وروده الخالي من ذكر أي مصدر.

[2]النويري، المصدر نفسه، ص: 212.

[3]نظام „العسس„ أو حراس الليل الذي يعتبر عمر (رضي الله عنه) أول من أدخله، هو نواة نظام أو خطة الشرطة التي ظهرت في عهد علي (رضي الله عنه) وسمي رئيسها „صاحب الشرطة„ لغاية مساعدة القاضي في إثبات التهم والمساعدة في تنفيذ الأحكام، إلى أن استقلت عن القضاء في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الذي حكم (105 هـ/ 723 م – 125 هـ/ 742 م)، وصارت تنظر في الجرائم والظلامات، ولا تسند إلا لرجالات الدولة الكبار لأن بها يحفظ النظام يستتب الأمن. صبحي الصالح، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين بيروت، ط 2، جمادى الآخرة 1388 هـ/ أيلول 1968 م، ص: 333، 334.

[4]الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 63.

[5] إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 358. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 64. إبن عذاري المصدر نفسه 1/ 48. النويري، المصدر نفسه، ص: 212.

معلمين الخليفة الأموي يزيد[1]: أنهم ما قتلوه كعلامة وأمارة على عدم رضى به، ونكث لبيعته بخروج عن طاعة أميرهالمتولى عليهم، بل لما سامهم هذا الأخير "ما لا يرضاه الله والمسلمون"[2].

إن مثل هذا الوضع المتسم بتلك المواصفات السلبية المذكورةلم يعهدهبربر المنطقة بل عكسه تماما هو الذي عاشوا في ظله مدةخمس سنوات تقريبا: مفتتحة بمحمد بن يزيد[3] طيلة زمن ولايتهثابتا على سيرة إيجابية واحدةلم تتغير تجاه رعيته من البربر كلهم.

كما يروي كل من الرقيق القيرواني وابن عذاري واصفين إياها "بأحسنسيرة وأعدلها"[4]، بل وبنظير هذه السيرة كذلك مع الثبات عليها كانيتعامل مع جنده وعساكره إذا هم انتصرواوغنمواالغنائم: فيقسم ذلك عليهم بصورة عادلة[5] طبقا للأنصبة الشرعية في الباب، والمقدرة بالنصوص الدينية.

ومختتمة بقية هذه المدة المذكورة بولاية اعتبرت قمة في العدل مثلها الوالي على إفريقية والمغرب الذي خلف السابق مباشرة، ألا وهو إسماعيل بن عبيد الله[6]، حتى وصفت المصادر التي ترجمت له وذكرت ولايته وإمارته تلكبالخيرية[7].

فضلا عن اعتباره صاحب الفضل والأثر الأبرز، شأنه في ذلك شأن التسعة[8]المشهورين بالعلم والصلاح والدعوة الذين ساهموا في تقديم خدمات جليلة متميزة

---

[1] بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ثامن خلفاء الدولة الأموية من 101 هـ/ 719 م حتى 105 هـ/ 723 م. السيوطي المصدر نفسه، ص: 280، 282 - 283.

[2]النويري، المصدر نفسه، ص: 212.

[3] كلف بالولاية على إفريقية والمغرب من قبل الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك مدة (97 هـ/ 715م - 99 هـ/ 717م). إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 356. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 47، 48.

[4]الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 58. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 47.

[5]المصدر السابق، 1/ 47.

[6]كما تسميه جل المصادر التي أرخت له، ولاه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز على إفريقية والمغرب خلال (99 هـ/ 717 م – 101 هـ/ 719 م). الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 62. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 106، 115. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 356.

[7]المصدر السابق، ص: 356. أبو العرب، المصدر نفسه، ص: 84. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 62. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 48. النويري، المصدر نفسه، ص: 211.

[8]وهم: موهب بن يحيى المعافري – وحبان بن أبي جبلة – وإسماعيل بن عبد الله – وطلق بن حابان – وبكر بن سوادة الجذامي – وعبد الرحمان بن رافع التنوخي – وأبو عبد الرحمان الحبلي – وسعيد بن مسعود التجيبي. أبو العرب المصدر نفسه، ص: 84 - 87. أما تاسعهم فلم يذكر في هذه النسخة، وإن كان قد ذكره المالكي نقلا عن نسخة أخرى لأبي العرب وسماه: أبا سعيد جعثل بن هاعان بن عمير. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 114.

من أجلترسيخ ونشر كل من اللسان العربي والدين الإسلامي[1]: حيث أرسلهم الخليفة عمربن عبد العزيز[2]بمعية الوالي المذكور أعلاه، والمعروفين بالعشرة التابعين المبعوثين من قبله[3]إلى المغرب الإسلامي بقصد أداء تلك المهمة المذكورة حصرا[4].

لكن الملاحظ هو أن هذه التجاوزات الكبرى وصور الاستبداد المسلطة على البربر والممارسة من قبل بعض أولى الأمر عليهم: نراها قد عادت من جديد وكأن أصحابها المتسببين فيها ما فهموا الرسالة التي أراد هؤلاء البربر إيصالها إليهم من خلال النهاية الأليمة التي تعرض لها الوالي يزيد بن أبي مسلم.

من مظاهر تلك التجاوزات وعلاماتها: ما قام به عمر بن عبد الله المرادي[5]، غير معتبر ومتعظ بما حدث لسلفه:فاقترف جرما أكبر درجة وأعلاها من جرمه، وإن كانا (أي الجرمان) من طبيعة واحدة (أي الوصم بالكفر) باعتباره البربر كفارا محاربين – لا كفارا معاهدين وأهل ذمة حسب اعتبار يزيد بن أبي مسلم –حينأساء السيرة معهم بتعديه الشرع في تقسيم الصدقات والعشر[6] فيما بينهم.

حيث لم يكتف بذلك، بل راح يتلبس بما هو أشد منه وأنكر في الدين حين "أراد أن يخمس من أسلم من البربر، وزعم أنهمفيء[7] للمسلمين، وهذا شيء لم يرتكبه أحد قبله وإنما كان الولاة يخمسون من لم يؤمن منهم ولم يجب إلى الإسلام"[8].

---

[1]إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 48.

[2]سابع خلفاء الدولة الأموية حيث دامت خلافته (99 هـ/ 717 م – 101 هـ/ 719 م)، فكانت مضرب المثل والقدوة في: صلاح النفس واستقامتها من جهة، وأحسن السيرة وأعدلها مع الغير من جهة أخرى. إبن الجوزي، المصدر نفسه، 2/ 66 – 74.

[3]المالكي، المصدر نفسه، 1/ 99.

[4]إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 48. المالكي، المصدر نفسه، 1/ 99

[5]كان عاملا على طنجة وما والاها مدة (116 هـ/ 733 م – 122 هـ/ 739 م) من قبل الوالي على إفريقية والمغرب عبيد الله بن الحبحاب. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 73. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 714. إبن عذاري المصدر نفسه، 1/ 51. النويري، المصدر نفسه، ص: 213. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 111، 112.

[6]جمعهُ: عشور وأعشار، وهو جزء من عشرة، أما في الشرع: فهو غير الصدقات والجزية، وقد حدّ بالعشر الذي يؤخذ من أموال تجارات اليهود والنصارى. إبن منظور، المصدر نفسه، 4/ 341. الرازي، مختار...ص: 182. محمد رواس...المرجع نفسه، ص: 312.

[7]جمعهُ: أفياء وفيوء، مصدر فاء يفيء بمعنى رجع، ودلالته الشرعية: ما أخذه المسلمون من أموال أعدائهم من غير قتال. السيد سابق، فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط 2، 1419 هـ/ 1999 م، 3/ 433. مجمد رواس...المرجع السابق، ص: 351.

[8]وهذا بعد اقتباس كل طرف من مصدره حرفيا، لتبلغ الصياغة اللغوية للنص تمامها ويكتمل معناها. الرقيق القيرواني المصدر نفسه، ص: 73. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 714. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 51، 52. النويري المصدر نفسه، ص: 213.

وإن كان حظه ونصيبه الجزائي من إرادته لفعلته تلك أن لاقى نفس مصير سلفه: المتمثل في القتل من طرف من أراد إمتهانهم وإهانتهم بهذا الجرم الديني الفضيع، والذي لا يوجد جرم آخر أفضع منه.

يكفي دلالة على فضاعته، كونه اعتبر سببا مباشرا لبدء اندلاع شرارة ثورات هؤلاء البربر كما ذكر ذلك أكثر من مصدر، حيث دامت مدة ليست بالقصيرة وعمت المغرب الإسلامي كله[1].

1ب- الغنيمة هي الهم الأكبر للولاة

باعتبار أن الغنائم بكل أشكالها وأصنافها التي يزخر بها هذا النطاق، عدت وقتئذ الانشغال الأول والأخير عند بعض الولاة والخلفاء ليس إلا.

لا يتصور العقل أي مبرر لهذه التجاوزات من قبل عمر بن عبد الله المراديومن على شاكلته الذين أسندت إليهم مسؤوليةالولاية على رقاب البربر سوى تحصيل الغنائم وتقديم الخدمات لساداتهم من الولاة، ومن فوقهم الممسكين برأس وقمة هرم السلطة والحكم من الخلفاء وغيرهم...

وتلبية كل ما يريدون ولو بمخالفة تعاليم الدين، وظلم البربر المسلمين بأي تصرف أو مسلك كان، المهم عندهم هو أن يرضى عنهم متولوهم: فيبقونهم فيمناصبهم ووظائفهم ولم لا ترقيتهم إلى الأعلى منها والأرفع.

نلاحظ صورة لذلك وإن على مستوى الولاة الممثلين مباشرة للخليفة في اشتطاط غضب عبيدة بن عبد الرحمان[2] من عبد الرحمان بن عبد الله العكي[3]: حين غزا هذا الأخير إفرنجة[4] فظفر بالنصر وغنم غنائم كثيرة، وإن كان حرمه منها تماما ولم يعطه شيئا بعد أن تصرف فيها طبقا للشريعة الإسلامية.

وهكذا قسمها بين من شاركوه هذا الغزو من العساكر والجنود بعد أن فصل عنها

---

[1] المصدر السابق، ص: 214. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 52. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 112، 120.

[2] القيسي، ولاه الخليفة الأموي هشام على إفريقية والمغرب سنة 110 هـ/ 728 م، ثم قدم عليه سنة 115 هـ/ 733 م بهدايا مستعفيا فأعفاه. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، 361 - 363.

[3] أقامه الوالي عبيدة المذكور عاملا له على الأندلس، كان رجلا صالحا، إستشهد وعامة أصحابه في إحدى غزواته بأقاصي الأندلس سنة 115 هـ/ 733 م. المصدر السابق، ص: 361، 362.

[4] منطقة بأقصى عدوة الأندلس. المصدر السابق، ص: 362.

الخمس، بل وذهب به تحريه الدقيق للدين وشدة التزامه به أن عمد إلى رجل من ذهب مفصص بالدر والياقوت والزبرجد كان من بين تلك الغنائم فكسره وجزأه، ليطبق عليه نفس التقسيم الشرعي الذي طبقه على الغنائم السابقة القابلة بطبيعتها للتجزئة[1].

وإن لم يرجعه عن تصرفه هذا في الأخير تهديده إياه وتوعده له لاحقا بل زاده تشبثا بموقفه الأول بأن رد عليه مجيبا ومتحديا له بقوله: "إن السماوات والأرض لو كانتا رتقا[2]لجعل الرحمان للمتقين منهمامخرجا"[43].

نفس هذا التجاوز والتعدي صدر من عبد الله بن الحبحاب[5] الذي كان أكثر ظلما وإسرافا شبها بالسالفين المذكورين، إذ ما بالغ في ذلك إلا شيء واحد وهو المحافظة على منصبه والبقاء في وظيفته، لأنه يعلم أن مثل هذا لا يتم له ويتحقق إلا إذا استجاب استجابة مطلقة إلى كل ما يطلبه منه الخليفة في دمشق ويأمره بهما دام أن هدفه هذا مرهون بذلك.

لأجل هذا، وجدنا أن ابن الحبحاب هذا كما سجل المؤرخ المغربي ابن عذاري لما أفضى الأمر إليه بأن صار واليا على المغرب وإفريقية، قد "مناهم [الخليفة وبطانته] بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة"[6].

1ت- التجاوزات الممارسة من قبل بعض الخلفاء

الأدهى والأمر من كل هذا الذي مر معنا، كون تلك التجاوزات التي مست البربر لم تبق محصورة على الولاة والعمال، ومن دونهم ككبار قادة الجند وغيرهم...ممن سنذكر بعضا من مظالمهم لاحقا.

بل تجاوزتهم وتعدتهم إلى رأس هرم وقمة الخلافة ألا وهو خليفة المسلمين نفسهالذي من المفروض أن يخلف النبي (صلى الله عليه وسلم) ويقوم مقامه في تجسيدمطالب

---

[1]المصدر السابق، ص: 362.

[2]بمعنى ملتئمتين. الرازي، المصدر نفسه، ص:98.

[3]وكأني به يريد تضمين هذا الطرف من النص معنى قوله جل وعلا: أ﴿وَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ الآية 30 من سورة الأنبياء. والمعنى هو أن المتقين مهما ترددت أحوالهم وأوضاعهم، لا محالة يفرج الله تعالى عنهم ويجعل لهم مخرجا، إذ تكفيهم عبرة وعظة أن أعظم مخلوقاته تعالى وهي السماوات والأرض ما تصرف فيهما سبحانه وفتقهما بعدما كانتا رتقا إلا من أجل التيسير والتفريج على عباده المتقين، فما بالك بما دونهما.

[4]إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 362.

[5]يسميه الرقيق القيرواني بعبيد الله، تقلد الولاية على إفريقية والمغرب خلال (116 هـ/ 734 م – 123 هـ/ 740 م). الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 71، 72، 75. إبن الأبار، كتاب الحلة... 2/ 336 - 338.

[6]إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 52.

الخلافة المتمثلة في: حراسة الدين، وسياسة كل أمور الحياة الدنيا به[1].

إن النساء البربريات كن مفضلات عند بعض الخلفاء الأمويينوالعباسيين بالمشرق[2] ومميزات عن سائر نساء الأرض يومها، بما انفردنبه من مقدرتهن العالية على الباءة بمعنى الجماع الذي دل عليه اللسان واللغة العربية[3].

ودلت عليه أيضا قرينة سياق النص – الواردة فيه تلك الكلمة – الذي يورده التجاني مبينا ميزاتهن باعتبار محاسنهن بين الأجناس من النسوة وخصائص كل جنس منهن، فيما ينقله عن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان[4] قوله: "من أراد الباءة فعليه بالبربريات ومن أراد الخدمة فعليه بالروميات، ومن أراد النجابة فعليه بالفارسيات"[5].

لا نشك بأن تلفظ الخليفة مروان بهذا الكلام ما كان إلا بعد خبرة ومعايشة خبرها وعايشها بنفسه مع الظاهرة تلك: حين كانت عمليات الفتح الإسلامي للنطاق مستمرة ولم تستكمل بعد في حياته.

وخاصة عهد الوالي موسى بن نصير[6] الذي كان يبعث له بالأعداد الكبيرة من السبايا البربريات[7] كن ضمن غنائمه: المقدرة بالنصيب الضخم[8] والمشروعة دينيا، غنمها إثر غزواته المتعددة للقبائل البربرية بالمنطقة فضلا عن غزوات عماله التي كانت قد كللت كلها ودوما بالنجاحات والانتصارات[9].

كما لاحظنا بأن نفس هذا الإنطباع عن النساء البربريات استمر باقيا وسائدا في زمن لاحق على الفترة الأموية، وهو زمن الخليفة العباسي أبي العباس عبد الله بن محمد[10].

---

[1] الماوردي، المصدر نفسه، ص: 29. الفراء، المصدر نفسه، ص: 33، 34.

[2] إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 52.

[3] إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 268.

[4] الخليفة الأموي الثالث، والأول في الفرع المرواني، حكم طيلة (73 هـ/ 692 م – 86 هـ/ 705 م). محمود شاكر التاريخ الإسلامي: العهد الأموي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1405 هـ/ 1985 م، 4/ 192، 195.

[5] التجاني محمد بن أحمد، تحفة العروس ونزهة النفوس، دار الجيل، بيروت، د. ت، ص: 159.

[6] ولي إفريقية والمغرب أثناء (86 هـ/ 705 م – 95 هـ/ 713 م). الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 35، 38، 54. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 41، 45

[7] التجاني، المصدر نفسه، ص: 160.

[8] أنظرها عند: خليفة بن خياط، المصدر نفسه، ص: 214، 224، 237.

[9] المصدر السابق، ص: 233، 234.

[10] أول الخلفاء العباسيين، تولى الخلافة مدة (132 هـ/ 749 م – 136 هـ/ 753 م). اليعقوبي، المصدر نفسه، 2/ 349 .364

حين وجدنا خالد بن صفوان: هذا الشخص الخبير بالنساء هو الآخر وأحد رفقاء وأخلاء الخليفة الموجود غالبا بجانبه في القصر، لا لشيء إلا لإبعاد السآمة والضجر عنه وجلب كل ما من شأنه أن يحصل له السعادة والإنشراح ويدخل البشاشة والفرحة الدائمة عليه.

وفعلا رصد في إحدى المناسبات وهو يجوّد له وصف النساءفيرغّبه في المليحات منهن، قائلا له: "فمنهم يا أمير المؤمنين...البربرية العجراء[1]..."[2].

كما ينقل التجاني من كتاب النساء لأبي الفرج بأن الخليفة هشام بن عبد الملك[3] كتب يوما إلى واليه على إفريقية والمغرب، آمرا إياه بأنيبعث له الجواري وبالأخص البربريات[4]: لأنهن مرغوبات لدى الخليفة على سائر النسوة إطلاقا لما اختصصن به عن غيرهن من نساءالأجناس الأخرى بالنسبة للتلذذ والمتعة، إذ هن بكليتهن جالبات للرجال وجاذبات لهم.

فضلا عن تميزهن وانفرادهن عنده بـ "أنيق الجمال وعظم الأكفال[5] وسعةالصدور ولين الأجساد ورقة الأنامل، وسبوطة[6] العصب[7] وجدالة[8] الأسوق[9]وجثود[10] الفروع[11] ونجالة[12] الأعين وسهولة[1] الخدود وصغر الأفواه وحسن الثغور وشطاط[2] الأجسام واعتدال القوام[3]ورخامة[4] الكلام..."[5].

---

[1]من العجر بفتح أوليها، بمعنى القوة وعظم الجسد. إبن منظور، المصدر نفسه، 4/ 261.

[2]الروحي، المصدر نفسه، ص: 161.

[3]الخليفة الأموي العاشر، حكم (105 هـ/ 723 م – 125 هـ/ 742 م). إبن قتيبة، المعارف، ص: 197، 198، 199، 200، 203، 204، 205، 206.

[4]التجاني، المصدر نفسه، ص: 160.

[5]مفرده كفل بفتحتين، ومعناه العجز أو مؤخرة الشيء. الرازي، المصدر نفسه، ص: 240. إبن منظور، المصدر نفسه 5/ 421.

[6]مبالغة لـ "سبط" بفتح الأول وفتح وكسر الثاني، ومعناه: ما كان حسن القد والاستواء. الرازي، المصدر نفسه ص: 120.

[7]بفتحتين، جمعهُ أعصاب بمعنى أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها. إبن منظور، المصدر نفسه، 4/ 347.

[8]من جدل بفتحتين إذا اشتد وقوي. المصدر السابق، 1/ 390، 391.

[9]مفرده ساق، ومعناه: ساق القدم. الرازي، المصدر نفسه، ص: 135.

[10]لم نعثر على جذر واشتقاق لهذا الفظ اللهم إلا جذر "جدث" بفتحتين، الذي جمعه أجداث بمعنى قبور. الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، ط 1 1408 هـ/ 1982 م، 6/ 73. وهذا المعنى لا ينطبق على السياق ألبتة، مما يدل على عدم استعماله في اللغة، بالتالي قد يكون من التعابير العرفية الشائعة عهدها.

[11]مفرده فرع، وفرع كل شيء أعلاه. إبن منظور، المصدر نفسه، 5/ 117.

[12]من "نجل" بفتحتين، ومعناه: سعة شق العين. الرازي، المصدر نفسه، ص: 270.

[1]من السهل، بمعنى: اللين وقليل الخشونة. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 358.

[2]بالكسر والفتح، بمعنى الاعتدال. المصدر السابق، 3/ 436.

إن صحت الرواية المذكورة من قبل التجاني التي سبق إيرادها والمتعلقة بالخليفة هشام، فإن هذا الأخير يكون قد انحرف عن دوره المحوري المنوط به رأسا: باعتباره المسؤول الأول والأعلى من بين المسلمين يومها عن السير الحسن فيهم، والتطبيق السليم للأوامر والتوجيهات الشرعية الدينية المتعلقة بتفاصيل حياتهم كلها.

فبدل أن يضطلع بهذه المهمة على أتم فعل ويقوم بتلك الوظيفة بأكمل وجه نجده يجانب الطاعة والصواب في بعض منها: حيث يقترف ممنوعا يحرمه الشرع هو في عداد المعلومات من الدين بالضرورة.

حين ينزع صفة وحكم الإسلام عن البربريات ويجردهن منه، ما دام قداعتبرهن من الجواري اللاتي يعطين حكم السبايا[4]، في الوقت الذي لا يتعلق هذا الحكم وينطبق إلا على غير المسلمات وبعد مشاركتهن مع من تقاتل من الكفار ضد المسلمين[5].

وهذا ما لا ينطبق إذن على أولائك البربريات وقتئذ، لأنهن كن مسلمات قد آمن وتبنين هذا الدين، يشهد كدليل إضافي على ذلك طرف من رواية طويلة أوردها أبو جعفر الطبري صاحب أقدم مصدر منشور كامل ومغط لأكبر نسبة من تاريخ الأمة الإسلامية وصل إلينا.

تمثلت هذه الرواية في قائمة من التظلمات والشكاوى والانتهاكات كان قد مارسها ولاة وعمال الخليفة هشام ضد البربر، حملها وفد منهم برئاسة ميسرةإلى عاصمة الخلافة دمشق حيث مقر الخليفة.

وإن كانوا قد فوجئوا من حرمانهم لقاءه فما بلغوه إياها مباشرة، لكنهم حققوا مرادهم بإيصالها إليه ولو بطريقة غير مباشرة وبواسطة الأبرش[1]: أحد خواص بطانته المقربين وأعلاهم منصبا.

---

[1]بمعنى القامة. الرازي، المصدر نفسه، ص: 233.

[2]من رخيم أي رقيق وحسن. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 55.

[3]التجاني، المصدر نفسه، ص: 160.

[4]قسم من اقسام أربعة - الثلاثة الباقية هي: الأسرى، الأرضون، الأموال - يحوز عليها المسلمون بعد قتال غير المسلمين والحكم فيهن أنهن يسترقن ويقسمن بين الغانمين. الفراء، المصدر السابق، ص: 153، 158، 160.

[5]الماوردي، المصدر نفسه، ص: 232.

[1]إبن الوليد الكلبي، لا شك أنه شغل منصبا سياسيا رفيعا جدا لا يعلوه إلا منصب الخليفة كما يفهم من سياق حديث اليعقوبي عن الخليفة هشام. اليعقوبي، المصدر نفسه، 2/ 328.

جاء في طرف من هذه الرواية قول ميسرة المتكلم باسم الوفد البربري ونيابة عنهم للأبرش، مستنكرا الفعل الذي سيذكره لمخالفته تعاليم الشريعة الإسلامية التي يلزم باحترامها والامتثال لها كل مسلم ومسلمة ومن باب أولى الخليفة: "ثم إنهم سامونا[1] أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لا نجد هذا في كتاب ولا سنة، ونحن مسلمون"[2].

1ث- تجاوزات من هم دون الولاة من العرب في حق البربر

نجد كذلك من الانحرافات الشنيعة والتجاوزات الصارخة جدا: ذلك العدد الضخم والهائل من الأغنام التي كانت تذبح، وقد تستمر عملية الذبح في الغالب مما يجعلها تستغرق أرقاما أكثر وأضخم تضيع وتبذر.

لا لشيء إلا لأن وجدان الضالة عبر ذلك والحصول على المطلوب: المتمثل في الفراء الأبيض كما ينعته كل من الطبري وابن الأثير، والجلود العسلية كما يسميها ابن خلدون والمؤلف المجهول صاحب „كتاب أخبار مجموعة..."، إعتبرت يومها من الأمور القليلة والنادرة جدا.

ضف إلى ذلك، الطلب المتزايد عليها من خليفة المسلمين وأعوانه المقربين المتنفذين الذين لهم تأثير عليه ودور أكبر في صناعة وإصدار القرارات والتوجيهات الخليفية.

يصور لنا صاحب كتاب „تاريخ الأمم والملوك" هذا الفعل الشنيع والتصرف الجائر على لسان ميسرة عقب وفادته على الأبرش السابقة الذكر بأدق العبارات دلالة وأوضحها جلاء، موجها إليه الكلام ومتشكيا عنده من ممثلي الخليفة:

بدءا من الوالي ومن دونهكالعمال وقادة الجند...في المغرب وإفريقية بقوله أنهم كانوا قد: "عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها[3] على[4] السخال[1]: يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاةفي جلد"[2].

---

[1] من السوم بمعنى أولونا، وغالبا ما يستعمل هذا اللفظ في العذاب والشر والظلم. إبن منظور، المصدر نفسه، 3/ 372.

[2] الطبري، المصدر نفسه، ص: 726. إبن الأثير، المصدر نفسه، 373. وما هذا إلا انتهاكا واحدا من بين انتهاكات كثيرة فلتنظر عند: إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 373. الطبري، المصدر نفسه، ص: 726.

[3] بمعنى شق بطن الماشية عن ولدها. إبن منظور، المصدر نفسه، 1/ 233.

[4] "عن" هو الحرف الصحيح، لأن به يستقيم المعنى. المصدر نفسه، 1/ 233. وبه جاءت رواية إبن الأثير. إبن الأثير المصدر نفسه، ص: 273.

[1] سخال بالكسر، وسخل على وزن فلس، وهو جمع مفرده سخلة بكسر أوله وتسكين ثانيه. ومعناها: ولد الضأن والماعز ساعة وضعه ذكرا كان أم أنثى. الرازي، المصدر نفسه، ص: 122.

فهذا من غير شك فساد كبير، وعبث شنيع وتبذير لأموال البربر ومنافعهم وصرفها في غير حق ومن دون وجه مصلحة يقرها عقل أوشرع سماوي كان أم وضعي، لأنه يلحق الضرر والمفاسد بأصحابها: بتخفيض مروع لعدد مواشيهم وتضاؤل فضيعلرؤوسها.

مما يجعل ذلك ينعكس سلبا على مداخيلهم ومعاشهم وتبادلاتهم التجارية فيما بينهم خصوصا إذا اعتبرنا بأن التربية الحيوانية منها الماشية وغيرها...عدت يومها مصدرا رئيسا لاقتصادهم[2]، ما دام نمط الحياة المعيشية عندهم لم يخرج عن نظامين: نظام الترحال سواء كان مؤقتا أو دائما، ونظام الاستقرار[3].

وهكذا تولى كبر هذا الفعل الجائر وقام بتنفيذهأولئك القادة والأمراء من العرب، كما أنهم لم يقتصروا على ارتكاب مثل هذا التجاوز والاعتداء، بل تعدوه وتجاوزوه إلى فعلين آخرين شائنين لا يقلان بشاعة وجورا عن السلوك السابق الذكر.

الفعل الأول: المتمثل في حرمان طرف جند البربر المسلمين منحقوقهم وحصصهم الشرعية في الأنفال[4]، وجعلها حكرا على طرف جند العرب[5]، رغم أن الطرفين مسلمان ومشتركان جميعا في كسب مثل هذه الأنفال بعد الانتصار في المعارك والتفوق على خصوم الملة، وهذا من غير شك مخالف لما ينصعليه الحكم الشرعي في الإسلام فيما يخص هذه المسألة أو التصرف.

الفعل الثاني: الذي يكمن في عدم توخي العدل بين الطرفين والتمييز بينهما في مجال مواجهة الصعاب واقتحام المخاطر خلال المعارك والغزوات،والتي من الناذر أن تكتب

---

[1] الطبري، المصدر نفسه، ص: 726. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 273. إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 120. مؤلف مجهول، كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1989، ص: 111.

[2] إبن خلدون، المصدر نفسه، 90/6.

[3] Bel Ochi, Mohamed Sadok, la conversion des berbères à l'islam,maison tunisienne de l'édition, 1981, p : 36.

[4] جمع ومفرده نفل بالتحريك، معناه في اللغة: الزيادة، وفي الشرع: هو مرادف للغنيمة التي مفادها ما زاد على الفرائض والواجبات. فلقد جاء في التنزيل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ...﴾ الآية 1 من سورة الأنفال. القرطبي، المصدر نفسه 1/ 1356. الجرجاني علي بن محمد، كتاب التعريفات، حققه وعلق عليه: نصر الدين تونسي، شركة القدس للتصدير القاهرة، ط 1، 2007 م، ص: 388.

[5] الطبري، المصدر نفسه، ص: 726. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 373.

النجاة لكل من يتصدر صفوفها الأولى، إذ أنها تعتبر هي بالذات المواقع القتالية التي كان يدفع إليها جنود الطرف البربري قسرا وحصرا للتموضع بها.

هكذا صار هؤلاء من البربر يقحمون في مواقعها الأولى إقحاما، ويرغمون على التقدم إليها خصوصا عند محاصرة المدن، وفي المقابل كان يطلب من أفرادالجند العرب بأن يتأخروا إلى الصفوف الخلفية والأخيرة فيما يخصهذه المعارك[1]حرصا وحفاظا على حياتهم، عكس عساكر الطرف البربري ليس إلا.

1ج- الصراع القبلي العربي – العربي

لم يقتصر ظلم بعض هؤلاء العرب على غيرهم ممن يفترقون عنهم في الجنس كما هو شأن البربر هنا، بل تعدوه إلى ظلم بعضهم بعضا والتجاوز حتى في حق بني قومهم والصراع فيما بينهم.

تعتبر ظاهرة الصراع القبلي العربي – العربي قديمة قدم الجاهلية فترة ما قبل الإسلام[2] لكن بمبعث محمد بن عبد الله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) معلم الانتقال إلى الفترة الإسلامية ومجيئه بالدين الجديد، فإننا نجده (صلى الله عليه وسلم) لا ينفك يشجب مثل هذه الظاهرة.

فينهى عنها نهيا قاطعا وصريحا، مع أمره (صلى الله عليه وسلم) دوما لعماله في كل المناطق بالتصدي لكل من يدعو إلى عشيرة أو قبيلة بقتله عقوبة له على عمله الشنيع هذا.

وعلى أن تكون دعوتهم بين الناس إلى شيء واحد فقط لا ثاني له هو "الله عز وجل وحده لا شريك له، فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطف بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له"[3].

إن لم يقض هذا الدين الجديد نهائيا على الجانب السلبي لهذه الروح العصبية القبلية عند العرب في بداية دولة الإسلام وصدره الأول فيجتث جذوره إلا أنه خفض وأنقص كثيرا من وقعه ومفعوله على الأحداث.

---

[1]الطبري، المصدر نفسه، ص: 726. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 373.

[2]للوقوف على ذلك الصراع العربي - العربي في العهد الجاهلي السابق على الإسلام بشكل مستفيض ومفصل، ينظر إلى: الجابري، العقل السياسي...ص: 79 - 92.

[3]إبن هشام، المصدر نفسه، 2/ 595.

عكس ما كان عليه خلال الماضي الجاهلي، كما أخبر به الفيلسوف المغربي محمد عابد الجابري الأحسن والأفضل من وقف علىالظاهرة دراسة وتحليلا من خلال مشروعه المعتبر حول العقل العربي[1]، فاستحق من أجل ذلك أن نرجع إليه.

ومن أدلة وجود هذه الروح العصبية السلبية يومها، وإن بصورة خافتة وباهتة ليس لها تأثير يذكر، هو ما حدث بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) من تمسك الصحابي سعد بن عبادة[2] (رضي الله عنه) برأيه أنه هو الخليفة للمسلمين بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم) دون غيره من الصحابة الآخرين (رضي الله عنهم)، وتشبته بذلك حتى الوفاة[3].

لم يكن تمسك هذا الصحابي بمنصب الخلافة إلا بدافع هذه الروح العصبية القبلية: ما دام أنه كبير قومه الأنصار وزعيمهم الأعلى، وأن المدينة المنورة مدينتهم، وبحكم استحكام هذا العرف الجاهلي المهيمن على الذهنية المجتمعية والمعتبر في المسألة، هذا من جهة.

هذا إن استخدمنا عقولنا وحكمنا الواقع الفكري السائد أو السوسيو- ثقافي كما يعبر عنه في الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية؛وجعلناه معيارا للمسألة ثم أخيرا إحساننا الظن بالصحابي سعد (رضي الله عنه) في قراءتنا لهذا الحدث المتعلقبه من جهة أخرى لا كما قرأه من قرأه بأنه نابع عن حبه للرياسة وطلبه لها[4].

كما أن الدافع عينه هو من حرك أبا سفيان[5] (رضي الله عنه) بالمناسبة ذاتها (أي مناسبة البيعة لأبي بكر رضي الله عنه بالخلافة)،من أجل أن تسند وظيفة الخلافة كذلك لواحد من قبائل عبد مناف[1].

---

[1]تشهد له بذلك كتب ومؤلفات عدة أنجزها في هذا الإطار، منها - فضلا عن المذكورة-: بنية العقل العربي؛ العقل الأخلاقي العربي؛ التراث والحداثة؛ نحن والتراث؛ فكر إبن خلدون العصبية والدولة...

[2]سيد الخزرج وكبير الأنصار، شهد أحدا ومشاهد أخرى، هاجر إلى الشام وتوفي ببصرى منها سنة 15 هـ/ 636 م. الذهبي، تاريخ الإسلام...عهد الخلفاء الراشدين، حوادث ووفيات (11 – 40 هـ)، ص: 146، 147، 149.

[3]إبن سعد، المصدر نفسه، 3/ 463.

[4]مثل: إبن تيمية...منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض ط 06/ 02/ 1424 هـ، 4/ 570، 572.

[5]هو صخر بن حرب بن أمية، الأموي القريشي، ووالد معاوية (رضي الله عنهما). البخاري، المصدر نفسه، 4/ 310.

[1]بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر (قريش) بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الذي ينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام)، كما أن كل واحد منهم فيه البيت بمعنى الشرف، والعدد بمعنى الكثرة، ومن بين أولاد عبد مناف: هاشم الذي ينتسب إليه علي والعباس (رضي الله عنهما) وعبد شمس الذي ينتسب إليه أبو سفيان (رضي الله عنه)، وفي هاشم وعبد شمس البيت والعدد. إبن حزم جمهرة...1/ 9 - 15، 37، 74، 78، 111.

وجعله يحرص بشدة كبيرين منها هما علي والعباس (رضي الله عنهما) لأنّ "...فيه بقايا من جاهلية العرب، يكره أن يتولى على الناس رجل من غير قبيلته، وأحب أن تكون الولاية في بني عبد مناف"[1].

كل هذا لا لشيء إلا بغية الوقوف في طريقاستخلاف أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والحيلولة دون وصوله إليه، ولو اقتضى خوض الحروب إن صح قوله (رضي الله عنه) الذي انفرد بإيراده ابن الأثير: "إني لأرى عجاجا[2] لم يطفئها إلا دم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلان: علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟ ثم قال لعلي: أبسط يدك أبايعك، فوالله لئن شئت لأملأن عليه خيلا ورجلا[3]، فأبى علي عليه السلام..."[4].

هكذا إذن عاد الصراع العربي – العربي من جديد، وإن ارتفعتوتيرته أكبر من ذي قبل بالعالم الإسلامي في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي: الإطار التاريخي لجزء مبحثنا هذا خاصة بين الكلبية[5] أو اليمنية وبين القيسية أو القحطانية[6]،ليطفو على الساحة السياسية المشرقية[7].

ويصير الحدث والمحرك البارزوصاحب الأثر الأكبر في مسيرة تاريخ الأمة عهدها، ثم لينتقل بعدها إلى الساحة السياسية المغربية، بحكم الوحدة السياسية التي جمعتهما يومها ضمن الخلافةالإسلامية الواحدة وفي ظل حكم الخليفة الواحد.

حيث جسّد هذا الصراع القبلي ذاته بإفريقية والمغرب بشر بن صفوانالكلبي[1]، حين

---

[1]إبن تيمية، المصدر نفسه، 3/ 617.

[2]هي أخص من الدخان. إبن منظور، المصدر نفسه، 4/ 261.

[3]مفتوح أوله مسكن ثانيه، وهو جمع مفرده راجل مكسور ثالثه: معناه ضد الفارس. الرازي، المصدر نفسه، ص: 99.

[4]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 77. إذ الأمثلة والنماذج فيما يخص هذه المسألة كثيرة، فلتنظر عند: اليعقوبي، المصدر نفسه، 2/ 124. الجاحظ، العثمانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1955، ص: 167.

[5]هم بنو كلب بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة. إبن حزم، المصدر نفسه، 1/ 182.

[6]نسبة إلى قحطان أحد الأصول الثلاثة – فضلا عن ثانيها عدنان وثالثها قضاعة – للعرب جملة في الشجرة النسبية، وإن كان لا يصح ما بعد قحطان من النسب، المصدر السابق، 1/ 6 - 7، 2/ 329، 462 - 463.

[7]المرجع السابق، ص: 146، 152، 154 - 164. الجابري، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، أذار/ مارس 2001، ص: 70، 152.

[1]ولي إفريقية والمغرب (103 هـ/ 721 م – 109 هـ/ 729 م). إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 359، 360، 361. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 66. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 49. 2/ 27. النويري، المصدر نفسه ص: 212.

أفرطفي تعصبه القبلي فأخضع منصب وخطة توليةعمال وأمراء المناطق لمعيار الانتماء القبلي: فأقام على الأندلس كلبيا مثله هو عنبسة بن سحيم[1] أميرا عليها بعد عزله للقيسي الحر بن عبد الرحمان[32].

وكأن هذا التعيين عنده ليس مرهونا بالجدارة في العمل وحسن التسيير والخدمة الفعلية الإيجابية المتواصلة لمن هم تحت مسؤوليته من الرعية، بل وهو مرهون بالانتماء القبلي ليس إلا.

حتى وهو أمام خطة أعلى من السابقة وأرفع منها، فإننا نجده لا يشذ عن هذا المعيار قيد شعرة، فيستخلف وهو في وضع حرج جدا حيث مرض الموت ملم به: أين يتيقن المرء رحيله عن الدنيا وإقباله على الآخرة للوقوف بين يدي الله تعالى، شخصية كلبية مرة أخرى وهي العباس بن ناصعة[4] ليقوم مقامه فيمنصبه كوال على إفريقية والمغرب[5].

هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى وقع وأثر العصبيةالقبلية على هذا الوالي وأمثاله الذين سنتعرض لبعض منهم لاحقا.

سيستمر هذا الصراع القبلي العربي – العربي وبالتحديد القيسي – الكلبيويتكرر لكن ستكون الدائرة فيه هذه المرة على الكلبيين من قبل القيسيين: حين أتيحت لهم الفرصة ووجدوا الظرف ملائما وسانحالهم.

بمجرد أن ولي عبيدة بن عبد الرحمان[1] وهو قيسي على إفريقية والمغرب ووطئتقدماه أرضهما، كان أول عمل باشره وقام به هو إزاحة وإبعاد كل من اضطلعبمسؤولية

---

[1]كان متوليا عليها من قبل الوالي يزيد بن أبي مسلم، بمجيء بشر بن صفوان واليا بعده أقره عليها حتى سنة 107 هـ/ 725 م تاريخ وفاته. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 360. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 49. 2/ 27. النويري المصدر نفسه، ص: 212. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 288.

[2]هو الحسن بدل الحر عند الرقيق فقط. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 66.

[3]المصدر السابق، ص: 66. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 359، 360، 361. إبن عذاري المصدر نفسه 1/ 49. 2/ 27. النويري، المصدر نفسه، ص: 212.

[4]يسميه ابن عبد الحكم: نغاش بن قرط. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 361. ويسميه ابن عذاري: ابن باضعة بدل ناصعة. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 49.

[5]المصدر السابق، 1/ 49. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 361. الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 66.

[1]شغل منصب والي إفريقية والمغرب خلال (110 هـ/ 728 م – 114 هـ/ 792 م). المصدر السابق، ص: 68، 70. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 709، 710. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 50، 51. النويري، المصدر نفسه ص: 213. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 361، 362.

أوكانت له وظيفة في تسيير وإدارة شؤون ومؤسسات الولاية من عمال الوالي السابق بشـربن صفوان، بلا ذنب لهم في ذلك إلا لأنهم كلبيون.

وهكذا كان لابد إذن من الانتقام منهم: بحرمانهم من تلك المسؤوليات التي كلفوا بها جزاء وفاقا لما كانوا قد قاموا به هم تجاه من سبقهم في هذه الوظائف من القيسيين، فما كان من عبيدة هذا حسب ما جاءت به الرواية التي أخبر بها ثلاثة مؤرخين كبار إلا أن "...حبسهم، وأغرمهم، وتحامل عليهم، وعذب بعضهم..."[1].

حتى أنه بلغ من شدة الضر الذي مس أفرادا من علية القوم الكلبيينوعظمالأذى الذي لحق بهم،بأن دفعا أبا الخطار بن ضرار[2]الذي كان واحدا منهم ليقولويرتجل أبياتا شعرية من البحر الطويل: كلها وصف دقيق رائع لتلك المأساة، وتصوير حسن صادق لهذه المصائب التي نزلت بهم، حيث كان سببها الرئيس الوالي عبيدة بن عبد الرحمان هذا.

مذكرا فيها آل مروان[3] (كبراء الدولة الأموية) بالتضحيات الجسام التي بذلها هو وقومه لدولتهم في ظرف عصيب جدا ومصيري كانت قد مرت به،حيث ما كان لها أن تستمر وتبقى لولاهم، هذا من جهة.

ثم أنهم على استعداد تام لبذل مثل هذه الخدمات بل وأكثر منها ما داموا أقوياء، وهم فعلا كذلك من جهة ثانية، فضلا عن أنهمن غير الممكن لاحقا استغناء الدولة عنهم من جهة أخرى ثالثة؛ ومترجما كل ذلك من خلال تعبير فصيح قوي ينمّ عن صدق وواقعيةفي أبيات شعرية من البحر الطويل بقوله:

أَفَادَتْ بَنُو مَرْوَانَ قَيْسًا دِمَاءَنَا * * *وَفِي اللهِ إِنْ لَمْ يَعْدِلُوا حَكَمٌ عَدْلُ[1]

كأَنَّكُمْ لَمْ تَشْهدُوا مَرْجَ رَاهِطٍ[2]* * *وَلَمْ تَعْلَمُوا مَنْ كانَ ثَمَّ لَهُ الفَضْلُ[3]

---

[1]الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 69. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 50. النويري، المصدر نفسه، ص: 212.

[2]قائد عسكري وصاحب قريحة شعرية، ولي الأندلس بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك فكان الرابع عشر واليا تولاها. إبن الأبار، المصدر نفسه، 1/ 64، 65.

[3]نسبة إلى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف...ومروان هذا هو جد خلفاء الدولة الأموية كلهم بدءا من ابنه الخليفة عبد الملك حتى سقوطها. إبن حزم، المصدر نفسه، 1/ 9، 12، 13، 14، 87. إبن قتيبة، الإمامة...2/ 3، 120.

[1] الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 69. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 177. الضبي، المصدر نفسه، ص: 238. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 736. النويري، المصدر نفسه، ص: 213.

وَقَيْنَاكُمْ حَرَّ[3] القَنَا[4] بِصُدُورِنَا* * * *وَلَيْسَ لَكُمْ خَيْلٌ سِوَانَا وَلاَ رَجْلُ[5]

فَلَمَّا بَلَغْتُمْ نَيْلَ مَا قَدْ أَرَدْتُمْ* * * *وَطَابَ لَكُمْ فِيهَا المَشَارِبُ وَالأَكْلُ[6]

تَغَافَلْتُمْ عَنَّا كَأَنْ لَمْ نَكُنْ لَكُمْ* * * *صَدِيقًا وَأَنْتُمْ مَا عَلِمْتُمْ لَنَا وَصْلُ[7]

فَلاَ تَأْمَنُوا إِنْ دَارَت الحَرْبُ دَوْرَةً* * * *وَزَلَّتْ عَن المِرْقَاةِ[8] بِالقَدَمِ النَّعْلُ[9]

فَيَنْتَقِضَ الحَبْلُ الذِي قَدْ فَتَلْتُمْ* * * *أَلاَ رُبَّمَا يُلْوَى فَيَنْتَقِضَ الحَبْلُ[10]

إن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وبعد اعترافه بقوة هذه القبيلة وإمكاناتها القتالية العالية، ثمالقراءة الصحيحة منه للظروف الواقعية الآنية والمستقبلية المواجهة لدولته من:

ضعف أكثر مما مضى اعتراها، وغضب واحتقان واسع متزايد لبربر المنطقة عليها، وتحركات نشطة باستمرار للخصوم من صفرية وإباضية بمنطقة المغرب الإسلامي والهادفين إلى تقويض دولته بدءا من الأطراف ولم لا الحلول محلها.

كل ذلك حذى بالخليفة لإعادة الإعتبار لهذه القبيلة والتحالف معها من جديد لأنه لا خيار له يومها بديلا عنها في ظل الملابسات والظروف المذكورة المستجدة.

لقد كان من علامات وأمارات التقارب الأموي – الكلبي عهد كل منالخليفة الأموي هشام والقائد الشاعر الكلبي أبي الخطار تحرك الخليفة وعلى جناح السرعة بغية إزالة هذا الأذى النفسي والكرب المعنوي عن القبيلة بمجردترامي صدى هذه الأبيات الشعرية

---

[1]مفرد بفتح ثم سكون ويجمع على مروج، موقع بنواحي دمشق، والمرج هي الأرض الواسعة التي فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب (أي تذهب وتجيء)، بها التقى جيش مروان بجيش عبد الله بن الزبير سنة 65 هـ/ 684 م وانتهى هذا اللقاء بهزيمة هذا الأخير. الحموي، المصدر نفسه، 5/ 100، 101. الحميري، المصدر نفسه، ص: 536، 537.

[2]إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 31. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 50. النويري، المصدر نفسه، ص: 213. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 178. الضبي، المصدر نفسه، ص: 238. إبن الأبار، المصدر نفسه، 2/ 64.

[3]بمعنى الشدة. إبن منظور، المصدر نفسه، 2/ 56.

[4]جمع قناة وتجمع على قنوات، وهي الرمح. الرازي، المصدر نفسه، ص: 231.

[5]القيرواني، المصدر نفسه، ص: 70. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 178. الضبي، المصدر نفسه، ص: 238. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 736. إبن الأبار، المصدر نفسه، 1 /64. النويري المصدر نفسه، ص: 213.

[6]المصدر السابق، ص: 213. القيرواني، المصدر نفسه، ص: 70. إبن الأبار، المصدر نفسه، 1/ 64.

[7]إبن القوطية، المصدر السابق، ص: 31. القيرواني، المصدر نفسه، ص: 70. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 178. الضبي، المصدر نفسه، ص: 238. النويري، المصدر نفسه، ص: 213.

[8]بالفتح والكسر، بمعنى الدرجة. الرازي، المصدر نفسه، ص: 107.

[9]إبن القوطية، المصدر نفسه، ص: 31. الحميدي، المصدر نفسه، ص: 178. الضبي، المصدر نفسه، ص: 238. إبن الأبار، المصدر نفسه، 1/ 64.

[10]المصدر السابق، 1 /64.

القويةوطرقها مسمع أذنيه، فكان أنعزل من تسبب في نكبتها تلك الوالي عبيدة بن عبد الرحمان[1].

لا شك أن هذا الصراع القبلي العربي – العربي قد أطمع البربر خصوم هؤلاء القادة العرب أصحاب التجاوزات والمظالم فيهم، وشجعهم أكثر على العمل من أجل الإطاحة بهم والاستفراد بالحكم دونهم، ما دام أن ذلك صار ممكنا وأقرب إلى التحقق.

2- العوامل الرئيسة لتواجد المذهبين العقديين الإباضي والصفري بالمغرب الإسلامي والمتعلقة بالبربر

2أ- النزعة الاستقلالية لدى البربر

مسألة نزوع هؤلاء البربر نحو الاستقلال عن الغير بدرجة ووتيرة أكبر نادرا ما نجد له مثيلا عند الشعوب والقبائل الأخرى.

إن قضية الحرية هي جوهر هذه النزعة عند البربر: حيث تعتبر من أغلى وأنفس ما تعتز به قبائلهم في وجودها وحياتها، وإن كانت كل الشعوب وقبائل العالم بلا استثناء لها نفس هذا الانطباع فيما يخص هذه القضية، إلا أن الملاحظ والملفت أنها عند البربر خصوصا هي بأعلى وتيرة وأقوى درجة كما ذكرنا.

وبهذا كله نقف على المكانة الكبرى والأهمية القصوى التي تحتلها الحرية عند البربر: إذ هي ممارسة حياتية يومية وسجية طبعت من غير شك كل جزئيات ثقافتهم،فما تأتت لهم إلا بسبب طبيعة حياتهم ونمط عيشهم القائم على أسلوب الترحال بنوعيه:

النوع الأول: المتمثل في الرحلة والظعن المؤقت، حيث رعي الماشيةوالبقر لأجل التكسب والعيش، والخيل للركوب أصلا[1].

النوع الثاني: وهو الترحال والظعن الدائم الذي يقوم على رعي الإبل للعيش أصلا فضلا عن الاعتداء بواسطة الغزو وقطع الطرق[2].

---

[1]الرقيق القيرواني، المصدر نفسه، ص: 70. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 51. النويري، المصدر نفسه، ص: 212. والنماذج كثيرة عن هذا الصراع القبلي بين طرفيه الرئيسين المذكورين، والذي وظفته الدولة الأموية لصالحها، فلتنظر عند: مؤنس، فجر الأندلس، دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711 – 756 م)، الدار السعودية، جدة، ط 2، 1405 هـ/ 1985 م، ص: 142 - 145. محمود إسماعيل المرجع نفسه، ص: 31، 33.

[1]إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 90.

وإن كانت قبائل البربر في الغالب قد استندت إلى "...نمط معين من الحياة، أكسبها خصائص ومميزات معينة تبدو في طباع أفرادها وأخلاقهم ومختلف سلوكهم الإجتماعي"[2] والقائم أساسا على الظعن والترحال.

لا شك أن هذا الظعن والترحال اقتضاه وحتمه ذلك العامل الطبيعي الوحيد الحاسم يومها فيما يخص هذه الرقعة الجغرافية الشاسعة من أرض المغرب الإسلامي المتمثل في جفافها الدائم غالبا والمصحوب بندرة تساقط المطر طوال السنة، فضلا عن انعدام المجاري المائية بالكاد، وقلة الأراضي المزروعة مقارنة بسعة الأراضي وكثرة المرتفعات[3].

من هنا نجد بأن هذا الظرف الطبيعي من: تضاريس أحادية النوع حيث غلبة الصحراء، ومناخ قاس بسيادة الحرارة وندرة التساقط، زد على ذلك الأوضاع: الاجتماعية والمعيشية والثقافية والنفسية...

كل هذا إذن قد استدعى من البربر دوما عدم الارتباط والخضوع لأية سلطة أجنبية دخيلة عليهم: فهم وإن وقعوا تحت قبضة سلطة ما، فهو بالنسبة لهم وضع مؤقت وعارض لأن مسألة الخضوع تلك مسألة وقت ليس إلا، ولا بد عليهم أن يزيلوا هذا الخضوع ويتحرروا منه عاجلا أم آجلا.

هكذا نستنتج بأن النزعة الاستقلالية عند البربر وجدت مع وجودهم بهذه المنطقة المتميزة تضاريسيا ومناخيا، وأن مظاهر وصور هذه النزعة كثيرة ومتنوعة، يرصدها كل من طالع تاريخ قبائلهم تلك.

يذكر لنا الباحث المغربي عبد الله العروي بعضا منها خلال الفترتين التاريخيتين القديمة والوسيطية للمغرب، حين يسجل بأنه "منذ بداية القرن الخامس [الميلادي]، وربما من قبل كان القسم الأكبر من المغاربة قد قطع الصلة بأية سلطة سياسية، والحروب التي

---

[1] المصدر السابق، 6/ 90.

[2] الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط 6، نيسان/ أبريل 1994، ص: 147.

[3] ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1987، ص: 39، 40.

ستدور طوال خمسين سنة ليست في الحقيقة سوى تتمة لحروب القرنين الخامس والسادس [الميلاديين] التي استهدفت كل حكم مركزي نظامي غير بربري"[1].

كما نذكر نحن منها: تسمي ميسرة المطغري بالخلافة مدة ليست بالقصيرة بعد الإعلان عن نفسه إماما للمسلمين[2]، فضلا عن تأسيس هؤلاء البربرلكيانات سياسية مستقلة استقلالا كاملا في إطار إمارات صغيرة: كشأن البرغواطيين.

وكذا المدراريين[3]: في زمن متقدم جدا من العصر الوسيط الإسلاميمن غير أن ننسى كيانين سياسيين كبيرين هما دولتا كل من المرابطين[4] والموحدين[5]، ودويلات ثلاث تأخر وجودها فيما يخص هذا العصر تمثلت في: المرينيين[6] والحفصيين[7] والزيانيين[8].

2ب- حسن الدعاية الصفرية والإباضية

ما كان للعوامل الداخلية السابقة المذكورة: سواء تلك المتعلقة بالعرب أو المتعلقة بالبربر أن تعمل عملها لوحدها وتؤدي إلى نتائجها، لولا تواجد العامل الخارجي الذي لا تقلل أهميته وتأثيره، أو يهون دوره وينكر تفاعله بإيجابية معها.

إذ يتمثل هذا العمل الخارجي في الدعاية الإباضية والصفرية الحسنةوالمنظمة تنظيما محكما على أرض المغرب الإسلامي: حيث أداها رسلهما ودعاتهما على أتم الوجوه علما: بالتحكم في المذهبين أصولا وفروعا، وعملا بامتثالها وتجسيدها على أنفسهم أولا.

ثم التعامل بهما مع الغير بدعوتهم إليهما، وإن كان محتوى المبحث السابق الوارد بعنوان „إنتقال المذهبين العقديين الإباضي والصفري من المشرق إلى المغرب الإسلاميين„والذي له علاقة بهذا العامل قد وضح هذه النقطة أكثر.

---

[1] عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 2، 2000، 142/1، 143.
[2] المصدر السابق، 6/ 112. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 364. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 54.
[3] الذين حكموا سجلماسة بالمغرب الأقصى طيلة (140 هـ/ 757 م – 366 هـ/ 976 م)، قضى عليها أحد ملوك مغراوة خزرون بن فلفول ، المصدر السابق، 6/ 132 - 135.
[4] حكموا جزءا من المغرب الأوسط والأقصى والأندلس مدة (454 هـ/ 1062 م – 539 هـ/ 1144 م). السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الوسيط: دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1981 2/ 702، 703،783.
[5] تولوا حكم المغرب الإسلامي كله طيلة (539 هـ/ 1144 م –646 هـ/ 1248 م)، المرجع السابق، 2/ 783، 831.
[6] حكموا المغرب الأقصى خلال (657 هـ/ 1258 م – 869 هـ/ 1465 م). محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط 2، 1408 هـ/ 1987 م، ص: 27، 187.
[7] تولوا حكم إفريقية (المغرب الأدنى) مدة (625 هـ/ 1227 م – 893 هـ/ 1487 م). المرجع السابق، ص: 384، 385.
[8] حكموا المغرب الأوسط طيلة (633 هـ/ 1235 م – 866 هـ/ 1461 م). المرجع السابق، ص: 386، 387.

الفصل الثامن

العقائد الكبرى للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي

1-العقائد الكبرى المتعلقة بالذات الإلاهية للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي

1أ- موقع "النقل" من المعرفة

1ب- مسألة الذات والأسماء والصفات الإلاهية

1ت- القرآن كلام الله (تعالى) المخلوق

1ث- رؤية الله (عز وجل) المنتفاة

2-العقائد الكبرى المتعلقة بالأسماء والأحكام الشرعية والصحابة (رضي الله عنهم) والإمامة للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي

2أ- الإيمان ومتعلقاته

2ب- الكفر ومتعلقاته

2ت- الصحابة (رضي الله عنهم)

2ث- الإمامة أو الحكم

1- العقائد الكبرى المتعلقة بالذات الإلهية للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي

بما أن المذهب العقدي الإباضي له أصول وعقائد يقوم عليها وينفرد بها عن غيره من المذاهب العقدية الأخرى، فإنه لابد علينا من الوقوف عليها ولو بشيء قليلمنالتفصيل، مادام ذلك يعتبر من محتويات هذا البحث، والتي لا تكتمل صورته إلا بها؛ وإن ارتأينا قبل الخوض فيها أن نمهد بالحديث عن „النقل„: بحيث أنه مبحث مهم جدا نظرا لتعلقه بهذه العقائد، وصاحب دور رئيس في تقريرها بالنسبة للمذهبين مجالي هذه الدراسة.

1أ- موقع „النقل„ من المعرفة

إن النقل أو التوقيف -لا العقل- بتعبير أهل الشريعة هو الوسيلة أو الطريق الأوحد لمعرفة التوحيد عند الإباضية، فضلا عن الفقه بل الشرع والدين كله وهو ما يقول به أصحاب المذهب العقدي السني، عكس ما يعتقده أصحاب المذهبين العقديين الواصلي أو المعتزلي والشيعي الإسماعيلي.

حيث قرر ذلك صراحة الإمام السالمي أحد أعلام الإباضية الكبار المتأخرين حين قال: "وذهب الجمهور منا إلى أن العقل لا حكم له في شيء من الوجوب الشرعي، والمراد بالوجوب الشرعي عندنا هو ما يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا وجوب عندنا قبل الشرع في شيء من الأصوليات والفرعيات، لا فرق في ذلك بين التوحيد وغيره..."[1]، وإن سبقه الوارجلاني أحد متقدميهم المتوفى سنة 570 هـ/ 1174 م إلى بيان هذا الحكم[2].

1ب- مسألة الذات والأسماء والصفات الإلاهية

تعتبر هذه المسألة أكبر وأعظم هذه العقائد على الإطلاق بحكم تعلقها بالله جل وعلا والمستحقة بأن نصدر بها جوهر موضوع هذا الفصل.

فنظرا لتفاوت واختلاف التأثر بالموروث الثقافي القديم: سواء كان يونانيا أم هنديا أم يهوديا أم فارسيا أم مسيحيا، تميزت به بيئات جغرافية فتحها المسلمون إفترقت المذاهب العقدية الإسلامية في نظرتها إلى الذات الإلهية، ثم إلى الأسماء والصفات والعلاقةبينهما

---

[1] السالمي أبو محمد عبد الله بن حميد، مشارق أنوار العقول، مطبعة العقيدة، مسقط، ط 2، 1978، ص: 42.

[2] الوارجلاني أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب، الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، تحقيق: عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1398 هـ/ 1978 م، 2/ 139.

وغير ذلك من القضايا والمسائل العقدية الكلامية الأخرى...

وإن كان المذهب العقدي الإباضي قد استقر على أن أسماء وصفات الله تعالى توقيفية أصلا: بمعنى أنه لا يجوز تسمية ووصف الله تعالى إلا بما سمى ووصف به نفسه ورسوله[1] (صلى الله عليه وسلم).

فالإسم والصفة في حقه (جل وعلا) عند الإباضيين بمعنى واحد[2]، بهذا نجدهم يتميزون تماما في هذه المسألة: فيخالفون أهل السنة والمعتزلة والشيعة الإسماعيلية[3].

كما يذهبون إلي الاعتقاد بأن أسماءه وصفاته تعالى ليست غير ذاته بل هي عينها[4] بالتالي فهي ليست زائدة عليها ولا قائمة بها ولا حالة فيها[5]، موافقين في ذلك نفس قولي كل من المعتزلة والشيعة الإسماعيلية، وبعكس ما نحا إليه المذهب العقدي السني حين اعتبرها غير ذاته - تعالى- وأنها زائدة عليها كما ذكرنا.

والمراد عندهم باعتبار الصفات هي عين الذات هو كون هذه الأخيرة "كافية في الانكشاف والتخصيص والتأثير والاستلزام"[6]: فحين إثباتهم مثلا لصفة العلم لله تعالى بمعنى ذلك عندهم: أنه عالم بذاته لا بصفة العلم، أي أن ذاته ينكشف لها جميع المعلومات من غير قيام صفة قديمة غير ذاته تقتضي هذا الانكشاف[7].

فبواسطة هذه الدلالة والمعنى تفهم كل الصفات الأخرى جميعها وبلا استثناء، لأن علة تلك النظرة التي حدت بهم إلى اعتبار الصفات عين الذات لا شيئا زائدا عليها، هي تفادي تعدد القدماء والوقوع في الكفر والشرك، مما يقتضي اعتباره - تعالى- محتاجا إلى غيره ما دام مركبا وذو أعراض... هذا ما يتنافى مع وحدانيته عز وجل[8].

---

[1] السالمي...بهجة أنوار العقول، مطبعة الموسوعة بمصر، د. ت، 1/ 85.

[2] الوارجلاني، المصدر نفسه، 1/ 247. السالمي، مشارق...ص: 177. ناصر عبد الكريم العقل الخوارج أو الفرق في تاريخ الإسلام: مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم دار الوطن، الرياض، ط 2، شعبان 1417 هـ، ص: 90.

[3] المرجع السابق، ص: 90.

[4] صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، وزارة التراث القومي والثقافي، مسقط ط 1983، ص: 234، 235. السالمي...المرجع نفسه، ص: 177. أطفيش أمحمد بن يوسف، الذهب الخالص، مطبعة البعث قسنطينة، ط 2، 1400 هـ/ 1980 م، ص: 29.

[5] علي يحي معمر، الإباضية دراسة مركزة...ص: 49.

[6] عدون...المرجع نفسه، ص: 53.

[7] المرجع السابق، ص: 53.

[8] بكير...المرجع نفسه، ص: 47.

من المعروف عن إباضية المغرب الإسلامي أنهم لا يقسمون الصفات الإلهية إلى أقسام، عكس المذاهب العقدية الإسلامية الأخرى، بل يجعلونها جميعا ضمن قسم واحد فقط يطلقون عليه لفظ الصفات الذاتية[1]: المحدودة اصطلاحا بأنها " كل صفة تنفي عن الله- تعالى- ضدها"[2] "كالحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وغيرها..."[3].

وإن كانت الصفات الفعلية المعرفة شرعا من قبلهم: بأنها كل صفة تثبتوضدها في الوجود كإعطائه تعالى ومنعه، إثابته ومعاقبته[4]...التي جعلها غيرهم أحد أقسام الصفات الإلهية، لكن الإباضيين اعتبروها أفعالا لا صفاتا[5].

كما أنهم وبالتحديد المغاربة منهم يعتقدون بأن الصفات الإلهية كلها في حقه تعالى قديمة أزلية: فهو عز وجل موصوف بالخالق قبل وبعد أن يخلق، وبالرازق قبل وبعد أن يرزق وهكذا فيما يخص سائر الصفات الأخرى المتبقية[6]...

إلى أن نأتي على مسألة أخيرة جوهرية في مباحث التوحيد هذا، ألا وهي بعض الصفات المخبرة عن الله-عز وجل- في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة: كالتجلي والنزول والاستواء والدنو والعلو والإتيان والوجه والعين واليمين والساق والصورة والإصبع والجنب والنفس وغيرها....

فإن الإباضيين لم يقبلوها على ظاهرها: شأنهم في ذلك شأن المذهبين العقديين المعتزلي والشيعي الإسماعيلي، مادام قبولها على ظاهرها في نظرهم يؤدي إلى التشبيه والتجسيم بالتالي يلزم تأويلها إلى ما يناسب تنزيه الله تعالى[7] وهكذا أولوا العين بالحفظ والعلم[1]، والجنب بالحق[2]، والمجيء والإتيان والنزول بمجيء أمره ونزول ملائكته ورحمته

---

[1] مصطفى بن ناصر وينتن، آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش العقدية (1238 – 1332 هـ/ 1821 – 1914 م)، نشر جمعية التراث، القرارة الجزائر، جمادى الأولى 1417 هـ/ أكتوبر 1996 م، ص: 120.

[2] الجيطالي أبو طاهر إسماعيل بن موسى، شرح النونية (مخطوط تحت رقم 3/ هـ)، مكتبة القطب ببني يزقن، 1/ 93 ظ.

[3] أطفيش، الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد، طبع قديم، د. م، د. ت، ص: 21. أطفيش، الذهب...ص: 29. أطفيش، شرح الدعائم (شرح بعض منظومات ابن النظر العماني المسماة الدعائم)، طبعة قديمة، 1325هـ،1/ 151، 152.

[4] المصدر السابق، 1/ 93 ظ.

[5] أطفيش، الحجة...ص: 2، 3، 21.

[6] أبو عذبة، حسن بن عبد المحسن، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط 1، 1989، ص: 63، 64.

[7] أطفيش، الذهب....ص: 8.

[1] أطفيش، الحجة....ص: 24.

[2] أطفيش، الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان، د. م، ط 1304 هـ ، ص: 67.

وآياته[1]، وهلم جرى فيما يخص الصفات الخبرية المذكورة أعلاه[2].

1ت- القرآن كلام الله (تعالى) المخلوق

وإن كان هناك مسألتان لهما تعلق وصلة بمبحث التوحيد لابد من طرقهما ولو باختصار حتى نأتي على نهايته: مسألة كون القرآن كلام الله تعالى واعتباره أحد صفاته وإن عدّه الإباضيون مخلوقا وحادثا، وبالأخص إباضيي المغرب[3].

مستندين في هذه القناعة إلى إحدى أقدم وثيقة تاريخية عندهم حوت أدلة نقلية وعقلية- في نظرهم- مستفيضة أصلت إلى ما ذهبوا، ذكرها الإمام الرستمي الرابع أبو اليقظان[4] محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم المتوفى سنة 281 هـ/ 894 م ضمن رسالة جوابية موجهة لمن سأله من أتباعه عن قضية خلق القرآن الكريم حيث احتفظ لنا بها البرادي[5].

1ث- رؤية الله (عز وجل) المنتفاة

فضلا عن مسألة رؤيته جل وعلا يوم القيامة من قبل أهل طاعته، نظرا لارتباطها هي الأخرى بالذات الإلهية: فإنهم ينفونها[6]، لأدلة عقلية وأخرى نقلية[7]يرونها مؤصلة لهذا الحكم، وافقهم في ذلك بنطاق المغرب الاسلامي عهدها منوافقهم من معتزلة وإسماعليين[1]، وإن كان قد خالفهم بإثباتهم للرؤية تلك أهل سنةهذا النطاق[2].

---

[1] أطفيش...الحجة، ص: 26.

[2] للوقوف على معانيها وتأويلاتها، يرجع إلى: مصطفى...المرجع نفسه، ص: 132. صابر نعيمة الإباضية عقيدة ومنهجا، دار الجيل، بيروت، ط 1406 هـ/ 1986 م، ص: 96 - 99. الربيع بن حبيب، المصدر نفسه، 3/ 234 - 235 - 239 - 242. خضير بن بكير بابا واعمر، الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، نشر جمعية التراث، القرارة غرداية، الجزائر، ط 1، 1430 هـ/ 2009 م، ص: 168 - 180.

[3] صابر...المرجع نفسه، ص: 103. السالمي...غاية المراد في نظم الاعتقاد، مكتبة الجيل الواعد مسقط، عمان، ط 7 1433 هـ/ 2012 م، ص: ب، ت. أحمد بن أحمد بن سليمان الخليلي، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السالمي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، عمان، ط 7، 1433 هـ/ 2012 م، ص: 73.

[4] وإن نسبها الباحث الإباضي عدون خطأ إلى أبيه أفلح. عدون...المرجع نفسه، ص: 70.

[5] البرادي أبو القاسم بن إبراهيم، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، د. م، طبعة حجرية، د. ت ص: 182 فصاعدا.

[6] السالمي...المرجع نفسه، ص: 35، 36. مصطفى...المرجع نفسه، ص: 133. عدون...المرجع نفسه، ص: 68. خضير...المرجع نفسه، ص: 181. بكير...المرجع نفسه، ص: 54.

[5] أتى على ذكرها مفصلة: الربيع...المصدر نفسه، 3/ 226 - 233. عدون...المرجع نفسه، ص: 54 - 58. خضير...المرجع نفسه، ص: 183 - 201. مصطفى...المرجع نفسه، ص: 134 - 154. صالح بن أحمد...المرجع نفسه، ص: 36 - 39.

[1] خضير...المرجع نفسه، ص: 181. مصطفى...المرجع نفسه، ص: 133.

[2] المرجع السابق، ص: 133. خضير...المرجع نفسه، ص: 181.

2- العقائد الكبرى المتعلقة بالأسماء والأحكام الشرعية والصحابة (رضي الله عنهم) والإمامة للمذهبين الإباضي والصفري بالمغرب الاسلامي

إن الواقع الاجتماعي بكل مجالاته والصراع السياسي الذي شهده المسلمون في صدر الاسلام فصاعدا، لاشك أنه كان وراء ظهور الفرق الاسلامية واختلافها حول مسائل عدة: منها مسائلنا هذه ومتعلقاتها، والتي تناولها الإباضيون الممثلون لإحدى تلك الفرق بالدراسة والتنظير انتهى بهم إلى تصورات واعتقادات خاصة حول:

2أ- الإيمان ومتعلقاته

إن مدلول الإيمان اصطلاحا عندهم هو: قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح[1]، تمييزا له عمن عرّفوه (من المذاهب العقدية الأخرى) بالتعريف الأحادي الصرف: من قائل بأنه المعرفة، إلى ثان باعتباره التصديق، ثم ثالث بقصره على القول[2].

فأصحاب المذهب العقدي السني كانوا من الموافقين للإباضية في حدهم الاصطلاحي للإيمان هذا[3]، مادام أن أحد أئمتهم الكبار إمام دار الهجرة مالك بن أنس كان ممن قال به[4].

وأن دلالتي مصطلحي الإيمان والإسلام الشرعية قد تأتلفان كما قد تختلفانتبعا لورودهما وسياقاتهما المتعددة في النصوص الدينية[5]، وهو نفس ما قال به وتبناهالمذهب العقدي السني فأورد لأجله أحد أقطابه الكبار التطبيقات المسهبة فيما يخص هذه النقطة[6].

أما فيما يخص زيادة الإيمان ونقصانه، فعلى القول المجمل: هو بالنسبة للمذهب الإباضي يزيد بتأثير الطاعات وينقص بتأثير المعاصي[1]، إذ الحكم نفسه يتبناه أيضا المذهب السني[2]، بالتالي فهما سيان في هذه النقطة من هذا الوجه وإن كانا يفترقان افتراقاكبيرا

---

[1] السالمي...المرجع نفسه، ص: 86. مصطفى...المرجع نفسه، ص: 282. صالح بن أحمد...المرجع نفسه ص: 89، 90.

[2] مصطفى...المرجع نفسه، ص: 275، 276.

[3] المرجع السابق، ص: 282.

[4] إبن تيمية، مجموعة الرسائل الكبرى، مطبعة ومكتبة محمد صبيح، د. ت، 7/ 94، 95.

[5] خضير... المرجع نفسه، ص: 261- 264. مع إيراده أمثلة لهذا الورود والسياقات مقتبسة من علماء إباضيين بارزين.

[6] تنظر في: المصدر السابق، 7/ 337 فصاعدا.

[1] مصطفى...المرجع نفسه، ص:300، 301.

[2] محمد بن صالح...المرجع نفسه، ص: 448.

في تفاصيلها[1].

2ب- الكفر ومتعلقاته

الكافر كفر نعمة أو كفرا دون كفر أو دون الكفر الصريح أو كفر نفاق وكفر شرك... كلها أسماء ونعوتات أطلقها الإباضيون على فاعل أو مرتكب الكبيرة أو المصر على الصغائر[2] من غير توبة[3].

بالتالي فلا وجود عندهم إلا لقسمين من الكفر لا ثالث لهما: قسم كفر النعمة وقسم كفر الشرك المذكوران، وإن كان الذي يهمنا هو القسم الأول الذي اختلفت حوله المذاهب العقدية تلك خصوصا فيما يتعلق بأحكامه الدنوية والأخروية عكس القسم الثاني تماما:

فالمذهب الإباضي يذهب إلى أن الملتبس به تنطبق عليه في الدنيا أحكام المعاملات الظاهرة التي تجري على الموحدين المسلمين من: حرمة ماله ودمه وعرضه إلا بحق شرعي، فضلا عن تمتعه بحقوق المناكحة والموارثة والمدافنة وغيرها[4]...

باستثناء إبطال كل من ولايته وعدالته وشهادته[1]، وأنه ما استحق ذلك وكان أهلا له- في نظر أصحابه- إلا لما التزم بركني الإيمان: من تصديق بالقلب وإقرار أو نطق باللسان مقابل تضييعه العمل بالجوارح[2] الركن الثالث والأخير له.

وهذا ما قالت به على العموم مذاهب الشيعة الإسماعيلية والمعتزلة وأهل السنة[3] بغض النظر عن علة كل مذهب في ذلك، وإن اعتقد المذهب الصفري فيه الكفر الصريح أو الشرك[4] لتجري عليه الأحكام التي تشمل الكفار أو المشركين الأصليين.

---

[1] لمعرفة وجوه الإختلاف التفصيلي بينهما، يرجع إلى: المرجع السابق، ص: 448 - 451. مصطفى...المرجع نفسه ص: 297 - 302.

[2] هي الذنوب التي لم يرتب الشارع الحكيم على فاعلها حدا في الدنيا. السالمي...بهجة...1/ 175. صابر...المرجع نفسه ص: 119، 120.

[3] أطفيش، هميان الزاد إلى دار الميعاد، المطبعة السلطانية، زنجبار، ط 1305 هـ، 1/ 195. الجعبيري فرحات، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث، القرارة، غرداية، ط 1990، 2/ 512. خضير...المرجع نفسه ص: 267. صابر...المرجع نفسه، ص: 119، 120.

[4] تنظر مفصلة عند: الجيطالي، المصدر نفسه، 2/ 60 و،77 و. أطفيش، شرح أصول تيبغورين (مخطوط تحت رقم أ.هـ: 4)، مكتبة القطب، بني يزقن، ص: 274. أطفيش، جامع الوضع والحاشية د. م، ط 1306 هـ، ص: 33.

[1] أطفيش، شرح...ص: 274. أطفيش، جامع...ص: 33.

[2] المرجع السابق، ص: 33. أطفيش، شرح...ص: 274.

[3] بكير...المرجع نفسه، ص: 92، 93.

أما في الحياة الأخرى، فإن له حسب اعتقاد المذهب الإباضي حكما مغايرا إن مات على كبيرة أو أصر على صغيرة من غير توبة عنها: ألا وهو الخلود الأبدي في النار[2] نفس المصير الذي سيلاقيه الكافر أو المشرك الذي لم يستجب للدعوة أصلا، بلا فرق بينهما: إذ العلّة في ذلك - من غير شك - هي إهماله لركن الايمان الثالث والأخير المذكور.

إنه ذات الحكم الذي اعتقدته الصفرية والمعتزلة[3]، قد خالفهم فيه أصحاب المذهب العقدي السني بعد أن عدوا مقترفه من العصاة أو الفساق: حين اعتبروا بأن مصيره في الآخرة "غيبي، فهو متعرض للوعيد إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له، ولا يخلد في النار وإنما يخرج بعد تطهيره"[4].

2ت- الصحابة (رضي الله عنهم)

تعتبر مسألة الصحابة (رضي الله عنهم): وبالتحديد عثمان بن عفان في آخر عمره ثم علي بن أبي طالب في آخر حياته كذلك وصراعه السياسي مع معاوية بن أبي سفيان بمعية الصحابة الآخرين (رضي الله عنهم أجمعين) المعروفين بانخراطهم فيه ومواقفهم المتخذة تجاهه من بين أسباب صراع تلك المذاهب العقدية المدروسة نظرا لتفاوتها تعارضا وتضادا:

لقد كان ابن سلام المتوفى بعد 273 هـ/ 886 م أقدم مؤرخ إباضي كتب عن إباضية المغرب فسجل لنا موقفهم بالعبارة والتصريح- لا بالإشارة والتلميح كما يقال- المتمثل في اعتبار عثمان (رضي الله عنه) ممن ارتكبوا الكبائر ولم يتوبوا عنها إلى أن قتل، حين قال:"ثم ركن [أي عثمان رضي الله عنه] وأخلد إلى الدنيا، وأحدث أحداثا[1] فاستتابوه

---

[1] أطفيش، شرح عقيدة التوحيد، د. م، ط 1326 هـ ، ص: 388. أطفيش، وفاء الضمانة وأداء الأمانة نشر وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، ط 1982، 5/ 200، 257.

[2] الجيطالي، قناطر الخيرات: قنطرة العلم والايمان، تحقيق: عمرو خليفة النامي، المطبعة العربية، غرداية د. ت 1/ 365.

[3] ناصر...المرجع نفسه، ص: 96. صابر، المرجع نفسه، ص: 122.

[4] ناصر...المرجع نفسه، ص: 95.

[1] مفرده حدث، ويقال محدثات بالجمع التي مفردها محدثة أو بدعة المصطلح عليها شرعا بأنها: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه". الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الإعتصام، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1408 هـ/ 1988 م، 1/ 28. إبن منظور، المصدر نفسه، 2/ 37.

منهاوعاد إلى غيرها، فأمروه بلزوم بيته وأن ينخلع من الخلافة، فأبى وأصر فقاتلوه في داره حتى قتل"[1].

لم ينفرد ابن سلام وحده في رصد ذلك، بل وجدنا أيضا المغربي وأحد مؤرخي القوم والمذهب القدامى السدراتي الوارجلاني قد أحصى „كبائر" عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وحصرها في: تركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إستعمال أقاربه في الولاية صرف الأموال لهم بغير حق، عدم إصغائه للناس يوم الدار[2] وهو يوم محاصرته الذي انتهى بقتله كما مر.

وممن نكثوا من الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) عندهم فارتكبوا „الكبائر": طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الله بن الزبير وكل الذين "حكموا الحكمين خلافا لكتاب الله، وحكموا الحكمين في أمر قضاه الله، فاختلفت الأمة وتفرقت الكلمة، وصار الناس شيعتين مفترقتين"[3].

حتى أنه ذكر من „كبائر" علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): رضاه بالتحكيم وكونه قتل أصحاب النهروان[4] بعد نهيهم له عن التحكيم[5].

بالتالي فجلي وواضح من خلال النصوص السالفة الذكر أن هؤلاء الصحابة المذكورين (رضي الله عنهم) هم كفار نعمة...ومخلدون في النار ما داموا في نظر الإباضيين قد اقترفوا تلك „المعاصي" وتوفوا عليها من غير توبة، وهو نفس المذهب الذي يجنح إليه المعتزلة[1].

أما أصحاب المذهب العقدي الصفري، فلا شك أن اعتقادهم في هؤلاء الصحابة بالذات (رضي الله تعالى عنهم) هو أشد تطرفا مقارنة بالإباضيين، لعلة الحكم المغلظ عليهم

---

[1] إبن سلام، المصدر نفسه، ص: 105.

[2] الوارجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، الدليل والبرهان، المطبعة البارونية، القاهرة، ط 1306 هـ، ص: 14.

[3] إبن سلام، المصدر نفسه، ص: 106.

[4] نسبة إلى ثلاث نهراوانات (أعلى وأوسط وأسفل) بالعراق، وهي مدينة صغيرة من بغداد إذ على أرضها دارت الواقعة بين علي (رضي الله عنه) وبين الخوارج معللين خروجهم عليه بأنه حكم الرجال في دين الله تعالى: يعنون بذلك قبوله بالحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما) ومن تبعهما. الحموي، المصدر نفسه 5/ 324، 325. الحميري، المصدر نفسه، ص: 582، 583.

[5] الوارجلاني، المصدر نفسه، ص: 15.

[1] ناصر...المرجع نفسه، ص: 98.

بالكفر أو الشرك أصلا: مثلهم في ذلك مثل كفار أو مشركي أمة الدعوة (غير المسلمين) كما سبق وأن ذكرنا ذلك أعلاه.

بالنسبة للكلام حول المذهبين العقديين الشيعي الإسماعيلي والسني فيما يخص هذه المسألة فهو ما سنرجئ الحديث عنه بشيء من التفصيل ضمن الفصل الأخير الآتي فيما يخص هذه الدراسة.

2ث- الإمامة والحكم

رغم تفاوت واختلاف المذاهب العقدية المدروسة في تقديرها لقضية الإمامة والحكم: باعتبارها ضمن قسم العقائد والأصول كما عند الشيعة الإسماعيليين وحدهم، لا ضمن قسم الفقه والفروع كما لدى كل من الإباضيين والصفريين والمعتزلة والسنيين.

فإن هذا لا يقلل من أهميتها عندهم بقدر ما يجعلها من القضايا المحورية: إن على مستوى التصور والفكر، أو على مستوى العمل والحركة؛ يدل على ذلك ما انجر عنها من تداعيات ونتائج سواء في بروز وإذكاء الصراع فيما بينها من جهة أولى، ثم التمكين والغلبة من جهة ثانية، فضلا عن الآراء والقراءات العميقة التي بلورتها تلك المذاهب حولها من جهة ثالثة وأخيرة.

إنه يجب أن نلفت بأن المذهب الصفري وكل فرق „الخوارج‟ ما عدا فرقة الإباضية لم تخلف وراءها تراثا مكتوبا خاصا بها، حتى قال عنها ابن تيمية: "وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف كما وقفنا على كتب المعتزلة...ونحو ذلك"[1].

قد يعزى ذلك إلى أن هذا المسلك منهم متعمد بالدرجة الأولى، والهدف من ورائه دعائي: إذ القصد منه عدم تنفير الأتباع إذا ما وقفوا وقرأوا مذاهبهم عبر كتبهم خصوصا في مجال الوعيد، نظرا لما تميزت به من تطرف ومغالاة، وهذا ما يتعارض ولا يتلاقى مع الفطرة الإنسانية ، بالتالي فلا تعارض مع تعليل محمود إسماعيل لمثل هذه القضية[2]، ما دامت صلاحية هذا التعليل محصورة على المذاهب غير المتطرفة، عكس تعليل ابن تيمية المذكور.

[1] إبن تيمية، المصدر نفسه، 1/ 37.
[2] سبق إيراد ذلك بص: 124.

بالنسبة للكلام حول مشروعية الإمامة: فإن نصب الامام من قبل الأمة في المنظور الاباضي واجب شرعي[1] وحق لازم في كل الأحوال لتوقف الواجبات عليه من: إنجاز الأمر والنهي، وإنفاذ الحدود، وإقامة العدل، وردع المعتدي[2]...

وأنها من القضايا المجمع عليها وأن لا خلاف حولها فرضيتها أو وجوبها، ثم اعتبارها من ضمن الموضوعات الفروعية العبادية لا الأصولية العقدية[3].

كما أن الإمامة عند الإباضية هي حق لكل مسلم بمقدوره أن يحققه إذا اجتمعت واستكملت فيه ثلاث مواصفات كبرى من: علم بالمذهب، وورع فيه وشجاعة لإنفاذه[4]، من غير التفات إلى لونه أو جنسه أو قبيلته أو حسبه أو أي اعتبار آخر...

إننا لا نستبعد مطابقة كل هذه الاحكام والآراء التي للإباضية لما عند الصفرية لاستنتاجنا إياها من خلال الاستقراء لمسيرة الإمارة السجلماسية الصفرية التي قامت بجنوب المغرب الأقصى وتوالي أمرائها في السلطة حين تبنيهم في الغالب لهذا المذهب مدة (140 هـ/ 757 م – 366 هـ/ 976 م) تاريخ تواجد الإمارة[1].

أما فيما يخص مسألة الخروج بالسلاح على الحكام، فإن هذه المسألة عند الإباضية تنطبق تماما على رابع وآخر مسلك لهم من مسالك الدّين أو أعلى مرحلة للجهاد -حسب اصطلاحهم- يعملون للوصول إليها، ألا وهو مسلك أو جهاد الظهور تحقيقا للتمكين السياسي وإقامة الدولة.

إنه لا يجوز إنجاز ذلك والخوض فيه شرعا إلا إذا توفرت شرائط: قسم أول منها له تعلق بالطرف المباشر للخروج أو (الإباضي)، والثاني ذو التعلق بالطرف الواقع عليه هذا الخروج.

فعن القسم الأول: يكفي فيه غلبة الظن بالانتصار على الخصم والذي لا يتصور إلا بعد تحقق الشروط التالية:

---

[1] إبن جميع، المصدر نفسه، ص: 57.
[2] الورجلاني...المصدر نفسه، 2/ 223.
[3] أطفيش، المرجع نفسه، ص: 436.
[4] المرجع السابق، ص: 440، جميل بن خميس السعدي، قاموس الشريعة، المطبعة السلطانية، زنجبار، ط 1299 هـ 86/ 37.
[1] إبن خلدون، المصدر نفسه، 6/ 132 - 135.

أولها: أن يكون في المعسكر الإباضي ستة فما فوق من الأعلام الكبار في المذهب بكل علومه، فضلا عن شهرتهم بالورع والصلاح[1].

ثانيها: أن لا يقل عدد أفراد جند المذهب عن نصف مقدار عدد جيش معسكر الخصم[2]، مصداقا لقول الله عز وجل: ﴿الآنَ خَفَّفَ الله عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضُعْفًا فَإِنْ تَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

ثالثها: تحصيلهم على كل ما يحتاجون إليه ويكفيهم من "سلاح وكراع[4]...ومال"[5].

والقسم الثاني: المتمثل في الخصم أو الطرف الذي يلزم الإباضية مقاتلته: فهو (أي الإباضي) لا يحارب ويقاتل بالسلاح إلا إذا صدر من حاكمه انحراف عن الاسلام بارتكابه معصية من المعاصي غير الكبائر.

إن معسكر هذا الحاكم العاصي من غير توبة يمثل في نظر الاباضية صورة معسكر البغي والظلم، ولا ترفع عنه صفة الإسلام، في حين أن الدار هي دار إسلام وتوحيد وعدل[1]، وهي الصورة الدنيا عندهم.

ففي هذه الحالة يخرج عليه بغية "تغيير حكمه لإقامة دين الله، واختيار من يصلح لتولي أمور المسلمين، إذا كان لا يسبب فتنة تنتج عنها أضرار أكبر منالحالة التي هم عليها"[2].

وهناك صورتان أخريتان أعلى من تلك، لها ترتيب تصاعدي: كدار الإسلام ومعسكر الكفر، ثم الأخيرة هي دار الكفر ومعسكر الكفر[3].

---

[1] الحضري أبو إسحاق إبراهيم بن قيس، مختصر الخصال (مخطوط رقم: 120) نسخة مكتبة "إيروان" العطف، غرداية الجزائر، ورقة 7 ب.

[2] أبو ستة محمد بن عمر، حاشية الوضع (مخطوط رقم: 37)، باب مسالك الدين، خزانة الشيخ بالحاج القرارة، الجزائر ورقة 11 و.

[3] الآية 66 من سورة الأنفال.

[4] يرمز إلى الوسائل والتجهيزات المتفاوتة النوع والكيف بتفاوت العصور، وإن كانت في القرون الماضية تختص بالدواب والحيوانات...عدون...المرجع نفسه، ص: 144، 145.

[5] أطفيش، المرجع نفسه، ص: 436.

[1] علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الاسلامية، ص: 382.

[2] المرجع السابق، ص: 383.

[3] لمعرفتها بشيء من التفصيل، وكيفية تعامل الإباضية مع كل صورة منهما، ينظر في: المرجع السابق ص: 392 فصاعدا. صابر طعيمة، المرجع نفسه، ص: 140 فصاعدا.

إذن فهذه الصور الثلاث هي التي أوجب الشرع عندهم الخروج على الخصوم بعد استكمال الشرائط السابقة الذكر.

فهذا التقسيم إلى نحو هذه الحالات والصور هو ما لم تسلكه الصفرية مع مخالفيها في الاعتقاد، بل تصرفت بنقيضه وعممته بالنسبة لكل من الرعية (أو الدار) والسلطان مع الجنود (أو المعسكر)، بذلك جعلتهم في كفة واحدة حين أجرتعليهم جميعا حكم الشرك والقتل والسبي والغنيمة[1].

ومما يعضد هذا الموقف الصفري ويؤكد مصداقيته في مثل هذا الشأن ما رصده لنا ابن الأثير في كامله من قيام العلماء في أهل القيروان بالوعظ والخطابة لحثهم على الجهاد ورفع هممهم ومعنوياتهم، وتذكيرهم بما يفعله الصفرية إن ظفروا بهم: من سبي للنساء واسترقاق للأبناء، وقتل للرجال، قبيل مقاتلة جيش عبد الواحد الصفري لهم[2].

مع تسجيل ملحوظة في آخر هذا الفصل حاصلها: بأن الصفرية يشابهون الإباضية في كل اعتقاداتهم المذكورة، إلا ما استثنيناه وبيناه صراحة مع مخالفتهم الأخيرة تلك؛ لأجل ذلك لم نفرد لهم سياقا خاصا بهم مثل ما أفردناه للإباضية فنقع في التكرار ما داموا جميعهم (إباضية وصفرية) يتقاطعون في نفس الاعتقادات والأصول.

[1] الورجلاني، المصدر نفسه، 3/ 62.
[2] إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 715. إبن عبد الحكم، المصدر نفسه، ص: 371.

الفصل التاسع

الصراع المذهبي العقدي الشيعي الإسماعيلي- السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي

1- تواجد المذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي بالمغرب الإسلامي

1أ-التسمية بالمذهب الإسماعيلي

1ب-جذور نشأة المذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي ومساره التاريخي بالمشرق الإسلامي

1ت-إنتقال المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي إلى المغرب الاسلامي

2-عقيدة ,,الإمامة أو الولاية والحكم,, في المذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي

2أ-الإمامة وموقعها في المذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي.

2ب-الإمامة والنص في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي

2ت-الإمامة والعصمة في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي

3-الصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي- السني وانعكاساته بالغرب الاسلامي

3أ-المجال الديني للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي-السني وانعكاساته بالغرب الاسلامي

3ب-المجال المناظراتي للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي-السني وانعكاساته بالغرب الاسلامي.

3ت-المجال العسكري للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي-السني وانعكاساته بالغرب الاسلامي.

1- تواجد المذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي بالمغرب الإسلامي

1أ-التسمية بالمذهب الإسماعيلي

لقد أطلق على المذهب لفظ الإسماعيلي، لاعتقاد وإيمان أتباعه بسوق وانتقال منصب الإمامة المقتضية لعصمة الأئمة، والمفروض طاعتهم المطلقة: لأن السعادة في اتباعهم والشقاوة في عصيانهم والتنكر لهم[1].

كل هذا وحيا بالنص من الله تعالى إلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) على الأئمة- ثم وصية السابق منهم للاحق بإنفاذ الإمامة[2]...- الآتية أسماؤهم:

انطلاقا من أولهم علي بن أبي طالب (المرتضى) المقتول في سنة 40ه/660م[3] فابنيه: السابق وهو الحسن (الزكي والمجتبى) المتوفى بأثر السم سنة 51ه/671م على القول الراجح[4]، واللاحق الحسين (الشهيد) المقتول سنة 61ه/680م[5]؛ ثم حفيد علي من ابنه الحسين: علي (زين العابدين والسجاد) المتوفى على القول الراجح سنة 95ه/713م[6]؛ فابن هذا الأخير: محمد (الباقر) المتوفى على القول الراجح سنة 114ه/732م[7]؛ ثم ابن الباقر: جعفر (الصادق) المتوفى سنة 148ه/ 765م[98].

إلى أن يقتصر هذا الأمر (أي الإمامة والعصمة...) في دورته الأولى على ابن جعفر الصادق: إسماعيل- دون غيره من الأئمة الآخرين[10]، وهو قيد لازم لإخراج المذاهب الأخرى[11]- أكبر أبنائه[12] الذي ثبتت وفاته في حياة أبيه[1]، حيث حددها المؤرخ

---

[1]النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1389 ه/1969م، ص: 14-55. النعمان، آداب اتباع الأئمة، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1985، ص:20 فصاعدا.

[2] المصدر السابق، ص: 14-45، 56-67.

[3] الأصفهاني، المصدر نفسه، ص: 46، 54. إدريس القرشي ابن الحسين، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق وتقديم: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1406 ه/1986م، السبع الرابع، ص: 337. المقريزي، إتعاظ...105/1.

[4]الذهبي، سير... 464/3،466. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع السابع، ص: 337.

[5]الأصفهاني، المصدر نفسه، ص:84،85. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع السابع، ص: 337.

[6] الذهبي، المصدر نفسه، 207/4، 214. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع السابع، ص: 337.

[7]الذهبي، المصدر نفسه 214/4، 218. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع، ص:337.

[8]إبن خلكان، المصدر نفسه، 327/1. النوبختي، المصدر نفسه، ص:77.

[9] إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع، ص: 337.

[10] النوبختي...المصدر نفسه، ص: 78. الشهرستاني، المصدر نفسه، 27/2.

[11]- تنظر في: المصدر السابق، 27/2. النوبختي، المصدر نفسه، ص: 78 فصاعدا.

[12]- الشهرستاني، المصدر نفسه، 27/2.

[1]- إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع، ص: 332. النوبختي، المصدر نفسه، ص: 78. المقريزي، المصدر نفسه، 111/1.

المقريزي بتاريخ 138هـ/755م[1].

من هنا نستنتج بأن كبر السن يعتبر قيدا أو ضابطا هو الآخر عند الإسماعيلية في تولي منصب الإمامة إذا وجد أكثر من أخ للإمام فيعتد بأكبرهم سنا، كما هو الشأن هنا لإسماعيل مع إخوته والذي اعتبر بالفعل أكبرهم[2].

فضلا عن امتناع الإمامة في الأخوين عندهم، بحيث"لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين، [لأجل هذا] لم يكن لأخوي إسماعيل: عبد الله وموسى في الإمامة حق"[3] بل أنها لا تكون إلا في العقب[4]من: الإبن الأكبر لإسماعيل كالأمر هنا، فحفيده الأكبر، فابن حفيده الأكبر وهكذا...

وإن كان هذا المبدأ أو القيد فيما يخص هذا المنصب قد ضرب به عرض الحائط - كما يقال- ولم يحترم تماما: بسلوك المعز لدين الله[5] في تنصيصه بالإمامة بعده على ابنه الأصغر عبد الله بدل ابنه الأكبر تميم، كما أخبر بذلك الأستاذ جوذر[6].

كما يعتبر إسماعيل بن جعفر الصادق الإمام السابع، لما هو ملاحظ بمجرد تعداد تسلسل أئمة العبيديين قبله، من أجل ذلك يطلق على المذهب مصطلح السبعي[7] أيضا لما لرقم سبعة من رمزية فلسفية عند منظري المذهب عهدها، ومدى تأثرهم بالفكر اليوناني نظرا لأهمية هذا العدد وكماله دون سائر الأعداد عند العالم الإغريقي فيتاغورس[8] من جهة.

ومدى تأثره أيضا بالتراث العبري، لما لهذا الرقم بالذات من قدسية عند اليهود ونظرا لتطابقه مع يوم السبت المشتق من لفظ سبت بمعنى ارتاح، نسبة إلى اعتقادهم في الله

---

1 المصدر السابق، 111/1.

2 الشهرستاني، المصدر نفسه، 27/2.

3 النوبختي...المصدر نفسه، ص: 78، 79. النعمان، كتاب المجالس...ص: 114.

4 المصدر السابق، ص: 114. النوبختي...المصدر نفسه، ص:78.

5 أبو تميم معد ابن المنصور ابن القائم ابن عبيد الله المهدي؛ رابع خلفاء الدولة العبيدية، حكم طيلة (341 هـ/952م-365 هـ/975م). المقريزي، المصدر نفسه، 170/1، 277.

6العزيزي الجوذري أبو علي منصور، سيرة الأستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط 1954، ص: 139، 140.

7الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، فضائح الباطنية، إعتنى به وراجعه: محمد علي القطب، المكتبة العصرية، صيداوبيروت، ط1423 هـ/2003م، ص:25.

8صباح جمال الدين، مقدمة لكتاب: المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية لإيفانوف، مراجعة وتعليق: عمار المير أحمد دار الوراق، بغداد، ط1، 2011، ص:10.

(سبحانه) بأنه "ارتاح...من عناء خلقه للكون في الستة الأيام الأولى"[1] من جهة أخرى.

1ب-جذور نشأة المذهب العقدي الشيعي الإسماعيلي ومساره التاريخي بالمشرق الإسلامي

لقد خاض هذا المذهب تجربة طويلة شاقة، إلا أنها كانت ناجحة انطلاقا من الشام ليمكن لنفسه سياسيا على أرض المغرب الإسلامي ومصر، حيث أوجد بهما دولة كبيرة طيلة مدة من الزمان ليست بالقصيرة في العصر الوسيط.

كما أن هذا المذهب موضوع دراسة هذا الفصل الأخير، شأنه شأن مذاهب شتى عرفت بتناقضاتها الشديدة فيما بينها بالنسبة لما تذهب إليه وتعتقد فيه؛ فضلا عن اختلافها في مدى تطرفها واعتدالها.

وإن كانت تياراتها الكبرى الأساس لا تعدو اليوم: الإثنا عشري والزيدي والاسماعيلي، والتي تنطوي تحتها غالبية الشيعة عبر العالم الإسلامي، إلا أن جميعها لا يخرج عن اتجاه رئيس عام واحد اتفق على تسميته بالشيعة أو التشيع.

لقد كانت البداية الأولى لتداول لفظة الشيعة خلال الصراع الذي دار بين جيشي الصحابيين: علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم)، وعند كل طرف منهما، لا لتدل بالمفهوم الفني الاصطلاحي على معنى جد خاص بها ثابت ومستمر سنعرفه لاحقا، بقدر ما تدل على معنى لغوي متمثل في: الأتباع أو الأنصار أو الأشياع... ليس إلا.

بدليل ورودها في سياقات تاريخية كلها بصيغ الإضافة إلى الغير، لا بصيغة الاطلاق ولو عبر سياق واحد منها؛ فضلا عن استعمالها من قبل الطرفين المتخاصمين لا من طرف واحد.

إذ استعملها علي (رضي الله عنه)، تبعا للنص الذي رواه محمد بن اسحاق بقوله أنه:"لما خالف طلحة والزبير [رضي الله عنهما] على علي (عليه السلام)، وأبيا إلا الطلببدم عثمان بن عفان[رضي الله عنه]، وقصدهما عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا إلىأمر الله

[1] المرجع السابق، ص:11. وإن كان هذا المعني قد أورده: إبن منظور، المصدر نفسه، 230/3. إلا أن البارئ (عز وجل) أنكر على اليهود قولهم هذا حين نعتوه بصفة نقص لا تليق إلا بالمخلوق وهي الحاجة للراحة بعد التعب، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ الآية 38. من سورة ق. ومعنى اللغوب: النصب أو التعب. أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير دار لينا، دمنهور، مصر، ط 1 1423هـ/2002م، ص:1308.

جل اسمه، تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة، فكان يقول شيعتي"[1].

كما وجدنا معاوية (رضي الله عنه) قد استخدمها أيضا مضافة ومنسوبة إليه وقتها حين "وجه...بسر بن أبي أرطأة [ثم أوصاه أن]... امض حتى تأتي صنعاء، فإن لنا بها شيعة"[2]ثم سار [بسر] نحو جيشان[3] وهم شيعة لعلي"[4]، كما سجل المسعودي في مروجه: بأن سفيان بن عوف كان "من شيعة معاوية والمنحرفين عن علي"[5].

فاللفظة ذاتها وبنفس معناها هذا، وجدناهما باقيين حتى وفاة الحسن بن علي (رضي الله عنهما)، التي كانت في سنة 51 هـ/671م على القول الراجح كما ذكرنا.

يدل على ذلك رسالة التعزية التي بعث بها بعض أهل الكوفة إلى المدينة المنورة حين علموا بوفاته يعزون فيها أخاه الحسين (رضي الله عنه) في هذا المصاب الجلل ومصدرين إياها بـ"بسم الله الرحمن الرحيم، للحسين بن علي، من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين..."[6]

بل استمر (هذا اللفظ ومعناه) في التواجد حتى بعد سنة 52 هـ/672م: تاريخ قتل حجر بن عدي[7] ومن كانوا معه بأمر معاوية، حين خاطب هذا الأخير حسينا قائلا له: يا أبا عبد الله! علمت أنا قتلنا شيعة أبيك، فحنطناهم وكفناهم وصلينا عليهم ودفناهم؟"[8].

فكان أن رد عليه الحسين (رضي الله عنه) بقوله: "حجرك ورب الكعبة، لكنا والله إن قتلنا شيعتك ما كفناهم ولا حنطناهم ولا صلينا عليهم ولا دفناهم"[9].

كما أنه بعيد سنة 61 هـ/680م: تاريخ وفاة معاوية (رضي الله عنه)، فإننا لم نجد غير هذا المعنى اللغوي للفظة، لأن ابن عباس (رضي الله عنهما) كان قد عبر عنه هو بالذات، بعد أن نهى الحسين (رضي الله عنه) عن التوجه إلى العراق استعدادا لتولي هذا

---

[1] النديم، المصدر نفسه، ص: 307.
[2] اليعقوبي، تاريخ...197/2.
[3] بالفتح ثم السكون؛ كورة ومدينة باليمن؛ ينسب إليها الخمر السود وتعمل بها الأقداح. الحموي، المصدر نفسه، 200/2،201.
[4] اليعقوبي، المصدر نفسه، 199/2.
[5] المسعودي، مروج...377/2.
[6] اليعقوبي، المصدر نفسه، 228/2.
[7] أبو عبد الرحمان، وهو صحابي جليل من شيعة علي (رضي الله عنهما)، شهد صفين كأمير، صاحب صلاح وتعبد. الذهبي، المصدر نفسه، 574/3.
[8] اليعقوبي، المصدر نفسه، 231/2.
[9] المصدر السابق، 231/2.

المنصب بسبب كون أهلها أهل غدر، حين قال له ناصحا: "فاشخص إلى اليمن، فإنها في عزلة، ولك فيها أنصار وإخوان، فأقم بها وبث دعاتك"[1]ولم يقل له اذهب إلى شيعتك التي هي بمعنى غير المعنى السالف الايراد.

تعمدنا خلال الكلام عن هذه النقطة الاعتماد على مصادر تطغى على أصحابها-من غير شك- النزعة الشيعية بمفهومها الاصطلاحي: كاليعقوبي والنديم والمسعودي، لا لشيء إلا حرصا على تحري الحقيقة التاريخية والخبر الصادق بتلمسه ضمن مصادر القوم؛ أو من باب معنى الآية القرآنية: (...وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنَ اَهْلِهَا..)[2] التي صارت مثلا يضرب في هذا المقام.

هكذا إذن نستنتج من كل ما مر بأن الطرفين المتنازعين ما اختلفا عهدئذ إلا حول من يصلح للإمامة، خصوصا بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه)، أو حول أحقية الأشخاص الذين من المفروض عليهم تولى منصب الخلافة من بعده: بمعنى منصب الولاية السياسية على الأمة الاسلامية، ولا للدلالة الفنية الاصطلاحية التي ستعرف وتحد بها لفظة الشيعة لاحقا.

وإن كانت لفظة الشيعة ستأخذ مجرى آخر غير المجرى اللغوي السالف الذكر، ألا وهو المجرى الفني الاصطلاحي الذي ستستقر عليه نهائيا: فيبدأ في التكون بعيد مقتل الحسين بن علي (رضي الله عنهما) سنة61 هـ/680م[3].

ثم لتتبلور مكوناته الأساس وتتشكل عقائده الكبرى كلية من: تنصيص إلاهي على الإمامة والوصية والعصمة والمعرفة بالغيب والغيبة والرجعة والمهدوية وغيرها...التي يضطلع بها أئمة أهل البيت النبوي، وذلك عهد الامام جعفر الصادق (رضي الله عنه) المتوفى سنة 148 هـ/765م[4].

وهكذا تفاوتت المذاهب والنحل الشيعية تفاوتا كبيرا بين الاعتدال والتطرف وتفرقت

---

[1]المسعودي، المصدر نفسه، 61/3.

[2]الآية 26 من سورة يوسف.

[3]علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8، د.ت، 34/2، 35.

[4] محمد عمارة، المرجع نفسه، ص: 201. للوقوف على هذه العقائد بالتفصيل وبعد دراسة متخصصة، والتعرف على مصادرها وظروف تكونها فضلا عن تأريخ نشأتها...يرجع إلى: علي سامي النشار، المرجع نفسه، 21/2-269.

كثيرا نظرا لمدى تفاوتها في الأخذ بالعقائد التي سبقت الإشارة إليها[1]، يهمنا منها المذهب العقدي الاسماعيلي موضوع دراسة هذا الفصل الأخير.

لا شك أن الأمويين استفادوا كثيرا من القضاء على ثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي المطالبة بدم الحسين، والمنتسب إلى العلوي محمد بن الحنفية[2] سنة 67 هـ/686م من قبل مصعب بن الزبير بن العوام[3] بأمر أخيه عبد الله بن الزبير[4] حين ولاه على البصرة في السنة المذكورة[5].

كما أخمد الأمويون أنفسهم محاولتي الشيعة اللاحقتين: أولها التي قادها زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، وكانت نتيجتها قتله رفقة كل أفراد أتباعه سنة 122 هـ/739م[6]؛ فضلا عن قتلهم للعلوي يحي بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، ومن كان بمعيته عن آخرهم سنة 125 هـ/742م[7].

ليأتي هذه المرة وبدءا من سنة 132 هـ/749م دور الطرف العباسي في مواجهته للطرف الشيعي: حيث استطاع الأول أن يكسب رضا الثاني بتوليته الخلافة المشروطة - بلا شك- بالسهر على حراسة الدين وإقامة العدل بين الناس، جراء الوصية والعهد المبرم بين: محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن الجانب العباسي، وعبد الله بن محمد بن الحنفية عن الجانب العلوي، بأن تكون الخلافة محصورة على الجانب الأول بعد سنة 126 هـ/743م تاريخ وفاة العلوي عبد الله بن محمد[8].

من هنا فإن وصول العباسيين إلى الحكم في هذا التاريخ بالذات بعد إحرازهم للعهد

---

[1]لتنظر بتسمياتها ومؤسسيها وعقائدها المميزة لها...في: مصادر الملل والنحل التي سبقت الإحالة إليها.

[2]هو محمد بن علي بن أبي طالب من زوجته خولة بنت جعفر ابن أبي قيس الحنفي من اليمامة؛ عرف بكثرة العلم وغزارة المعرفة وقوة الفكر، توفي في سنة 81 هـ/700م بالمدينة المنورة. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع، ص: 202، 203.

[3]الطبري، المصدر نفسه، ص: 1076، 1078، 1107.

[4] إبن الصحابي الجليل المذكور، وأمه اسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنه)، عرف بكثرة العبادة وعظم الشجاعة، بويع له بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة 64 هـ/683م، إلى أن تغلب عليه عبد الملك بن مروان ثم قتل وصلب من قبل الحجاج أحد عماله بعد أن حاصره بمكة أشهرا سنة 73 هـ/692م. السيوطي، المصدر نفسه، ص: 239، 240، 241.

[5]الطبري، المصدر نفسه، ص: 1116.

[6]المسعودي، التنبيه والإشراف، ص: 295.

[7]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص:736.

[8]إبن كثير، البداية...1467/2، 1468.

والوصية المذكورة، يعتبر أحد عوامل[1] تراجع الاتجاه الشيعي الحنفي ليحل محله ويتقدم عليه اتجاه شيعي جديد آخر: ألا وهو الاتجاه الفاطمي نسبة إلى فاطمة (رضي الله عنها) بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزوج علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وعلى رأسه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) أبرز شخصياته وقتها[2].

إلا أن الدولة العباسية سوف لا تلتزم بالشروط السالفة الذكر، إذ ستنسفها نسفا بأن لا تعمل على تنفيذها كما تعهدت به، هذا ما أعاد الشيعة الفاطمية وبالتحديد الفرقة الاسماعيلية المعروفة بتطرفها لخوض الثورة من جديد ضدها مستغلة بذلك استياء الرعية الشديد منها واستبدادها الأعنف[3].

بعد الدراسة العلمية الرائدة الذي قام بها أحد المتخصصين في النحلة الاسماعيلية برنارد لويس من خلال وقوفه على شتى مصادرها: من اسماعيلية باطنية منحازة (نصيرية وغيرها...)، وظاهرية (مغربية...)؛ إلى معادية كالإثني عشرية والسنية؛ فضلا عن الدراسات الاستشراقية والعربية الجادة المتعلقة بهذا المجال.

فإنه خرج بما محصله: أن الفرقة المذكروة أنشئت بداية قبل 138 هـ/755م تاريخ وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق، وبالتعاون معا بين كل من الداعي أبي الخطاب[4] وإسماعيل على أساس إمامة هذا الأخير وذريته[5]؛ إلى أن استكملت النحلة أسسها وتبلورت عقائدها وأفكارها وانتظمت طرقوأساليب دعوتها -بعد وفاة الثلاثة المذكورين- على يد

---

[1] للوقوف على العوامل الأخرى، يرجع إلى: برنارد لويس، أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ترجمة: حكمت تلحوق، راجعه وقدم له: خليل أحمد خليل، دار الحداثة، بيروت، ط1، كانون الثاني 1980، ص: 5870.

[2] فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296–365 هـ/909–975م) التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994، ص: 64. برنارد لويس، المرجع نفسه ص:70.

[3] فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 65.

[4] محمد بن أبي زينب أو مقلاص بن أبي الخطاب، من موالي بني أسد، أول من نظم حركة شيعية ذات طابع باطني خاص، كان من المقربين للإمامين الباقر وابنه جعفر الصادق إلى أن تبرأ هذا الأخير منه لاحقا هذا الأخير؛ قتل وصلب من قبل والي المدينة: عيسى بن موسى سنة 138 هـ/755م. برنارد لويس، المرجع نفسه، ص:70، 71.

[5] المرجع السابق، ص:85. فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص:65.

كل من: محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، والمبارك ميمون القداح[1]، وابنه عبد الله بن ميمون[32].

فانطلاقا من الامام محمد هذا، ستدخل الفرقة في مرحلة الخفاء والسر من العمل الدعوي وهي فترة أطلق "عليها „عهد الاستتار„ أو „عهد الأئمة المستورين„[4]، وهم الذين التزموا الخفاء والستر اتقاء المطاردة والغيلة"[5]، للعلة والسبب المتمثل في كونهم" قهروا فتستروا، ولم يؤمروا بإظهارهم ولا ذكرهم لأحد"[6]؛ لتكلل هذه المرحلة بالتمكين السياسي على أرض اليمن بداية، ثم على أرض المغرب مع الإمام عبيد الله المهدي لاحقا.

فكان النجاح على أرض اليمن بداية - كما قلنا- بعد أن ارسل إليها الداعي أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي المعروف بمنصور اليمن[87]، من قبل الإمام الاسماعيلي المستور أو المكتوم الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد، حيث دخل إلى اليمنسنة 268هـ/881م ليظهر الدعوة بها سنة 270هـ/883م بعد مرحلة سرية بها–

---

[1] في نسبه اختلاف واضطراب لاختلاف مشارب وخلفيات كل من أرخ له: فمن ناسبه إلى الديصانية المسيحية، أو إلى اليهودية، أو إلى الصحابي سلمان الفارسي (رضي الله عنه)، أو إلى المجوسية؛ توفي سنة 170 هـ/786م. محمد عثمان الخشت، محقق: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، لمؤلفه: الحمادي اليماني أبو الفضائل محمد بن مالك، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط ربيع ثان 1406هـ/ ديسمبر 1985م، ص:33 هامش: 4، ص:37، هامش:1.

[2] من رجال الحديث الموثوق به عند الشيعة، وإن كان موهنا عند أهل الحديث من السنة، توفي سنة180 هـ/796م. المرجع السابق، ص:37، هامش:1.

[3] برنارد لويس، المرجع نفسه، ص: 85، 86. فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 65.

[4] وهم مرتبون كالتالي: محمد فابنه عبد الله، فابن هذا الأخير أحمد، فالحسين ابن احمد عند رأي فريق وهو الراجح لكثرة من أورده من الدارسين. محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط3، 1404 هـ/1983م، ص: 57. علي سامي النشار، المرجع نفسه، 289/2، 308. محمد عثمان الخشت، المرجع نفسه، ص: 36، 37، هامش:3. فرحات الدشراوي، المرجع نفسه، ص: 65،66،73. ومحمد فابنه أحمد، فالحسين بن أحمد، فابن الحسين علي عند رأي ثان. برنارد لويس، المرجع نفسه، ص: 122.

[5] محمد عبد الله عنان، المرجع نفسه، ص: 57.

[6] الحمادي اليماني أبو الفضائل محمد بن مالك، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط ربيع ثان 1406 هـ/ ديسمبر 1985 م ص: 37.

[7] من أهل الكوفة، كان متشيعا على النحلة الامامية كما كان صاحب علم بالقرآن وفقه بالحديث، إلا أنه رجع لاعتناق الاسماعيلية على يد الإمام الاسماعيلي يومها حتى صار كبير الدعاة باليمن فلا يصدر الدعاة إلا بأمره. النعمان، كتاب افتتاح...ص:3، 4، 6، 8. الحمادي اليماني كشف...ص: 42. إدريس القرشي، عيون...السبع الخامس، ص:38. السبع الرابع، ص: 396.

[8] النعمان، المصدر نفسه، ص:2، 3، 6. الحمادي اليماني، المصدر نفسه، ص:37، 42. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص: 31.

والتزاما منه بمبدإ التقية[1]- دامت حولين من الزمن[2].

أرسله من غير شك الإمام المستور الرابع الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد يفهم ذلك من قول هذا الداعي بعد عامين من إرساله هناك: "وكتبت إلى الإمام بما صار إليه أمري...إذ ورد علينا الكتاب بالعهد للمهدي... وأن نأخذ ذلك له"[3].

فلا يعقل كون المرسل له إلا الحسين والد[4] المهدي عبيد الله أول أئمة الظهور للمذهب بعد التمكين له سياسيا على نطاق المغرب الاسلامي[5]، مادام هذا الأخير اعتبر في النص وليا للعهد وقتها.

وهكذا تفشت وشاعت دعوة هذا الداعي بأرض اليمن وافتتحت مدائنها[6]، فضلا عن استجابة بشر كثير له ودخولهم في دعوته، مما أفضى كل هذا إلى تقوية أمره ورفع ذكره[7].

وإن كان هناك حدث تاريخي كبير آخر لا يقل أهمية عن الأحداث السابقة الذكر: ألا وهو قدوم الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء والمكنى بأبي عبد الله الشيعي[8] على الداعي الكبير ابن حوشب، فأقام معه مدة وتعلم منه الكثير[9]، ليقوم بدعوة موفقة هي الأخرى على أرض المغرب الاسلامي بعد إيفاده من قبله هناك هو ومن معه للعمل من أجل نشر المذهب عبر سائر المدائن والأقطار: لنواحي اليمن الأخرى المتبقية واليمامة والبحرين

---

[1]أحد المبادئ الكبرى لكل فرق الشيعة، ومفهومها عندهم هي إظهار الفرد خلاف ما يبطن. أحمد أمين، فجر الإسلام مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1965، ص:274. ولقول الإمام جعفر الصادق (رضي الله عنه): "التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له فلا دين له"، بمناسبة كتمانه اسم الإمام من ولده تقية عليه من أن يقتل، فلم يطلع عليه في حياته ولا بعد وفاته إلا أوثق الثقات من شيعته. الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن، الفرائض وحدود الدين (مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية بسورات): نص مقتطف منه في نسب لخلفاء الفاطميين (أسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبيد الله إلى ناحية اليمن)، نص عربي ودراسة بالانجليزية، تقديم: حسين بن فيض الله الهمداني تصدير: بايارد دودج Bayard Dodge، القاهرة، ط1958، ص: 9.

[2]النعمان، المصدر نفسه، ص: 15. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص:38.

[3]النعمان، المصدر نفسه، ص:17.

[4]مسألة هل هو والده فعلا أم لا؟ هي مسألة سنتحدث عنها لاحقا.

[5]المصدر السابق، السبع السادس، ص: 9.

[6]النعمان، المصدر نفسه، ص: 18.

[7]إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص: 38.

[8]المعروف بالمحتسب والمعلم، هو من أهل الكوفة؛ كان صاحب علم وفهم ودهاء ومكر، له الفضل الأكبر في وجود دولة بني عبيد؛ قتله مؤسسها المهدي سنة 298 هـ/910م. المقريزي، كتاب المقفى الكبير (تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية)، إختيار وتحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1407 هـ/1987م، ص:25-30. ابن خلدون، المصدر نفسه، 35/4.

[9] إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص:39.

والسند والهند ومصر[1]...ويصير صاحب تجربة رائدة سنميط اللثام عنها ونكتشفها أثناء المبحث الآتي.

1ت-إنتقال المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي إلى المغرب الاسلامي

الداعيان الشيعيان الإسماعيليان اللذان استقبلهما المغرب الإسلامي كانا كل من المعروف أحدهما بالحلواني[2] والثاني بأبي سفيان[3]، هذا ما رصده لنا القاضي النعمان أقدم مؤرخي الدولة العبيدية وأكثرهم خدمة وتأليفا لها.

لقد ذكر هذا المؤرخ بأنهما وصلا إلى المغرب الاسلامي سنة 145هـ/762م انطلاقا من المشرق الاسلامي، وبإذن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق (رضي الله عنه) وبعد أمرهما بحصر نشاط الدعوة على إفشاء ظاهر-لا باطن- مناقب أهل البيت بشكل مفصّل[4].

فبين لهما بوضوح صلاحيتهما في الدعوة وحدودها التي لا يجب تجاوزها في أمره لهما بقوله أن: "اذهبا إلى المغرب، فإنكما تأتيان أرضا بورا، فاحرثاها وكرباها[5] وذللاها إلى أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها مذللة فيبذر حَبّه فيها"[6].

كما ألح عليهما أن يتجاوزا حدود إفريقية[7]توغلا في الداخل حيث عمق البربر تحقيقا لهدف أمني صرف وهو البعد عن أماكن ملاحقة الخصوم وعيونهم؛ ويفترقا فيما يخص الإقامة عن بعضهما البعض بعيدا جدا[1]، لتتسع أكثر أرضية الاستجابة للدعوة فضلا عن توفير الأمن للداعيين كما ذكرنا.

---

[1]النعمان، المصدر نفسه، ص: 18. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص: 39.

[2]لا يعرف عند كل من ترجم له من أصحاب المصادر سوى: هذا النعت المذكور، وأنه عمر عمرا طويلا وخلف بنتا كنيت بأم موسى ومات بالناظور من أرض سوجمار، كما لا يشك في تضلعه في المذهب العقدي الاسماعيلي، وهو ممن أدى دوره على أكمل وجه حين أرسل داعيا إلى المغرب. النعمان، المصدر نفسه، ص: 26، 27، 29. إدريس القرشي المصدر نفسه، السبع الرابع، ص:324،325. إبن خلدون، المصدر نفسه، 34/4، 35. المقريزي، إتعاظ...130/1.

[3]من المتمكنين في النحلة الإسماعيلية هو الآخر، عاش بتالا بأرض مرماجنة، تأثيره كان كبيرا بها والمدن القريبة منها مات بمرماجنة. النعمان، المصدر نفسه، ص: 26، 27، 28، 29. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع ص: 324، 325. إبن خلدون، المصدر نفسه، 34/4، 35. المقريزي، المصدر نفسه، 130/1.

[4]النعمان، المصدر نفسه، ص: 26، 27.

[5]من كرب الأرض بالفتح: بمعنى قلبها للحرث وأثارها للزرع. إبن منظور، المصدر نفسه، 387/5.

[6]النعمان، المصدر نفسه، ص: 29. إبن خلدون، المصدر نفسه، 35/4. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع ص:325. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1118.

[7]النعمان، المصدر نفسه، ص:27.

[1]المصدر السابق، ص:27.

فأحدهما أبو سفيان: إستقر بموضع اشتهر بتالا من مرماجنة[1] ليبني على أرضها مسجدا وينشئ بها أسرة؛ ثم ليشرع في التبشير للدعوة الجديدة والتي أتت ثمارها فعلا: حين تأثر بها الكثير من أهل مرماجنة والأربس[2] ونفطة[3]، وتهيأوا لقبول ما ستبشر به تلك الدعوة ذاتها لاحقا، وإن بحيثيات جديدة غير السابقة الذكر؛ كل هذا كان بفضل ما أظهره هذا الداعي من اقتدار علمي وقدوة عملية[4].

أما ثانيهما المعروف بالحلواني، الذي اقتفى نفس سلوك الآخر من بناء مسجد وإقامة أسرة والاستقرار بعيدا عنه بمكان نعت بالناظور من سوجمار[5]، وإن أظهر هو أيضا مثالا نادرا في العلم والعمل به، حتى استجاب لدعوته الكثير من قبائل كتامة [6]ونفزة [7]وسماتة[98].

إنفرد المؤرخان: إبن الأثير والمقريزي بإيرادهما السبب المباشر في انتقال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب الاسلامي، والمتمثل في كل من الداعيين به المذكورين بأمر ابن حوشب منصور اليمن، ثم مقولة هذا الأخير له بأن:"أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني أبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطّأة ممهدة لك"[10].

لقد حدد القاضي النعمان عام 280هـ/893م كتاريخ لدخول أبي عبد الله الشيعي إلى نطاق المغرب الإسلامي[1]، ليصل أرض كتامة سنة 288هـ/901م[2]: أين سيشرع منها في إكمال نشاطه الدعوي الناجح، مرفوقا هذه المرة بمجموعة من حجاج بربر كتامة عقب

---

[1]حتى عهد البكري هي مدينة لطيفة في بساط مديد، وكائنة في طريق الصيف الآخذ من باغاية فمجانة فمرماجنة عبر مدن حتى القيروان. البكري، المصدر نفسه، 329/2، 331.

[2]حتى عهد المؤرخ الجغرافي اليعقوبي المتوفى سنة 284 هـ/897م، فإنها اعتبرت مدينة كبيرة عامرة بأخلاط من الناس، بينها وبين القيروان من جهة الغرب مرحلتان. اليعقوبي، كتاب البلدان، ص: 349.

[3]النعمان، المصدر نفسه، ص: 27.

[4]المصدر السابق، ص: 27.

[5]عند ابن خلدون "سوف جمار" من أرض كتامة. إبن خلدون، المصدر نفسه، 35/4. و"سوق جمار" عند: ابن الأثير المصدر نفسه، ص:1118. وذكر الطالبي أنها تعرف اليوم بـ"سجرمة" في الجزائر. محمد الطالبي، الدولة الأغلبية تعريب: المنجي الصيادي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1985، ص: 600.

[6]أحد بطون البرانس من البربر، وهي نسبة لكتام بن برنس. إبن خلدون، المصدر نفسه، 149/6.

[7]الصحيح "نفزاوة". المصدر السابق، 102/6. وهي نسبة إلى نفزاوة بن لوا بن زخيك بن مادغيس الأبتر جد البرابرة البتر. المصدر السابق، 115/6، 116.

[8]لم نعثر على معطيات فيما يخص هذه القبيلة ضمن ما وقفنا عليه من المصادر.

[9]النعمان، المصدر نفسه، ص: 29.

[10]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1118. المقريزي، المصدر نفسه، ص:25. المقريزي، إتعاظ...141/1.

[1]النعمان، المصدر نفسه، ص:29. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص:48.

[2]المقريزي، كتاب المقفى...ص:27. إبن خلدون، المصدر نفسه، 36/4.

فراغهم من تأدية مناسك الحج وعودتهم إلى ديارهم[1]، ويضطلع بمهمة «البذر» اللاحقة مباشرة على وظيفة «الحرث» التي أنجزاها كل من الحلواني وأبي سفيان.

مرت هذه المهمة بخطوات ثلاث متتابعة الواحدة تلوى الأخرى: أولاها خطوة تيقن الداعي الشيعي بعد جس نبض واختبار طويل وشاق من وجود قابلية استجابة أفراد هذه المجموعة ومن وراءهم من قبائلهم بأرض كتامة للدعوة كحصاد لمجهودات دعوية جبارة مضنية وشاقة سابقة قام بها الحلواني على الخصوص هناك.

وهذا عبر احتكاكه اليومي بحجاج كتامة الممتد من بداية هذه العودة حتى الاستقرار بإيكجان[2] التي ستتخذ دارا لهجرة الأصحاب[3] (قبيل 280هـ/893م–288هـ/901م) بل استقل القاضي النعمان بذكر موضع تازروت[4] اتخذه الداعي دار هجرة ثانية لاحقا انتقل إليها[5] هو ومن معه من الأصحاب القادرين على الحرب؛ حيث دار بينهما وتبادلا معا كلاما وحديثا طويلا متنوعا دل كله على:

اقتدار عال وتمكن عميق في علوم الدين الإسلامي، إلى سلوكيات وأحوال متميزة كان قد أظهرها واستمر مواظبا عليها مثل: تواضعه وعفته وزهادته في الدنيا، وإيثاره مصالح الغير على مصالحه، فضلا عن تعاليم الدين قبل كل شيء...حيث يستشف هذا من خلال ما سجلته عنه باستفاضة كل من مصادر القوم والخصوم على السواء[6].

إذ كان ذلك مرادا منه ومقصودا به تحقيق أهداف محددة لا تخرج عن كسب ثقتهم الكاملة فيه، وضمان مصداقيته التامة عندهم؛ من أجل أن يصير قدوتهم الأمثل والأوحد لكل ما يأتون وما يذرون، وصاحب الأمر والنهي في كل صغير وكبير عندهم، وفعلا هذا ما حصل وتحقق[1].

---

[1]النعمان، المصدر نفسه، ص: 31، 35. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1118. إبن خلدون، المصدر نفسه، 35/4. المقريزي إتعاظ...141/1.

[2]موضع من بلد كتامة بإفريقية لبني سكتان. إبن خلدون، المصدر نفسه، 36/4.

[3]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1119. المقريزي، كتاب المقفى...ص: 29.

[4]لم نعثر على من عرف به في المظان المنشورة الجغرافية وغيرها...التي وقفنا عليها.

[5]النعمان، المصدر نفسه، ص: 109.

[6]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1118. المقريزي، إتعاظ...141/1، 142. المقريزي، كتاب المقفى...ص:25، 27. إبن عذاري، المصدر نفسه، 125/1. إبن خلدون، المصدر نفسه، 35/4. النعمان، المصدر نفسه، ص: 30. إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الخامس، ص: 49.

[1]المصدر السابق، ص:35،36. المقريزي، كتاب المقفى...ص:28. إبن عذاري، المصدر نفسه، 1/ 125، 127، 128.

وعلىدربةسياسيةعسكريةإداريةرفيعة،فضلاعنمعرفةاجتماعيةواقتصادية...كافية من خلال المعطيات التي حصل عليها هذا الداعي عبر: إجابات الجماعة المرافقة له على تساؤلات كثيرة متنوعة المجالات كان قد طرحها عليهم[1]، للاختبار والتأكد من صحتها ما دامت كونها معلومة عنده قبل لقيا الجماعة، لا لشيء إلا ليوظفها ويستغلها في خدمة مشروعه الدعوي هذا، بحيث لا يمكننا إغفال دورها وأهميتها في تحقيق ذلك.

ثانيها: خطوة الإعداد المعنوي والمادي للثورة (288هـ/901م- بعيد290هـ/902م)،لكون هذا التاريخ الأخير يعتبر معلما لاندلاع المعارك ضد الداعي وأتباعه والمفروضة عليهم من قبل القبائل المعارضة تارة، أو الإمارة الأغلبية تارة أخرى أو من طرفهما معا تارة أخيرة[2].

ننبه بأن أول مكسب حققه أبو عبد الله الشيعي فيما يخص دعوته الناجحة بالمغرب الإسلامي هو كسبه لعدد من كبراء كتامة وزعماء قبائلها إلى صفه: مع بداية الاتصال ببعضهم في مكة، ثم توافد الآخرين عليه بإيكجان لاحقا، والمذكورون في المصادر بأشخاصهم وأسمائهم واحدا واحدا[3].

هذا ما جعل أتباعا كثرا يميلون إليه ويلتحقون به تبعا لميل شيوخهم وزعمائهم، كما هو شأن أي مجتمع قائم على النظام القبلي: حيث إرادة الأتباع والأشياع فيه مسلوبة وتابعة مطلقا لإرادة المتبوعين من هؤلاء الكبراء والزعماء...

هكذا إذن صارت إيكجان دار هجرة للدعوة كما ذكرنا: ليفد إليها الأصحاب باستمرار جماعات تلوى الجماعات، ولتتخذ قاعدة ومركز انطلاق ممهد للخطوة الآتية مباشرة؛ استمرت دعوته طيلتها معتمدة على النهج السلمي الصرف: بالتدرج في دعوة الشيعي للاتباع الذين صاروا يقبلون عليه أفواجا –كما ذكرنا– من كل ناحية ومكان بعد تفشي خبره وذيوع مناقبه[1].

---

[1]تنظر مفصلة عند: النعمان، المصدر نفسه، ص: 3638، 48. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1118. المقريزي، المصدر نفسه، ص:26.

[2]يستنتج هذا من: النعمان، المصدر نفسه، ص: 78109.

[3]ينظرون عند: إبن خلدون، المصدر نفسه، 35/4، 36، 37. النعمان، المصدر نفسه، ص: 49، 50. إبن الأثير المصدر نفسه، ص: 1118، 1119.

[1]النعمان، المصدر نفسه، ص: 49.

فلم يحدثهم بداية إلا بظاهر فضائل علي بن طالب (رضي الله عنه)[1] لا باطنها: هذا الظاهر الذي يتماشى وذهنية البربر البسيطة جدا، المتعودين على الاخذ به فقط في حياتهم وتفكيرهم، بحكم نمط الحياة الاجتماعية السائد والقائم على البداوة التي كانت غالبة على أهل المغرب منهم، إذ لم يكونوا يعانون الحضارة كما ذكر ابن خلدون[2].

فضلا عن إلزامهم وحضهم دوما في "الاقبال على الصلاة والصيام، وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي، وصلاح الأحوال"[3] لإيصال صورة إليهم مفادها: بأنه لا يدعو إلا لمحاسن الأخلاق من الشريعة، ولا لحكم أو سلطة سياسية.

إن هذا كان مقصودا من قبل الداعي ابتغاء كسب قلوب وعقول أقصى ما يمكن من الأشياع والأصحاب إلى خطابه الدعوي، ثم تهيئتهم لأجل قبول كل ما يصدر عنه لاحقا بالتتابع تبعا لتفاوت ظروف ومعطيات كل مرحلة معنوية كانت أو مادية يمر بها أي مدعوكل ذلك يفهم من النص الذي انفرد بإيراده أقدم مؤرخي الدعوة الإسماعيلية القاضي النعمان حين قال عن أبي عبد الله الشيعي بـأنه كان "إذا رأى الواحد منهم بعد الواحد [من الأتباع البربر المدعوين] قد لقن عنه وأحس فيه ما يريده، ألقى إليه شيئا بعد شيء حتى يجيبه فيأخذ عليه"[4].

لينتهي خطابه لهم خلال هذه الخطوة في الكلام عن المهدي المنتظر[5] من ذرية الرسول (صلى الله عليه وسلم)[1] القريب الظهور جدا: فكان لا يفضي بالحديث عن هذا المهدي لأحدهم إلا بعد علمه وتيقنه من بلوغه حالة دالة على الاستجابة المطلقة؛ يفهم ذلك من بداية النص المقتبس حرفيا السالف الذكر إلى كلمة "حتى يجيبه" منه.

كما يفهم هذا المعنى كذلك من الطرف الأخير للنص المذكور المتمثل بالذات في كلمة "فيأخذ عليه": بمعنى على المدعو أن يأخذ بعقيدة الايمان بالمهدي ومتعلقاته وكل ما يدعوه إليه باستمرار ويعتقده اعتقادا راسخا من الداعي الاسماعيلي أبي عبد الله الشيعي.

---

[1] المصدر السابق، ص: 49.
[2] إبن خلدون، مقدمة، 954/3.
[3] النعمان، المصدر نفسه، ص: 53.
[4] النعمان، المصدر نفسه، ص: 49. إبن عذاري، المصدر نفسه، 127/1. المقريزي، إتعاظ...141/1.
[5] النعمان، المصدر نفسه، ص:48. إبن عذاري، المصدر نفسه، 127/1، 128. المقريزي، المصدر نفسه، 141/1. إبن خلدون، المصدر نفسه، 37/4.
[1] النعمان، المصدر نفسه، ص: 58.

عبر استقرائنا للطرق والوسائل المستخدمة من طرف الداعي الشيعي طيلة الخطوة تلك، فإننا نجدها لا تخرج عن:

إستعمال الكذب باختلاق ووضع «نص مقدس» أو «حديث ديني» لا سند له تماما، والذي هو من قسم الاحاديث المخبرة بالغيب عند علماء الحديث؛ محتواه مدح لقبائل كتامة: الذين سيحصل لهم شرف النصرة للمهدي المنتظر لأنهم أهل له، كما هو لفظ هذا الحديث الآتي: "إن للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان، في زمان محنة وافتتان، ينصره فيها الاخيار من أهل ذلك الزمان قوم مشتق اسمهم من الكتمان"[1].

فعلا فإن الأمر مكذوب، إذ الحقيقة أن لا نص مقدس ولا حديث ديني هناك، بقدر ما هو خطة جاهزة سلفا قد حبكت بين الداعي وعبيد الله (المهدي)، دل على هذا تواصلهما سرا عهدئذ[2].

إنه المهدي الذي سيكون ظهوره قريبا جدا عقب اندلاع الثورة، ويصير أس ثمارها ونتائجها كل ذلك بغية بعث روح الاستماتة في الاتباع، والاستعداد للتضحية بكل نفس ونفيس، بالتالي ضمان النصر والتمكين للمذهب.

واستخدامه لأسلوب المخادعة والتحايل مع اتباعه: حيث قال عنه المقريزي واصفا إياه بأنه "كان جلدا محتالا قد علم الحيل"[3]؛ كما تبين هذا جليا في الخطوة الأولى السالفة الذكر: حين لم يفصح لمرافقيه وقتها عن مبتغاه وقصده الحقيقي المتمثل في الاستقرار معهم على أرضهم وديارهم لتقوم مرحلتا الدعوة والدولة الإسماعيلية على حساب أبنائهم ومقدراتهم، بل تظاهر بأن محطته معهم تنتهي بمصر، وإن أصروا عليه أن يواصل رحلة الإياب والعودة برفقتهم حتى مستقر إقامتهم مع بني قومهم وقبائلهم[1]؛ حتى يكونوا هم الذين ألحوا عليه في المجيء معهم وليس هو، وبهذا يتسنى له اختيار مدى حبهم له ورضاهم عنه.

---

[1]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1118. النعمان، المصدر نفسه، ص: 48.

[2]إبن خلدون، المصدر نفسه، 38/4، 39. إبن عذاري، المصدر نفسه، 139/1. المقريزي، المصدر نفسه، 144/1. المقريزي، كتاب المقفى...ص: 36، 37. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص:1119، 1120.

[3]المقريزي، المصدر نفسه، ص: 26.

[1]النعمان، المصدر نفسه، ص: 38-47. المقريزي، إتعاظ...141/1. إبن عذاري، المصدر نفسه، 125/1. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص:1118. المقريزي، كتاب المقفى...ص:26.

إتخاذه اللسان العربي الفصيح وقوة البيان كطريقة في مخاطبة الأشياع والخصوم فضلا عن مسلك الجدل في التحاور بالأخذ والرد بالنسبة لمناقشة الأمور والقضايا كلها فكان أن سلب عقولهم كما ذكر ابن عذاري[1]، إذ كان ذلك هو مراده وقصده من غير شك.

تظاهره بالزهد عن الدنيا، فضلا عن التقوى والخشية لله تعالى، زد على ذلك التزامه الكامل بتعاليم الدين الواجبة والمستحبة[2]؛ كل هذا حتى يملك قلوب الاتباع فتزداد هيبته في صدورهم، وتكبر جلالته في أعينهم.

وإن كنا نرى بأن وصف هذا الداعي بتلك الشمائل والأخلاق الحسنة هو وصف ليس في محله: بمعنى أنه لم يكن متصفا بها حقيقة وواقعا بقدر ما كان منتحلا لها ومدعيا إياها بدليل تصرفاته المناقضة لها تماما انفردت وحفلت بتسجيلها مصادر سنية بعد التمكين لدعوته، دون الشيعية الاسماعيلية بحكم منقبيتها وانحيازها فدعائيتها المتميزة بعدم إيرادها إلا الجوانب الإيجابية للأشخاص المترجم لهم وتعمد إخفاء السلبية منها.

نذكر من هذه التصرفات المشينة: ما سجل فيما يخص استباحة مدينة الأربس وقتل من نجا منها والتجأ إلى مسجدها من أهلها[3]، وكذا حرقه لمدينة بلزمة[4] وقتل رجالها بعد أن رضي بطلبهم في الأمان، لكنه غدر بهم ووضع السيف فيهم وانتهبها[5]، فضلا عن احراقه قرى وإفساد لمقدارت من نعمها...[1] زد على ذلك غدره أيضا بأهل تيهرت وقتلهم جميعا ثم التمثيل بهم بعد أن دخلها بالأمان[2].

ضف لذلك عمله أيضا على ذيوع وتفشي الفكرة المهدوية الاسماعيلية بين المدعوين في أواخر هذه الخطوة من الدعوة[3] لأجل جلب أقصى ما يمكن من الأنصار من جهة، فضلا

---

[1] إبن عذاري، المصدر نفسه، 125/1.

[2] مظاهر ذلك كثيرة، فلتنظر عند: النعمان، المصدر نفسه، ص: 42، 53، 57، 58، 79، 118-132. المقريزي إتعاظ...142/1. المقريزي، كتاب المقفى...ص: 28. إبن خلدون، المصدر نفسه، 35/4.

[3] إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1122. إبن خلدون، المصدر نفسه، 39/4. إبن عذاري، المصدر نفسه 1/ 146، 147.

[4] بإفريقية، تقع غرب القيروان وتلي مدينة سطيف مباشرة؛ أهلها عهدئذ من المخالفين على بني الأغلب. اليعقوبي، كتاب البلدان، ص: 350، 351.

[5] إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1121.

[1] إبن عذاري، المصدر نفسه، 145/1.

[2] المصدر السابق، 153/1.

[3] إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1119. إبن عذاري، المصدر نفسه، 127/1. إبن خلدون، المصدر نفسه، 37/4. المقريزي، إتعاظ...143/1. المقريزي، كتاب المقفى...ص: 29. النعمان، المصدر نفسه، ص: 48، 58، 62، 65.

عن التعجيل ببدء الثورة المسلحة من جهة ثانية.

تتمثل خلاصة هذه الفكرة في: خروج قريب جدا[1] لإمام مهدي معصوم[2] من قبل الله تعالى عن الخطأ والظلم إطلاقا، متحذر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)[3] وأحد عقبي علي وفاطمة[4] (رضي الله تعالى عنهما)، ينصره المغاربة من بلاد كتامة[5]، فيملك الأرض[6] ويفتح بهم الدنيا كلها[7] فيملأها عدلا ورحمة[8]، ليعقب ذلك مباشرة ظهور علامتين من علامات الساعة الكبرى: ألا وهي خروج الأعور الدجال، فنزول الرسول عيسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ليقتله[9].

وإن كان هذا العمل الذي أنجزه الداعي الإسماعيلي أبو عبد الله ما هو إلا مخادعة ومكر بالأتباع؛ فكله مدبر ومختلق إذ الهدف الحقيقي منه هو الحكم والتسلط على رقاب الناس، مادامت هذه الخوارق والكرامات التي هي في حق المهدي لم يتحقق ولو جزء منها: فلا عصمة تحققت، ولا ملكا للأرض والدنيا وقع، ولا خروجا للدجال المنتهي بقتل عيسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) له حدث...

بل كان جزاء كل هذا المجهود المضني والعمل الشاق الذي قام به هذا الداعي وقدمه للإمام المهدي في شكل دولة جاهزة تماما أن صفي جسديا وقتل من قبله سنة298هـ/910م[1] في ظروف لا زالت غامضة وتحتاج لدراسات تميط اللثام عنها توضحها وتتحرى الصواب فيها.ثالثها وأخيرها: خطوة المواجهات المسلحة بين الطرفين[2](بعيد 290 هـ/902م–297 هـ/909م) المنتهية بالسنة المذكورة التي وضعت بها المعارك بينهما

[1]المقريزي، إتعاظ...143/1. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1119. إبن خلدون، المصدر نفسه، 37/4.
[2]النعمان، كتاب المجالس...ص: 399.
[3]النعمان، كتاب افتتاح...ص: 58.
[4]المصدر السابق، ص:65.
[5]المصدر السابق، ص: 48. المقريزي، كتاب المقفى...ص:27. إبن عذاري، المصدر نفسه، 127/1.
[6]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1119.
[7] إبن عذاري، المصدر نفسه، 127/1.
[8]النعمان، المصدر نفسه، ص:66.
[9]المصدر السابق، ص:66.
[1]إبن الأثير، المصدر نفسه، ص:1123. إبن عذاري، المصدر نفسه، 164/1. إبن خلدون، المصدر نفسه، 41/4. المقريزي، إتعاظ...150/1. النعمان، المصدر نفسه، ص: 316.
[2]تنظر مبسطة في: المصدر السابق، ص: 84 فصاعدا. إبن عذاري، المصدر نفسه، 138/1 فصاعدا. إبن الأثير المصدر نفسه، ص: 1119 فصاعدا.

أوزارها ووصل الإمام المهدي إلى إفريقية قادما من سجلماسة رفقة داعيته أبي عبد الله واتباعهما[1] بعد دحرهم للأغالبة والقبائل البربرية الموالية لهم نهائيا.

ليخوض نطاق المغرب الاسلامي تجربة جديدة، لم يسبق أن عرف شبيها لها على المستوى السياسي: من حيث حكمه من طرف دولة كبرى ستتخذ من هذا النطاق مقرا لها كل هذا عبر سلطة عليا على رأس هرمها حاكم «مقدس» وصاحب صلاحيات مطلقة مبررة مذهبيا.

إن أول حاكم موصوف بهذا الشكل من النعوت ظهر بالمغرب حتى هذا العهد هو المهدي بالله مؤسس الدولة الشيعية الاسماعيلية به انطلاقا من سنة 297هـ/909م المختلف في نسبه: بين مثبت لعلويته بعبيد الله (المهدي بالله) بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنهم) كما ذكرنا، وبين ناف لها باعتباره أحد عقب الاسرة القداحية اليهودية[2].

وإن كنا لم نعثر على قراءة ترجيجية علمية بالنسبة للرأيين السالفين، اللهم إلا افتراضات وادعاءات لهذا الفريق أو ذاك، بحيث لا ترقى إلى حجج وأدلة مقنعة وإن اتفق على اعتباره أول أئمة الظهور أو الأئمة الظاهرين[1] بعد مرحلة الستر أو الأئمة المستورين قبله المذكورين أعلاه.

ثم ليخوض المغرب الاسلامي كذلك تجربة جديدة أولى لكن على المستوى الديني: بوجود مذهب عقدي جد متميز، عملت تلك الدولة الناشئة على نشره بين صفوف المغاربة بحيث ستكون معالمه الكبرى موضوع دراستنا ضمن المبحث الآتي.

2-عقيدة الإمامة أو الولاية والحكم في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي

إن قطب المذاهب العقدية والفقهية لفرق الشيعة الكثيرة جميعها وبلا استثناء ومحورها الأساس هو قضية «الإمامة أو الولاية والحكم، نظرا لهيمنتها على كل مناحي الحياة: فردية كانت أم جماعية، روحية أم مادية، دينية أم اجتماعية؛ فضلا عن السياسية: حيث اعتبرت السلاح الأوحد الذي اعتمدت عليه تلك المذاهب في مواجهة الأمويينبداية

[1] النعمان، المصدر نفسه، ص: 290.
[2] المقريزي، كتاب المواعظ...180/2، 181. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1116-1118.
[1] إدريس القرشي، المصدر نفسه، السبع الرابع، ص:404.

فالعباسيين لاحقا[1].

إذ تعتبر فرقة الشيعة الاسماعيلية-مسألة دراستنا هذه- إحدى تلك الفرق التي حضيت الإمامة عندها بمثل هذا الوزن والأهمية، حتى قال عنها أحد منظريها بأنها: "المركز التي تدور عليه دائرة الفرائض، فلا يصح وجودها إلا بوجوده، ولا تثبت صحتها إلا بصحته"[2].

لأجل هذه المكانة الكبرى المميزة التي اضطلعت بها تلك القضية عندها، فإننا سنحصر حديثنا بشيء قليل من التفصيل عليها، ولا نعرج على غيرها من القضايا العقدية- ما عدا مطالبها أو متعلقاتها الكبرى الثلاثة التي سنأتي على بيانها- إلا استثناء.

2أ-الإمامة وموقعها في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي

إن المقصود الاصطلاحي بالإمامة عند هذه الفرقة: هو حق الولاية والحكم للأمة الاسلامية بالتتابع من قبل علي وأبنائه من فاطمة حتى المهدي عبيد الله، الذين سبق وأن أوردنا تسلسلهم واحدا واحدا، ليتنهي ويستقر عند الإمام العاضد[1] آخر أئمة الدولة الاسماعيلية بمصر[2].

تعد الإمامة عندهم أحد أركان أو دعائم الاسلام، بل هي أفضلها على الاطلاق لاحتلالها المقام الأول وصدارة الترتيب في النص الديني الذي ذكره القاضي النعمان ناسبا إياه إلى الإمام المعز لدين الله بقوله:"...روينا عن أبي جعفر [الباقر] محمد بن علي أنه قال: بني الإسلام على سبع دعائم: الولاية...والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج والجهاد"[3].

بخلاف ما يعتقده المذهب السني فيما يخص هذه المسألة: حين اعتبر ركنالشهادتين (لله تعالى بالألوهية، ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة) هو منيحتل المقامالأولهذا والصدارة في الترتيب، مع احتفاظه ببقية الأركان وملغيا

---

[1]حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1366 هـ/1947م، ص: 280.

[2]الشيرازي هبة الله بن موسى، المجالس المؤيدية، تلخيص: حاتم بن ابراهيم الحامدي، تحقيق: محمد عبد القادر عبد الناصر، دار الثقافة، القاهرة ط1975، ص:65.

[1]ينظر إلى تسلسلهم هذا عند: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل ببيروت ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط14، 1416 هـ/1996م، 151/3-162. 168/4-186.

[2]المرجع السابق، 186/4.

[3]النعمان، دعائم... ص:2.

الأخير منها[1].

بل قدرها كل من العالمين الشيعيين: الحلي الإثنا عشري[2] والشيرازي الإسماعيلي صراحة بأنها أهم المطالب في أحكام الدين، وأشرف مسائل المسلمين، فضلا عن كونها أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمان[1].

من هنا لزم من أهمية الإمامة تلك عند الاسماعيلية على المكلفين أن لا يقبل الله تعالى منهم عملا دينيا مطلقا عملوه قوليا كان أم فعليا إذا أنكروها ولم يؤمنوا بها؛ بل يكفيهم إثباتها والإيمان بها فقط من غير القيام بأي عمل قط في دخولهم الجنة وصيرورتهم من أهل السعادة[2].

وإن كان ركن الإيمان بالله وبرسوله هو أهم تلك المسائل عند أهل السنة لأدلة: كالإجماع والمعلومية من الدين بالضرورة، وغيرها من النصوص القرآنية والحديثية المستفيضة، فضلا عن الأدلة العقلية[3]،بالتالي فملزومهم هذا باطل في اعتقاد هؤلاء الأخرين.

وإن كان القرآن الكريم الذي يؤمن به المذهبان فيصدقان بكل ما فيه هو في صالح الطرف السني– عند الترجيح– لا الإسماعيلي، بحكم غناه في إيراد ركن الشهادتين والثناء

---

[1]وإن كانت أحاديث المذهب تعدد خمسة أركان أو دعائم لا سبعة. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب دعاؤكم إيمانكم لقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، دار الغد الجديد، المنصورة بمصر، ط 1 1423 ه/2002م، ص:11، حديث رقم: 8. مسلم أبو الحسين ابن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط1419 ه/1998م، ص:40، حديث رقم: 21. الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء: بني الاسلام على خمس، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1422 ه/2002م، ص: 738، حديث رقم:2014. النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب: على كم بني الاسلام، دار ابن حزم، بيروت، ط 1 1420 ه/1999م، ص: 715، حديث رقم: 5003.

[2]وتعرف أيضا بالجعفرية أو الإمامية، وهي فرقة أساسية من فرق الشيعة التي يدين بها غالبيتهم اليوم؛ سميت كذلك لأنها تسوق الإمامة- بالمواصفات المذكورة- في اثني عشر إماما مرتبين كالآتي: علي المرتضى- الحسن الزكي- الحسين الشهيد- علي زين العابدين- محمد الباقر-جعفر الصادق- موسى الكاظم- علي الرضا-محمد الجواد-علي الهادي- الحسن العسكري- محمد المهدي (المنتظر). عبد القادر صالح، العقائد والأديان، دار المعرفة، بيروت ط 2، 1427 ه/2006م، ص:9-23.

[1]الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة الرياض، ط1، 1424/02/06 ه، 46/1. الشيرازي هبة الله، المصدر نفسه، ص: 62-63، 124. وللوقوف على أدلتهم الكثيرة الأخرى المتبقية، يرجع إلى: النعمان، دعائم...ص: 3-11.

[2]النعمان، كتاب المجالس...ص:378،379،380،381.

[3]للوقوف عليها، يرجع إلى: إبن تيمية، منهاج...47/1 فصاعدا.

على كل من تلبس وأقر بهما ضمن آياته[1]، وهو ما لم يرصده إذا تعلق الأمر بالإمامة، ولو مرة واحدة، وإن عن طريق الإيحاء والإشارة، مادام الاحتكام إلى الأحاديث بغية الترجيح بينهما غير ممكن: لأن كل طرف لا يوافق على مصداقية أحاديث الطرف الآخر غالبا، أو يقرأ بقيتها قراءة غير قراءته.

2ب-الإمامة والنص في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي

كما انفردت الإمامة عند كل فرق الشيعة بما فيها الاسماعيلية بميزة وخاصية كبرى ثانية عن سائر المذاهب العقدية الأخرى: كونها توقيفية بمعنى أنها منصوص عليها بالوحي من الله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم)، وإن كانت عند الفرقة الإسماعيلية مقصورة حصرا على عقب علي وزوجه فاطمة (رضي الله عنهما) المذكورين؛ مستندين في حكمهم هذا إلى نصوص دينية قرآنية وحديثية مستفيضة: منها ما هو منسوب إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإلى علي بن أبي طالب، وإلى حفيده أبي جعفر محمد الباقر، وإلى ابن هذا الأخير أبي عبد الله جعفر الصادق، وإلى المعز لدين الله فإلى القاضي النعمان نفسه أخيرا[1].

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) عندهم هو الذي نص-وحيا- على علي (رضي الله عنه) أن يكون إماما من بعده ووصيا له على الدين[2]، وأن عليا نص بها على الحسن وهذا الأخير على الحسين، وهكذا من كل إمام سابق إلى اللاحق حسب الترتيب التصاعدي للأئمة الاسماعيليين الذين ذكرناهم[3].

وهذا بعد اعتمادهم في ذلك على نصوص دينية هي بمثابة أدلة وحجج إلى ما ذهبواواعتقدوه[4]، لكن المذهب العقدي السني نازعهم في تلك الأدلة وخالفهم في الاستدلال بها على المراد: بعدم صحة بعضها تارة، وعدم دلالة بعضها الآخر على المطلوب تارة أخرى أفضل من وقفنا عليه ممن توسع في بيان ذلك بجلاء وتبسيط شديد هو العالم السني

---

[1] من بين هذه الآيات نجد: الآيتان (2-4) من سورة الأنفال. الآية15 من سورة الحجرات. الآية177 من سورة البقرة.

[1] لتنظر عند: النعمان، المصدر نفسه، ص: 303، 314، 364، 368، 377، 481، 489. النعمان، دعائم...ص: 5 12، 13، 14، 15، 20- 45، 46، 50، 53، 54، 55، 56، 57. النعمان، آداب...ص:15، 20- 23، 29- 34.

[2] النعمان، كتاب المجالس...ص: 298، 299، 397. الشيرازي هبة الله، المصدر نفسه، ص: 118. النعمان دعائم...ص: 3، 15، 16، 19، 20.

[3] الشيرازي هبة الله، المصدر نفسه، ص: 118.

[4] تنظر بالتفصيل عند: النعمان، دعائم...ص: 14 فصاعدا. وبالتفصيل أكثر لم أقف على نظير له عند: الحلي، المصدر نفسه، 3/207-249. 7/4 فصاعدا.

ابن تيمية خلال سياق ردوده الطويلة جدا غطت مئات الصفحات على مؤلف „منهاج الكرامة..."لصاحبه الحلي الشيعي[1].

فتلك النظرة إلى الإمامة إذن من قبل فرق الشيعة عموما والاسماعيلية خصوصا هي التي ألزمتهم التبرؤ من الصحابة والقدح فيهم: لأن من الصحابة-في اعتقادهم- من تولى إمامة المسلمين بدل علي واغتصبها منه كأبي بكر وعمر وعثمان[2]؛ وبقية غفيرة منهم لم تسانده في حربه مع معاوية: سواء بوقوفها ضده، أو لزومها الحياد.

اللهم إلا نسبة قليلة جدا تفاوتت مصادر المذاهب الشيعية القديمة والمتأخرة في تعداد أفرادها من هؤلاء الصحابة وذكر أسمائهم بين: من اكتفت بواحد فقط هو: المقداد ابن الأسود؛ ومن زادت عليه: سلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري؛ وثالثة مضيفة: عمار بن ياسر؛ وأخيرة ذكرت فضلا عن هؤلاء: جابر بن عبد الله، وحذيفة بن اليمان، وأبا الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وأبا أيوب الأنصاري، وعبد الله بن الصامت، وعبادة بن الصامت، وخزيمة بن ثابت، وأبا سعيد الخدري[1].

لا نستبعد بأن الوقوف إلى جانب علي في حربه مع معاوية والمساندة له، هو القاسم المشترك لهذه القلة من الصحابة المذكورين في اعتداد الشيعة بهم وتوليهم؛ لا كما نظر أهل السنة إليهم: فأحبوهم جميعهم، وفضلوهم على سائر الخلق[2] بعد الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، لأن من أصولهم العقدية "سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"[3] لأدلة كثيرة قرآنية وحديثية في حقهم ومزايا انفردوا بها[4].

كما آمنوا بتفاوتهم في الفضائل والمراتب[5]، إذ الخلفاء الراشدون هم قمتها: أبو بكر على رأسها، ليليه في الدرجة عمر، فعثمان، فعلي[6] (رضي الله عنهم).

---

[1]إبن تيمية، المصدر نفسه، 3/207-249. 4/7-535.

[2]إبن خلدون، مقدمة، 2/572، 573.

[1]فيصل نور، الإمامة والنص، دار الصديق، صنعاء، ط1، 1425 هـ/2005م، ص:707-709. إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط12، 1406 هـ/1982م، ص: 49. النعمان، المصدر نفسه، ص: 52.

[2]محمد بن صالح العثيمين، المرجع نفسه، ص:457.

[3]إبن تيمية، العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الرياض، ط4، رمضان1427 هـ، ص:457.

[4]تنظر في: المرجع السابق، ص: 457-474.

[5]تنظر بأدلتها في: المرجع السابق، ص: 462-470.

2ت-الإمامة والعصمة في المذهب العقدي الشيعي الاسماعيلي

إن عقيدة الإمامة عند الشيعة الاسماعيلية لا تكتمل وتصح من معتنقيها إلا إذا استوفت ثلاثة أركان من: حصر أئمتها وتعيينهم أولا، ثم النص عليهم واحدا واحدا بدءا من السابق على اللاحق-كما ذكرنا- فالعصمة ثالثا وأخيرا.

قد نجمل الدلالة أو المفهوم الشرعي للعصمة عند فرق الشيعة جميعهم في: عدم جواز الخطأ ولا النسيان ولا المعاصي صغائر كانت أم كبائر مطلقا على المعصوم، طيلة الحياة وفي كل الأحوال[1]، وإن كان قد نازعها حول هذا التعريف جمهور وعلماء المذهب العقدي السني، حين أوردوا تعريفا مغايرا: مقيدا لا مطلقا، وفي حالة التبليغ، وخلال مرحلة من العمر فقط لا في جميع الأحوال وكل مراحل الحياة التي يمر بها المعصوم؛ خاصة: التنزيه عن الكبائر والصغائر سهوا وعمدا، مع جواز النسيان في غير التبليغ[2].

كما أن العصمة عندهم لا تنحصر وتقتصر على الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام) فقط- كما يقول أهل السنة[3]–بل تتعداهم إلى الأئمة المذكورين[4]، لأدلة وبراهين متنوعة رأوها تصلح إلى ما ذهبوا: لا تخرج عن مبدإ اللطف الالهي[5]، والعقل، وأخيرا النصوص القرآنية والأثرية المنسوبة في الغالب إلى جعفر الصادق وأبيه محمد الباقر[6].

---

[1]المرجع السابق، ص: 462. للوقوف على أدلة هذا التفضيل يرجع إلى: حافظ ابن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، خرج أحاديثه: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1 1424 ھ/2004م، 319/2-357. محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل...البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج...في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وباب من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، وباب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وباب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، دار الحديث خلف جامع الأزهر، ط1407 ھ/1986م، 123/3-133، أحاديث رقم: 1540-1559.

[1]الحلي، المصدر نفسه، 77/1.

[2]محمد حسن هيتو، الوجيز في أصول التشريع الاسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1410 ھ/1990 م ص: 288.

[3]إبن تيمية، منهاج...629/3.

[4]دلت على ذلك نصوص من مصادر القوم ذكرت هذا الحكم صراحة تارة، أو إشارةعبر مظاهر دالة على العصمة- تارة أخرى؛ لتنظر عند: النعمان، المصدر نفسه، ص: 44 فصاعدا. النعمان، آداب...ص: 90 فصاعدا.

[5]بمعنى: الإمام المعصوم يمثل مظهرا من مظاهر الألطاف الإلهية "لأن الناس إذا كان لهم إمام يأمرهم بالواجب وينهاهم عن القبيح، كانوا أقرب إلى فعل المأمور وترك المحظور، فيجب أن يكون لهم إمام، ولابد أن يكون معصوما؛ لأنه إذا لم يكن معصوما لم يحصل به المقصود؛ لأن من دعا شخصا ليأكل طعامه، فإذا كان مراده الأكل، فعل ما يعين على ذلك من الاسباب: كتلقيه بالبشر وإجلاسه في مجلس يناسبه، وأمثال ذلك؛ وإن لم يكن مراده أن يأكل، عبس في وجهه وأغلق الباب، ونحو ذلك". إبن تيمية، المصدر نفسه، 64/1. الحلي، المصدر نفسه، 77/1.

ضفإلىذلكأنالمسائلالعقديةالكبرىالمتعلقةبالتوحيدنحو:صفاته تعالى...ورؤيته في الآخرة وخلق القرآن...قد عدها المذهب الشيعي الاسماعيلي في مقام لاحق عن الإمامة ومتعلقاتها المسجلة أعلاه عكس ما ذهبت إليه كل الفرق العقدية السالفة الذكر.

وإن كان الاسماعيليون يعتقدون: بنفي الصفات[1]، وخلق القرآن، ونفي رؤيته تعالى في الآخرة[2]، معتمدون في ذلك على المعتزلة بعد تأثرهم بهم[3]؛ بحيث سنجلي هذه العقائد بوضوح أكثر عمليا عبر المناظرات وغيرها...التي ستجري بين الجانبين الشيعي الاسماعيلي والسني من خلال المبحث الأخير التالي من هذا الفصل النهائي.

3-الصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي-السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي

ما قامت به الدولة الشيعية الاسماعيلية من حين تأسيسها بالمغرب الاسلامي، وما بذلته من جهد بعد ذلك وسعت إليه، إلا من أجل تحقيق هدف كبير على المدى البعيد وسياسي صرف: متمثل في حكم العالم الاسلامي كله وتولي خلافة الأمة الاسلامية جميعها ومن ثم الحلول محل الخلافتين العباسية بالمشرق والأموية بالأندلس وقتها[4].

من هنا فإننا نعتبر هذا التأسيس أول خطوة في مسار إنجاز هذه الدولة لمثل هذا المشروع الضخم؛ بالتالي فما استنادها إلى عقائدها المتميزة المذكورة والتجائها إليها دوما وفي كل الأحوال، إلا لإضفاء الشرعية الدينية على هذا المشروع أو الهدف: ابتغاء كسب أقصى رأي عام إسلامي وقاعدة شعبية عريضة منه، مادام تجسيد الهدف مرهون بذلك.

لقد كان الصراع بين الجانبين: الجانب الحاكم المتمكن المتمثل في الاسماعيليينوالجانب المحكوم المغلوب على أمره والخاضع قهرا والمتمثل في قاعدة شعبيةمغربيةعريضة سنية الأصول والعقائد مالكية الفروع والعبادات، صراعا مريرا

---

[1] للوقوف على ردود أهل السنة على أدلتهم تلك جميعا وبشكل مستفيض، يرجع إلى: أبن تيمية، المصدر نفسه، 1/63-76. 3/510-513. 4/7-533، 628-660.

[1] الحامدي إبراهيم بن الحسين، كنز الولد، عني بتحقيقه: مصطفى غالب، دار الأندلس، ط1979، ص: 12، 13 22، 25.

[2] حيث تذهب إلى ذلك كل فرق الشيعة. علي سامي النشلر، المرجع نفسه، 2/220.

[3] إبن تيمية، المصدر نفسه، 1/44. المرجع السابق، 2/220.

[4] وهذا الهدف هو ما أفصحت عنه نصوص تاريخية ودينية موجودة باستفاضة ضمن „كتاب المجالس..." للقاضي النعمان أحد أقدم مؤرخي القوم، تنظر عند: النعمان، كتاب المجالس...ص: 44، 51، 64،65، 66، 101- 102، 106، 109 128، 142، 146، 156-157، 159-160، 163-164 وغيرها كثير...

طويلا مصيريا استمر بالتحديد خمس وستين سنة بدءا من 297هـ/909م تاريخ تأسيس الدولة إلى سنة 362هـ/972م تاريخ انتقالها إلى مصر[1]؛ مرفوقا بقسوةٍ وتطرفٍفي السياسة الداخلية للجانب الأول، وبصمود للجانب الثاني المنقطع النظير: بحيث سنقوم بتجلية ذلك وتوضيحه أكثر من خلال ما تبقى من مطالب هذا المبحث التالي.

3أ-المجال الديني للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي-السني وانعكاساته بالمغرب الاسلامي

لقد امتنع فقهاء المالكية عن حضور خطب الجمع وتأدية صلواتها، والتي يتصدرها ويتقدم إلى إلقائها أئمة الشيعة الاسماعيلية، بمجرد أن نبههم إلى ذلك أحد أئمة المالكية الكبار جبلة بن حمود[1]: حيث استقلت وتطابقت ثلاثة مصادر سنية مالكية فقط على رصد تصرفا جريئا وشجاعا سلكه "لما دخل عبيد الله القيروان، وخطب أول جمعة وجبلة جالس عند المنبر، فلما سمع كفرهم [وفي رواية المالكي: ما لا يجوز سماعه] قام قائما، وكشف عن رأسه حتى رآه الناس، وخرج يمشي إلى آخر الجامع وهو يقول: قطعوها قطعهم الله، فما حضرها أحد من أهل العلم بعد ذلك"[2]

فهل سيغض الممسكون بزمام الحكم وأصحاب الأمر والنهي في الدولة الإسماعيلية الطرف عن صاحب هذا التصرف، والذي يعد محرضا لأصحابه وأقرانه عليهم مستقبلا والمهين لهم أمام العامة، فضلا عن تنقيص لهيبتهم عندهم ؟

لا بل كان رد فعلهم أن راحوا يرسلون صاحب المحرس ليتجسس عليه مرارا في مسجده الذي كان يصلي فيه[3]؛ ولعل الذي منعهم عن قتله هو خشيتهم من ثورة العامةالقيروانية عليهم نظرا لوزنه العلمي وخصوصا العملي بين ظهرانيهم[4].

---

[1]إبن حماد الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 1984، ص:52.

[1]أبو يوسف، اشتهر بالفقه والزهد والورع؛ كان ثقة وممن لا يخشى في الله لومة لائم؛ سمع من سحنون، توفي سنة 299 هـ/911م على القول الراجح. المالكي، المصدر نفسه، 2/27-45. عياض المصدر نفسه، 1/513-517. الدباغ، المصدر نفسه، 2/270-280.

[2]المصدر السابق، 2/273. عياض، المصدر نفسه، 1/516. المالكي، المصدر نفسه، 2/42، 43.

[3]عياض، المصدر نفسه، 1/516. الدباغ، المصدر نفسه، 2/278.

[4]حيث يستشف ذلك من مراجعة محتوى ترجمته عند كل من: المصدر السابق، 2/270- 280. عياض، المصدر نفسه 2/513-517. المالكي، المصدر نفسه، 2/27-45.

بدليل أن من كان مثله في العلم من أقرانه، وإن كانوا لا يشكلون خطورة عليهم مثل خطورته، فلقد صفوهم جسديا وقتلوهم الواحد بعد الآخر ولم يستثنوا منهم أحدا: حيث طفحت بتسجيل ذلك كتب السنة وسكتت عنه الكتب الاسماعيلية، لأنه مما يتنافى والسلوك الحضاري للدول فضلا عن تشويهه للسمعة.

خاصة وأن السلطة العبيدية الحاكمة كانت قد أصدرت أمرا صارما قضى بمنع الفقهاء عن الافتاء بمذهب مالك وغيره، بل وألزم الرعية بمذهب جعفر الصادق فقط[1].

فكان من الذين قتلتهم هذه السلطة جراء التعذيب سنة 297هـ/909م كل من الفقيهين ابن البرذون وابن هذيل[2]: إذ سلط عليهما الضرب بالسوط حتى لفظهما آخر أنفاسهما، بل زيد عليهما فوق ذلك بأن طوف بهما سوق القيروان الرئيس مجرورين مكشوفين ليصلبا أخيرا[3]؛ لا لشيء إلا لتشبثهما فيما ذهبا إليه من اعتقاد بشأن موقع مكانة علي بين الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، وأنه واحد منهم فلا ميزة له عليهم[4] إجمالا لا تفصيلا.

بنفس هذا المسلك وإن بقسوة أشد تعامل ابن أبي خنزير[5] بأمر المروذي قاضي الدولة مع الشيخ العالم ابن خيرون[6] سنة 301هـ/913م: حين "أمر به فأدخل إلى مجلس وبطح على ظهره، وطلع السودان فوق سرير فقفزوا عليه بأرجلهم حتى مات"[7]، وإن لم يكتف معه بهذا، بل "وحملوه [بعد قتله] على بغل وألقوه على حفير، ونهب ابن أبي خنزير

---

[1]إبن عذاري، المصدر نفسه، 159/1.

[2]هو أبو بكر، كان شديد الورع متميزا بالفقه والنظر. المالكي، المصدر نفسه، 41/1-51. الدباغ، المصدر نفسه أكمله وعلق عليه: التنوخي أبو القاسم بن عيسى، وفي آخره: ذيل معالم الإيمان المسمى تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، لمحمد بن صالح بن علي عيسى الكتاني، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1426 هـ/ 2005م، 146/2-148.

[3]إبن عذاري، المصدر نفسه، 154/1-155.

[4]المصدر السابق، 155/1.

[5]حسن- أو الحسين- بن أبي خنزير؛ كما نفهم من سياقات التراجم التي ورد فيها: بأنه كان واليا على القيروان من قبل عبيد الله المهدي. الخشني، المصدر نفسه، ص: 216. المالكي، المصدر نفسه، 53/2، 54. الدباغ، المصدر نفسه 160/1، 161.

[6]المعافري الأندلسي أبو جعفر محمد بن محمد، عرف بالفقه والصلاح وكثرة العبادة، إستوطن القيروان إلى أن مات بها مقتولا من قبل السلطة الاسماعيلية سنة301 هـ/ 913م على القول الراجح كما دلت نقيشة قبره. الدباغ، المصدر نفسه 160/2. المالكي، المصدر نفسه، 52/2-54. الخشني، المصدر نفسه، ص: 175، 233. إبن عذاري، المصدر نفسه، 169/1.

Roy E. poinssot p. inscriptions arabes de Kairouan, Tunis, Public de I.H.E.T 1950-1958 inscription n°93.

[7]الدباغ، المصدر نفسه، 160/2. المالكي، المصدر نفسه، 54/2.

ماله، وأخذ مولدة كانت له وجعلها مع خدمه"[1].

الملاحظ على علماء هذا المذهب العقدي السني بالذات وخصوصا الاتجاه المالكي منه، أنهم ما توقفوا عن التصدي لمثل هذا التسلط والعنف الديني الاسماعيلي حتى ولو كلفهم الموت طيلة تواجده بالنطاق: ففي سنة 309هـ/921م نجد الفقيه الزاهد أبو علي حسن بن مفرج يفضل الموت على البقاء في حالة لا يحل شرعا مقام المسلم عليها متحملا القتل والصلب جراء خروجه الفاشل رفقة أقران وأنصار له على السلطة العبيدية يومها[2].

يضاف إلى ذلك، ما لحق بالفقيه محمد بن العباس الهذلي في تاريخ لاحق وتحديدا سنة 311هـ/923م: حيث ضرب بالدرة عريانا حتى جرى الدم من رأسه، وبرح عليه في جميع أسواق القيروان، وطيف به عريانا على حمار؛ كل هذا لا شيء إلا لأنه أصر على تشبته في الإفتاء على مذهب الإمام مالك[3].

كما أنه وبزمن متأخر قليلا وبالضبط سنة 334هـ/946م كان هناك رد فعل جريء وشجاع أيضا سلكه معها ربيع القطان[4]: حين خرج مع من خرج، وبالتزامن مع خروج ابن ابن كيداد المعروف بصاحب الحمار[5] عليها كذلك، مستغلا هذه الفرصة وكله شوق لنيل الشهادة، وإن أصر العبيديون على القبض عليه حيا ليمعنوا في تعذيبه، بحكم ما كانت تحمله قلوبهم من غيظ وانتقام تجاهه؛ إلا أنهم لم يستطيعوا ذلك بعد أن أثخن فيهم ضربا وطعنا بالسيف فقتل منهم الكثير وهو ابن ست وأربعين سنة؛ هذا ما اضطرهم لقتله، فالتمثيل به لاحقا بأن "أخذوا رأسه، ومضوا به إلى إمامهم، فطيف برأسه"[6].

---

[1]الدباغ، المصدر نفسه، 160/2. المالكي، المصدر نفسه، 54/2.

[2]الدباغ، المصدر نفسه، 196/2، 197. إبن عذاري، المصدر نفسه، 187/1. وإن كان المصدر الأخير هذا يعلل قتله مع زميل له بتفضيلهما بعض الصحابة على علي (رضي الله عنهم).

[3]المصدر السابق، 188/1. عياض، المصدر نفسه، 47/2.

[4] أبو سليمان ربيع بن عطاء الله، عدّ من كبار الفقهاء والعباد المجتهدين؛ وهو ممن له باع في القرآن والحديث وعلومهما مال في مرحلة أخيرة من حياته إلى علم الباطن والتنسك. المالكي، المصدر نفسه، 323/2-346. عياض، المصدر نفسه، 33/2-39. الدباغ، المصدر نفسه، 31/3-36.

[5] أبو يزيد مخلد بن كيداد من قبيلة يفرن الزناتية، حفظ القرآن في طفولته ليشتغللاحقابتعليم الصبيان بتاهرت، كما تبنى المذهب الإباضيالنكاري وأشعلها ثورة على الدولة العبيدية من سنة 332 هـ/ 943م حتى 336 هـ/ 947م تاريخ انهزامه وقتله قتلة بشعة. السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه، 624/2-631.

[6]إبن عذاري، المصدر نفسه، 38/1.

إن هذا الذي ذكرناه عن تعذيب وقتل لمناذج من علماء سنيين هو قليل من كثير[1] لأننا وجدنا أبا الحسن القابسي بنقله عن المشائخ الذين أدركهم، يذكر بأن "الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله إلى الآن أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد، وعالم، ورجل صالح"[2].

لا نرى بأن هذه النسبة العالية مبالغ فيها، ما دام أن الأمر ليس له تعلق بالعلماء السنيين المالكيين فقط، بل تعداه إلى غيرهم من علماء المذاهب السنية الأخرى، والعباد الصالحين...

لقد دل تصرف العبيديينالفضيع هذا مع خصومهم وخصوصا العلماء السنيين المالكيين، لا على مدى الظلم والتسلط في حقهم، بل وأيضا على مدى قساوتهم ووحشيتهم في تعذيبهم وقتلهم، ثم التمثيل بجثثهم[3]؛ لأنهم رأوا بأن المذهب السني المالكي الذي مثلوه ودانوا الله تعالى به هو سبب سيادته بالنطاق والعقبة الكأداء الوحيدة التي تحول دون تجسيد دولتهم، بالتالي فلا تفوق وظهور لهم إلا بتصفيتهم وإزالتهم أصلا.

إن ظاهرة الوقوف الثابت المستمر في وجه المذهب الشيعي الإسماعيلي المسلط قسرا من قبل الدولة العبيدية بالنطاق، والرفض التام له من طرف أهل المغرب السنيين عهدئذ، رغم النتائج الوخيمة الخطيرة لذلك عليهم حتى وإن وصلت إلى إزهاق أرواحهم، لم تبق مقتصرة على العلماء منهم، بل تجاوزتها إلى من دونهم مكانة.

رصد لنا ابن عذاري نموذجا لذلك، حين روى بأنه قد:"خرج في دولة عبيد الله شيخ للسفر ومعه خيل، فباتوا في مسجد بخيولهم، فقيل لهم: كيف تدخلون خيولكم المسجد؟ فقال لهم الشيخ وأصحابه: إن أرواثها وأبوالها طاهرة لأنها خيل المهدي، فقال لهم القيم بالمسجد: إن الذي يخرج من المهدي نجس! فكيف الذي يخرج من خيله؟ فقالوا له: طعنت على المهدي، وأخذوه وذهبوا به إليه، فأخرجه عشية جمعة فقتله"[4].

---

[1]تنظر بقية هذه النماذج التي ليست بالقليلة موثقة بالمصادر عند: مرمول محمد الصالح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1983، ص: 141-150.

[2]الدباغ، المصدر نفسه، 35/3. المالكي، المصدر نفسه، 345/2.

[3] المرجع السابق، ص: 145.

[4]إبن عذاري، المصدر نفسه، 284/1.

كل هذا إذن هو من أجل تحقيق مقصد واحد: ألا وهو طمس المذهب السني عقديا وشعائريا، والقضاء عليه نهائيا عبر واسطتين لا ثالثة لهما؛ أولاهما واسطة العلماء الذي لا يمكن بقاء أي مذهب أو نحلة، فضلا عن انتشاره إلا بها: إذ هم المعول عليهم أساسا فيما يخص هذه المهمة.

وثانيهما واسطة الشعائر التعبدية السنية الممارسة، والتي ما فتيء الاسماعيليون يعملون منذ أن وطئت أقدامهم نطاق المغرب على محوها منه: تارة بإزالتها، كما حدث مع بداية نشأة دولتهم بإسقاطهم صلاة التراويح أو القيام في شهر رمضان[1]، لأنها - حسب معتقدهم- من فعل عمر[2] (رضي الله عنه)، لا من فعل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الواجب الاقتداء به وحده فقط من بين سائر الصحابة (رضي الله عنهم)[3]؛ زد على ذلك إبطالهم شعيرة الحج إلى بيت الله الحرام بدءا من سنة 317هـ/929م[4]، وإسقاط صيغة „الصلاة خير من النوم„ عند رفع أذان الصبح[5].

---

[1] إبن حماد الصنهاجي، المصدر نفسه، ص: 27. إبن عذاري، المصدر نفسه، 51/1. المالكي، المصدر نفسه، 52/2.

[2]في اعتقاد المذهب السني: أن الذي شرعها وفعلها هو رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وليس عمر(رضي الله عنه)بدليل الحديث الذي روته السيدة عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها): "أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج من جوف الليل فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك، فاجتمع أكثر منهم، فخرج رسول الله في الليلة الثانية، فصلوا بصلاته، فأصبح الناس يذكرون ذلك، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فطفق رجال منهم يقولون: الصلاة! فلم يخرج إليهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى خرج لصلاة الفجر، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، ثم تشهد، فقال: أما بعد، فإنه لم يخف عليّ شأنكم الليلة، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل، فتعجزوا عنها". مسلم، المصدر نفسه، كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ص: 300، حديث رقم: 761. وباب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح، ص: 299، 300، حديث رقم: 761. البخاري، المصدر نفسه، كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، ص: 173، حديث رقم: 924. وكتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان، ص: 363. حديث رقم: 2012. إنما تمثل دور ابن الخطاب (رضي الله عنه) في كونه أول من أحيى هذه الشعيرة، طبقا لما أخبر به عبد الرحمان بن عبد القاري حين قال: "خرجت مع عمر بن الخطاب في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع (بمعنى جماعات) متفرقون؛ يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصَلّـى بصلاته الرهط (ما بين الثلاثة والعشرة من الرجال)؛ فقال عمر: والله إني لأراني لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، فجمعهم على أبيّ بن كعب؛ قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر: نعمت البدعة هذه..." مالك بن أنس الموطأ، كتاب الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت، د.ت، 114/1، حديث رقم: 3. الفيروزآبادي المصدر نفسه، ص: 668، 770.

[3]إبن عذاري، المصدر نفسه، 152/1.

[4]إبن حماد الصنهاجي، المصدر نفسه، ص: 28.

[5]المصدر السابق، ص: 28. إبن عذاري، المصدر نفسه، 151/1.

ثم إحلالهم لشعائر تعبدية عملية إسماعيلية جديدة متنوعة القضايا والأحكام[1] محل السنية الأصلية وبدلها تارة أخرى، فإكراه المغاربة على الالتزام بها[2].

لم يثمر هذا القمع المذهبي الاسماعيلي ويحقق هدفه المذكور؛ إن على مستوى العامة: حيث ازداد تمسكها بمذهبها السني، إذ يستشف ذلك مما كتبه بعض أحداث -أي صغار سن- أهل القيروان من بيتين شعريين- من البحر المجثث- تلطفوا جدا في وصولهما إلى المهدي متحدين له بأن يعلم أو يدل على من كتبهما إن كان فعلا ممن يعلم علم الغيب كما أخبر وبشر، وقائلين فيهما:

الجَوْرَ قَدْ رَضِينَا لاَ الكُفْرَ وَالحَمَاقَهْ

يَا مُدَّعِي الغُيُوبْ مَنْ كَاتِبُ البِطَاقَهْ[3]

وإن على مستوى النخبة من علماء وطلبة علم، لكن بتغير في طريقة التعامل معهم: من العنف إلى طريقة سلمية حضارية تقوم على الحوار والجدال الراقي، بهدف استدراجهم- من غير شك- للتراجع عن قناعاتهم السنية بطواعية بعد حصارهم بالشبه من خلال ما عرف بالمناظرات.

3ب- المجال المناظراتي للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي - السني وانعكاساته بالمغرب الإسلامي

إن مسألة المناظرات والمنازلات العلمية التي كانت تجري بين الجبهتين السنية والاسماعيلية هي من المسائل النادرة الطرق والتناول ـ بل المنعدمة حسب معرفتي ـ الدارسين من حيث: ظروف إجرائها، وطبيعة محتوياتها من طروح ومناهج وآليات، وأخيرا نتائجها عليهما.

بمجرد تصفحنا لمصادر الجانبين فيما يتعلق بهذه المسألة، فإننا نخرج بملاحظة جلية ومحددة خلاصتها: أنه بالنسبة لمحتويات تلك المناظرات، فالمصادر الاسماعيلية لم تسجل عنها شيئا ولو إجمالا، إن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ولو لمناظرة واحدة فقط، وإن

[1]تنظر في: المصدر السابق، 151/1، 160. المالكي، المصدر نفسه، 55/2، 56. النعمان، كتاب افتتاح...ص: 293، 294. إبن حماد الصنهاجي، المصدر نفسه، ص: 28.
[2]المصدر السابق، ص: 28. إبن عذاري، المصدر نفسه، 160/1. إبن الأثير، المصدر نفسه، ص: 1123.
[3]إبن عذاري، المصدر نفسه، 160/1.

اكتفى واستقل القاضي الاسماعيلي النعمان بوقوعها بين الطرفين ولم يزد على ذلك شيئا[1] بالتالي فإنه يستحيل على الباحث المتخصص بأن يتعرف عليها من خلال تلك المصادر الاسماعيلية تحديدا.

في الوقت الذي نجد عكس ذلك تماما إذا تعلق الأمر بالمصادر السنية: بحيث أورد لنا كل من الخشني المتوفى سنة 361هـ/971م، والمالكي المتوفى سنة474هـ/ 1081م فقط أطول مناظرة حدثت بينهما بمحتوى مفصل جدا، فعقدا لها الصفحات[2] تمت بين ابن الحداد لسان حال الطرف السني، وأبي العباس[3] بمعية أخيه أبي عبد الله الشيعي لساني حال الطرف الآخر الاسماعيلي[4].

كما أخبر صاحبا المصدرين السابقين أيضا بكون هذه المناظرة جرت بطريقة مغلقة: بحيث لم تخرج من قصور الخلفاء العبيديين ودعاتهم الكبار لسان حالهم؛ فضلا عن قصرها على فئة العلماء فقط، ولم تتعدها إلى الفئات الأخرى العريضة من طلاب العلم والعامة بمختلف مستوياتهم الفكرية، لأنهم رأوا ـ من غير شك ـ بأن إشراك هؤلاء بحضورها ليس في صالحهم بقدر ما هو في صالح المذهب العقدي السني وبالأخص المالكي.

من نتائج وانعكاسات تلك المناظرة أنها دلت على تفوق ظاهر للمناظر السني أمام معارضه الاسماعيلي: حين الاحتكام المتفق بينهما إلى المنهج البياني القائم على دلالات اللغة العربية من حقيقة ومجا، خاص وعام، مقيد ومطلق وغيرها من الدلالات الأخرى[5]...فالقياس[6]، وتأويل القرآن بالقرآن، والاعتبار بظاهر النصوص الدينية؛ وبالتالي

---

[1] النعمان، كتاب المجالس...ص: 333.

[2] الخشني، المصدر نفسه، ص:199- 210. المالكي، المصدر نفسه،2/75-96.

[3] محمد بن أحمد المخطوم؛ هو أسن من أخيه أبي عبد الله الشيعي، وأعلم وأقل رجاحة عقل منه؛ يعتبر من الدعاة الذين دعوا إلى النحلة الاسماعيلية انطلاقا من الشام حتى انتقال الأخير نحو المغرب رفقة أخيه المذكور المتوج بالتمكين لها به بفضل خدماتهما؛ثم قتلهما بأمر المهدي العبيدي في ظروف غامضة سنة 298هـ/910م. المقريزي، المصدر نفسهص: 36-38.

[4] المالكي، المصدر نفسه، 2/75.الخشني، المصدر نفسه،ص:199.

[5] تنظر بأنواعها وحدودها...مفصلة عند: محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي: المقدمة التعريفية بالأصول وأدلة الأحكام وقواعد الاستنباط، الدار الجامعية، بيروت ط4، 1403 هـ/ 1983م، 1/378-569.

[6] حده اصطلاحا: "إلحاق ما لا نص فيه ولا إجماع بما فيه نص أو إجماع في الحكم الشرعي الثابت المنصوص عليه لاشتراكهما في علة هذا الحكم"، والقياس يعد المصدر الرابع من مصادر التشريع في المذهب السني. محمد مصطفى شلبي، المدخل في الفقه الإسلامي تعريفه وتاريخه ومذاهبه، نظرية الملكية والعقد، الدار الجامعية، بيروت، ط 10 1405 هـ/ 1985م، ص: 251،252.

على غلبة واضحة للمذهب بالحجج الدامغة والبراهين القوية[1].

ودلت كذلك على ازدياد واطمئنان هذا المناظر- إذ ينسحبهذا هذا الحكم على أمثاله ومن دونهم من أتباع هذا المذهب، بحكم شيوع نحو هذا الخبر بطبيعة الحال - وشدة استمساكه بما يؤمن به، وأنه على الحق والصواب؛ إذ عكس ذلك تماما هو ما ينطبق على مخالفيه في المذهب العقدي الاسماعيلي.

فضلا عن كون الاسماعيليين لم يحققوا هدفهم المنشود من خلال تلك المناظرة والمتمثل في فتنة مثل هذا العالم عبر إمطاره بوابل من الشبه كما مرّ أعلاه.

زد على ذلك، أنها دلت كذلك عن امتناعهم من استخدام المنهج أو التأويل الباطني غير المجدي في المناظرة، ما دام أنه لا وجود لآليات له متفق حولها بين الجانبينوالرجوع إليها حين النزاع، وهذا على مستوى النخبة والعلماء.

وإن على مستوى العامة من المغاربة كذلك حين عودتهم إلى النحلة الاسماعيليةلتيقنهم بأنهم غير مهيئين ومستعدين للتعامل معهم بواسطة هذا المنهج ذاته نظرا لبساطة تفكيرهم الشديدة. بحكم نمط عيشهم البدوي،بالتالي خلو تاريخهم الثقافي من أي تراث فلسفي،كما سبق وأن وضحنا ذلك ودعمناه بنظرية ابن خلدون الصائبة المتعلقة بالقضية تلك في ما مضى من هذه الدراسة.

3ت-المجال العسكري للصراع المذهبي العقدي الشيعي الاسماعيلي - السنيوانعكاساته بالمغرب الاسلامي

لم يكتف وينحصر موقف أو رد فعل السنيين وبالأخص المالكيين من هذه السياسة الاسماعيلية المتميزة بالعنف و الغلظة تجاههم على الجانب السلمي المذكور من مناظرات وغيرها...بل تجاوزها إلى الجانب العسكري عبر انتهاج مسلك تصادمصرفبمناسبة خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد الإباضي النكاري[2]على السلطة العبيدية في ثورة كبيرة

---

[1]محمود إسماعيل، مغربيات، ص: 72.

[2]أو النكار بضم النون، وهي فرقة انشقت عن الإباضية زمن إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بالمغرب وتحديدا سنة 171 هـ/ 787م، بعد إنكارها إمامته لتتميز لاحقا عقديا وفقهيا؛ كما تسمى أيضا باليزيدية نسبة إلى يزيد بن فندين أحد رجال الشورى الذين رشحوا للإمامة إثر وفاة الإمام عبد الرحمان بن رستم، وبالشغبية لإتهامهم بالتشغيب والنجويةلتناجيهم بالاثم، والناكثة لنكثهم البيعة من غير سبب، والملحدة لإلحادهم في أسماء الله تعالى؛ يفهم من هذه التسميات أنها أطلقت عليهم من قبل خصوهم. مجموعة من الباحثين، المصدر نفسه،1027/2. موسى لقبال،دور كتامة...ص:333، وهامش 1 من نفس الصفحة السابقة.

كادت أن تضع حدا نهائيا لتواجدها بالنطاق وتقضي عليها[1].

رأى السنة المالكيون في هذه الثورة على العبيديين فرصة ثمينة لهم لا يجوز تفويتها بأي حال من الأحوال،بل لا بد من اقتناصها واستغلالها أحسن استغلال لاعتبارهم إياها أملهم الوحيد في التخلص من حكمهم[2]:فما كان منهم إلا أن قاموا بمساندتهم بكل ما أوتوا ومستندين إلى أدلة ونصوص دينية، حتى تصير شرعية جالبة إلى صفهم أقصى ما يمكن من الأتباع والأنصار.

بعد أن اتفق عدد غير قليل من كبار فقهائهم وعبادهم[3] على الخروج والثورة ضد الدولة الاسماعيلية: ما دام المقتضي لذلك متحقق،والمتمثل أولا في كفرهم الكفر البواحفكان لازما شرعا جهادها حسب فتواهم - إذ هو مقدم وأفضل من جهاد أهل الشرك[4] الكفار أصلا.

لأجل ذلك نجد أنهم قد أنكروا أشد الإنكارعلى من رابط من أهل الايمان بثغور سوسة[5]وغيرها...وترك الجهاد هؤلاء[6]،حتى أفتى جبلة بن حمود حين استفتي حول تركه أحد الربط لينتقل إلى القيروان بغية مواجهة العبيديين جراء دخولهم افريقيا ونزولهم بمدينة رقادة[7]، فأجاب قائلا:" كنا نحرس عدوا(أي الكفار أو المشركين الأصليين)بيننا وبينه البحر،والآن حل هذا العدو(أي العبيديون) بساحتنا،وهو أشد علينا من ذلك"[8].

---

[1]للوقوف على ملابسات ومراحل ونتائج هذه الثورة، يرجع إلى: السيد عبد العزيز سالم، المرجع نفسه،622/2 -631. حسين مؤنس، تاريخ المغرب...495/1 - 500. موسى لقبال، المصدر نفسه، ص:426-434 .

[2]المرجع السابق، ص:427

[3]لقد وقفنا – ممن ذكر عياض والمالكي منهم – على: أبي الفضل الممسي، وربيع بن سليمان القطان، وأبي العرب بن تميم، وأبي إسحان السبائي، وأبي عبد الله بن مروان بن منصور الزاهد، وأبي حفص عمر بن محمد الغسال، وعبد الله بن محمد الشقيقي، وهذا بالنسبة للمدنيين أو المالكين؛ فضلا عن جماعة من العراقيين أو الأحناف كإبراهيم بن محمد العشاء وغيره...عياض، المصدر نفسه، 2/ 30. المالكي، المصدر نفسه، 2/ 339.

[4]عياض، المصدر نفسه،1/ 516. الدباغ،المصدر نفسه،150/2.

[5]من مدن إفريقية المشهورة بكثرة الربط، يحيط بها البحر من الشمال والشرق والجنوب وهي شديدة الحصانة، تبعد عن القيروان بستة وثلاثين ميلا. الحموي، المصدر نفسه، 282/3،283.

[6]الدباغ، المصدر نفسه، 150/2. عياض، المصدر نفسه، 516/1.

[7]حدى حواضر القيروان من جهة الغرب؛ إستحدثها الأغالبة، كما استقر بها عبيد الله المهدي مدة حتى استحداثه للمهدية. أبو الفداء اسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية بباريس، ط 1840، ص: 142، 143.

[8]عياض، المصدر نفسه،516/1. الدباغ،المصدر نفسه،150/2.

وثانيا في وجود من قام بالثورة ضدهم والخروج عليهم بالسيف كأبي يزيد مخلد بن كيداد هذا، لإعتباره هو أتباعه مسلمين من أهل القبلة[1] تجري عليهم جميع أحكام الإسلام من توارث وتوريث ومناصرة ـ خاصة في هذا الموطن ـ وغير ذلك[2]...عكسالعبيديين التي لا تسري عليهم مثل هذه الأحكام لكونهم من غير أهل القبلة[3].

إن مما يدل على إخلاص أولئك العلماء ـ رفقة الأتباع بالطبع ـ وتفانيهم في خدمة مذهبهم هذا، هو عدم حصر نشاطهم وجهدهم على الناحية النظرية من إصدار الفتاوىوغيرها...بل نقله إلى الناحية العملية بتجسيد ذلك على أرض الواقع: حين تصدرهم بكليتهم قيادة الكتائب والفرق بجانب جند ابن كيداد[4] من جهة، ثم ليقتل العدد ليس بالقليل منهم في ساحات المعارك ضد العبيديين[5] من جهة أخرى.

كما دل مثل هذا التواجد والحضور المالكي في الثورة على مفصليته وأهميته البالغة والتي لم يأت في مقامه أي عامل آخر غيره في تقرير مصيرها: حيث أن أبا يزيد لم يكسب المعارك الأولى إلا بفضل هؤلاء المتحالفين معه من المالكية، كما ذكر ذلك صراحة كل من المؤرخين عياض والدباغ[6].

وإن كنا لا نشك بأن انهزام صاحب الحمار في المرحلة الأخيرة من هذه المعارك راجع بدرجة أساس إلى تخلي المالكية عن مناصرته جزاء وفاقا وكرد فعل لهم لخدعته إياهم سلفا" حين مكر [أبو يزيد] بهم...فقال لجيشه: القرويون[7] إذا حكموا على بني عمنا واستأصلوهم، يرجعون علينا فلا تقدر[8]، فإذا كان من الغد والتحم الناس في القتال إنعزلوا عنهم حتى تقع الكسرة عليهم فترتاح[9] من شوكتهم...ففعلوا ذلك، فوقعت الهزيمة عليهم"[10].

---

[1] المالكي، المصدر نفسه،297/2، 339. عيا ض،المصدر نفسه، 30/2.

[2] المالكي، المصدر نفسه، 297/2.

[3] المصدر السابق،297/2، 298.

[4] عياض، المصدر نفسه، 31/2. المالكي،المصدر نفسه، 341/2، 342. الدباغ،المصدر نفسه،33/3.

[5] المالكي،المصدر نفسه، 298/2، 299، 300، 323، 337، 345. عياض، المصدر نفسه، 31/2، 38. الدباغ المصدر نفسه، 30/3، 35.

[6] المصدر السابق،31/2. الدباغ، المصدر نفسه،35/3.

[7] القيروانيون هو الصحيح كما أورد: عياض،المصدر نفسه، 35/2.

[8] نقدر هو اللفظ الصحيح ليسلم السياق.

[9] نرتاح هي الكلمة السليمة لغة حتى يستقيم الأسلوب.

[10] الدباغ، المصدر نفسه،35/3. عياض،المصدرنفسه،31/2.

هكذا انتهت هذه الثورة مخلفة وراءها تداعيات وانعكاسات، نذكر من أهمها : كون هذه الثورة وضعت حدا ونهاية لهذا التيار النكاري من الإباضية الذي تولى قيادته ابن كيداد المذكور،بحيث لم تقم له قائمة بعدها أبدا.

إثباتها مدى قوة رصيد وشعبية المذهب السني وخصوصا المالكي منه بالنطاق: إن على مستوى النخبة من علماء وطلبة علم، أو على مستوى القاعدة من عامة الناس.

جعل العبيديين أمام الأمر الواقع المتمثل في قوة المالكية بهذا النطاق أفقيا (بالنسبة للكثرة العددية)، وعموديا (بالنسبة لشدة اقتناع هذه الكثرة به). فكان لابد عليهم من أخذ هذه الظاهرة محمل الجد.

بالتالي تيقنهم بأنه لو قامت ثورة مالكية -ولاشك أنها قائمة لو بقوا بالنطاق -فيسكون ذلك نهاية وقاصمة الظهر لدولتهم من غير رجعة أبدا. وهذا ما دفعهم إلى تبني قرار جازم ألا وهو عدم البقاء ومغادرة النطاق قهرا واضطرارا[1]، فالاستعداد من أجله حتى سنة 362هـ/972م تاريخ الانتقال إلى مصر كما ذكرنا، ليكرروا بها نفس التجربة وإن بعمر أطول من التجربة الأولى السابقه، لكن مع مفارقة واحدة عنها تكمن في وضع القائد السني صلاح الدين الأيوبي[2] حدا نهائيا لها بالقضاء التام عليها[3] .

---

[1] وإن كانت هناك آراء متعارضة للباحثين حول الدافع الرئيس لمغادرة العبيديين المغرب نحو مصر، وترجيح أحدها: فلتراجع عند: سبع قادة، المرجع نفسه،ص:130، 131، 133. ودليل - كرتجيح لما ذهبنا - شكوى المعز من "جهل" سكان إفريقية وتمنيه الخروج منها. النعمان،المصدر نفسه،ص:364.

[2] يوسف بن أيوب،عاش (532 هـ/ 1137م -589 هـ/ 1193م)، مؤسس الدولة الأيوبية،أكبر ملوك المسلمين على أيام الصليبيين، كما أنه قضى على الدولة الاسماعيلية بمصر: بعزله الخليفية العبيدي واعترافه بسلطة الخليفة العباسي ببغداد سنة567 هـ/ 1171م. المنجد في اللغة والأعلام: المنجد في الأعلام،ص:425.

[3] المرجع السابق،ص:425.

خــاتـــــمـة

خاتمة

1- إن أول و أقدم مذهب عقدي وفروعي فقهي عرفه المغرب الاسلامي هو مذهب الصحابة والتابعين(رضي الله عنهم)، والذي عرفه المشرق الاسلامي بداية عقب وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

2- حمل هذا المذهب ونشره هناك (أي المغرب) صحابة وتابعون (رضي الله عنهم)، فضلا عن الفاتحين الأوائل من العرب الذين قدموا إلى النطاق. وإن كان قد حل محله لاحقا المذهب العقدي السني مالكيا كان أم حنفيا...المعتبر في الحقيقة استمرارية وامتدادا له .

3- لتتوافد عليه مذاهب عقدية أخرى مخالفة له، وتستقر مدة طويلة على أراضي جميع مكوناته الجغرافية: إفريقية، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى. حيث كان المشرق الإسلامي هو منشأها الأصلي الأول.

4- لقد استطاعت تلك المذاهب جميعها أن تنجح بالنطاق، لتدشن على أراضيه كيانات سياسية باستثناء المذهب العقدي الواصلي، بعد بذل كل مذهب منها جهذا معتبرا لنشره بين المغربة، وإن دخلت في صراعات دائمة فيما بينها وظفت خلالها كل الوسائل والطرق الممكنة وقتها بهدف السيطرة المذهبية العقدية الأحادية على النطاق كلها.

5- كما تفاوتت دول هذه المذاهب وزنا وقوة: أفقيا باقتصار المذهب العقدي الصفري على الجنوب الغربي للمغرب الأقصى، والمذهب العقدي الإباضي على جزء من المغرب الأوسط، والمذهب العقدي الاسماعيلي على أغلب نطاق المغرب الاسلامي. أما أفقيا فلقد تفاوت اقتناع الاتباع بمذاهبهم، وإن كان أشدهم محبة للمذهب وأعمقهم اقتناعا به هم أنصار وأتباع المذهب العقدي السني وخصوصا المالكي منه.

6- لأجل ذلك ـ فضلا عن عوامل أخرى من حيث: بساطته وطبيعة بيئة نشأته الجغرافية الأولى المناسبتين لبساطة ذهنية المغاربة وبيئتهم الجغرافية... ـ انتهت إليه السيادة على كل أراضي نطاقه في آخر المطاف.

7- كل هذه المذاهب العقدية وبلا استثناء، ما نشطت وتحركت إلى أن حققت ما حققته من النجاحات إلا باسم الدين، وإن تفاوتت واختلفت في فهمه وقراءته.إلا أن منها

(وعلى مستوى الرؤوس والمنظرين بالأخص) من تمسكت به عن اقتناع فكري ومحبة له.وأخرى من غير اقتناع ولا محبة له، بل لمصالح دنيوية: من سياسية واقتصادية وغيرها...

8- من هذه المذاهب العقدية من غلب عليها التطرف، وهما مذهبان اثنان حيث لم يدم وجودهما طويلا، لأن ضررهما كان أكبر من نفعهما، بدليل تخلص بربر النطاق لاحقا منهما كلية، لما جرتهما عليهم من ويلات ومصائب كالصفرية والشيعة الإسماعيلية، مما يدل ذلك على أن كل فكر أو عقيدة متطرفة لا محالة تلقى مصيراكذلك.

9- إن البيئات المتسمة بالظلم الاقتصادي والاجتماعي والاستبداد السياسي والقمع الفكري...هي بيئات جالبة وجاذبة لمثل هذه المذاهب العقدية سواء المتطرفة منها وغير المتطرفة، كما كان شأن نطاق هذا المغرب عهدئذ.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

المصادر المنشورة

المراجع العربية المخطوطة

المراجع العربية المنشورة

المراجع المعربة

الدراسات الجامعية

المقالات

المراجع الفرنسية

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر المخطوطة

2- إبن دقيق العيد محمد بن علي، الإقتراح (مخطوط).

3- الجيطالي أبو طاهر إسماعيل بن موسى، شرح النونية (مخطوط تحت رقم 3/ ه)، مكتبة القطب ببني يزقن، غرداية، الجزائر، جزء: 1.

4- الحضرمي أبو إسحاق إبراهيم بن قيس، مختصر الخصال (مخطوط رقم: 120) نسخة مكتبة "إيروان" العطف، غرداية الجزائر.

5- الداعي جعفر بن الحسن منصور اليمن، الفرائض وحدود الدين (مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية بسورات): نص مقتطف منه في نسب لخلفاء الفاطميين (أسماء الأئمة المستورين كما وردت في كتاب أرسله المهدي عبيد الله إلى ناحية اليمن)، نص عربي ودراسة بالانجليزية، تقديم: حسين بن فيض الله الهمداني تصدير: بايارد دودج Bayard Dodge، القاهرة، ط 1958.

المصادر المنشورة

6- إبن الأبار أبو عبد الله محمد بن عبد الله، كتاب الحلة السيراء تحقيق وتعليق: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1985، الجزء: 1، 2.

7- إبن الأبار...التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس دار الفكر، بيروت ط 1415ه/1995م، الجزء:1.

8- إبن أبي حاتم أبو محمد عبد الرحمان، كتاب الجرح والتعديل، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، حيدرأباد، الدكن، الهند، ط1،الجزء: 1.

9- إبن أبي حاتم...آداب الشافعي ومناقبه، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1، 1424 ه/ 2003 م.

10- إبن أبي الحديد أبوحامد عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق: الشيخ حسن تميم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1979، الجزء:1،2، 5.

11- إبن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، ط2، 1972.

12- إبن الأثير أبو الحسن علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية الرياض، د.ت.

13- إبن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم،مجموعة الفتاوى، دار ابن حزمط 1، 1418هـ/1997م، الجزء:5.

14- إبن تيمية...منهاج السنـة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، دارالفضيلةالرياض،ط1424/02/06هـ، الجزء: 1، 3، 4.

15- إبن تيمية...مجموع الرسائل الكبرى، مطبعة ومكتبة محمد صبيح، د. ت الجزء: 1، 7.

16- إبن تيمية، العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الرياض، ط 4، رمضان 1427 هـ.

17- إبن الجزري أبو الخير محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1402هـ/1982م، الجزء:2.

18- إبن جميع أبو حفص عمرو، عقيدة التوحيد، تحقيق وتعليق: عمر بن أحمد بازين، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ط3، 1424هـ/2003م.

19- إبن الجوزي أبو الفرج عبد الحمان بن علي، صفة الصفوة، دار الفكر، بيروت ط3، 1419هـ/1998م، الجزء:2، 3.

20- إبن حبان أبو حاتم محمد بن حبان، مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، دار الوفاء المنصورة مصر، ط1، 1411هـ/ 1991م.

21- إبن حجر أبو الفضل أحمد بن علي، تقريب التهذيب، دراسة: محمود عوامة دار الرشيد، حلب، ط4، 1418هـ/1997م.

22- إبن حجر...نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر، تعليق: أبو عبد الرحيم محمد كمال الدين الأدهي، شركة شهاب، الجزائر، د. ت.

23- إبن حجر...نزهة النظر بشرح نخبة الفكر في مصطلح حديث أهل الأثر تعليق: أبو عبد الرحيم محمد كمال الدين الأدهي، شركة شهاب، الجزائر، د. ت.

24- إبن حزم أبو محمد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط 1403هـ/1983م، الجزء: 2، 3 4.

25- إبن حزم...جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون دار المعارف، القاهرة، ط2، 1982م، الجزء:1، 2.

26- إبن حماد الصنهاجي أبو عبد الله محمد بن علي، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق وتعليق: جلول أحمد البدوي المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ط 1984.

27- إبن حنبل أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ط1419هـ/1988م.

28- إبن حوقل أبو القاسم محمد بن علي، كتاب صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

29- إبن خرداذبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك دار صادر بيروت، د.ت.

30- إبن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الإحاطة في أخبار غرناطة، شرح وضبط وتقديم: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1424هـ/2003م الجزء:1.

31- إبن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد، كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، د. ت، الجزء: 3، 4 5، 6، 7.

32- إبن خلدون...مقدمة ابن خلدون، دراسة وتحقيق وتعليق: علي عبد الوحد وافي نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 4، أكتوبر 2006، الجزء:2، 3.

33- إبن خلكان أبو العباس أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط 1994، الجزء: 1، 3، 4، 5، 6.

34- إبن رسته أبو علي أحمد بن عمر، كتاب الأعلاق النفيسة، دار صادر ببيروت ومطبعة بريل بليدن، ط1982.

35- إبن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،1418ھ/1997م، الجزء:3، 5، 6، 7.

36- إبن سعيد أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982.

37- إبن سعيد...المغرب في حلي المغرب، دار الكتب العلمية بيروت، ط 1 1417ھ/1997 م، الجزء:1.

38- إبن سلام الإباضي، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين، تحقيق: قيرز شيقارتش والشيخ سالم بن يعقوب، دار النشر فرانز فانون ستاينر قسبادن، ط1406ھ/1986م.

39- إبن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1406ھ/1986م.

40- إبن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان، علوم الحديث، تحقيق: نور الدين عنتر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط 2، 1972.

41- إبن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله، فتوح مصر وأخبارها تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر، بيروت، ط1، 1416ھ/ 1996م.

42- إبن عذاري أبـو عبد الله محمد بن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، الجزء: 1، 2.

43- إبن فرحون إبراهيم بن نورالدين، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمود محيي الدين الجنان، دارالكتب العلمية بيروت، ط1، 1417ھ/1996 م.

44- ابن الفرضي أبو الوليد عبد الله بن محمد، تاريخ علماء الأندلس تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

45- إبن الفقية أبو بكر أحمد بن محمد، مختصر البلدان، مطبعة بريل ليدن ط1985.

46- إبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة وهو المعروف بتاريخ الخلفاء، تحقيق: طه محمد الزيني، دار المعرفة بيروت د.ت، الجزء:1، 2.

47- إبن قتيبة...المعارف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ/2003م.

48- إبن قتيبة...عيون الأخبار، تعليق: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت ط3، 1424هـ/2003م، الجزء:1.

49- إبن القوطية أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1989.

50- إبن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، شرحها وحققها: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م الجزء:1.

51- إبن كثير أبو الفذاء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن الكريم، دار الوطن للنشر بالرياض، ودار ابن حزم ببيروت، ط1، 1420هـ/2000م.

52- إبن كثير...البداية والنهاية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ت الجزء:1، 2.

53- إبن الكردبوس أبو مروان عبد الملك، الإكتفاء في أخبار الخلفاء، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، الجزء:1، 2.

54- إبن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، بيت الأفكار الدولية الرياض، ط29، جمادى الآخرة 1420هـ/9 تشرين أول 1999م.

55- إبن منظور أبو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروتط1، 1977، الجزء: 1، 2، 3، 4، 5، 6.

56- إبن هشام أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، علق عليها وخرج أحاديثها: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1424هـ/2004م الجزء: 1، 2.

57- أبو زكرياء يحيى بن أبي زكرياء، كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكرياء، تحقيق: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2 1402هـ/1982م.

58- أبو العرب محمد بن أحمد، طبقات علماء إفريقية وتونس، تقديم وتحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر بتونس والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، د. ت.

59- أبو العرب..كتاب المحن، تحقيق: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط2، 1408هـ/1988م.

60- أبو الفداء اسماعيل بن محمد، تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية بباريس، ط 1840 ص: 142، 143.

61- أبو نعيم أحمد بن علي، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي بيروت، ط5، 1407هـ/1987م، الجزء: 3، 6، 9.

62- إدريس القرشي ابن الحسين، عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق وتقديم: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط 2، 1406 هـ/ 1986 م السبع الرابع، الخامس، السادس، السابع.

63- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق: محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983.

64- الإسفرايني أبو المظفر طاهر بن محمد، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط1 1403هـ/1983م.

65- الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ط 1419هـ/ 1999م، الجزء: 1، 2.

66- الإصخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن 1937.

67- الأصفهاني أبو الفرج علي بن الحسين، مقاتل الطالبيين، شرح وتحقيق: السيد أحمد صقر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط4، 1427هـ/2006م.

68- الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، نهج البلاغة، جمع: الشريف الرضي، شرح: الشيخ محمد عبده، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر ط1989، الجزء: 1.

69- الإيلاني صالح بن عبد الحليم، مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، باب الزوار الجزائر، طبعة خاصة، 2013.

70- البخاري أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم، كتاب التاريخ الكبير، دار الفكر بيروت، ط5، محرم 1407هـ/9سبتمبر1986م،الجزء:4، 7.

71- البخاري، صحيح البخاري، دار الغد الجديد، المنصورة بمصر، ط 1 1423 هـ/ 2002 م.

72- البرادي أبو القاسم بن إبراهيم، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات، ط القاهرة، 1325هـ.

73- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام،دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، الجزء: 11.

74- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، كتاب الملل والنحل تحقيق: ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، ط1986.

75- البغدادي...الفرق بين الفرق، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت وصيدا، ط1411هـ/1990م.

76- البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق وتعليق: علـي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، الجزء:1، 3.

77- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، المسالك والممالك تحقيق: جمال طلبة، دار الكتـب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ/2003م الجزء: 2.

78- البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي (معالم التنزيل)، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1423هـ/2002م.

79- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروتط1، 1403هـ/1983م.

80- البلاذري...كتاب جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، د.ت، الجزء:3.

81- البلخي أبو القاسم عبد الله بن أحمد، باب ذكر المعتزلة من مقالات الإسلاميين تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط2 1406هـ/1986م.

82- التجاني محمد بن أحمد، تحفة العروس ونزهة النفوس، دار الجيلبيروت،د.ت.

83- الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 1422 هـ/ 2002 م.

84- التنسي أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان، تحقيق وتقديم: عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائرط1984.

85- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية بيروت ط2، 1424هـ/2002م، الجزء:1، 2.

86- الجاحظ...العثمانية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1955.

87- الجرجاني علي بن محمد، كتاب التعريفات، حققه وعلق عليه: نصرالدين تونسي، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ط1، 2007.

88- الجزنائي أبو الحسن علي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1411هـ/1991م.

89- الجيطالي، قناطر الخيرات: قنطرة العلم والايمان، تحقيق: عمرو خليفة النامي المطبعة العربية، غرداية، د. ت، الجزء: 1.

90- حافظ بن أحمد حكمي، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، خرج أحاديثه: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط 1 1424 هـ/ 2004 م، الجزء: 2.

91- الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة بيروت، د. ت، الجزء: 3.

92- الحلي أبو منصور الحسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1424/02/06هـ، الجزء:1، 3، 4.

93- الحمادي إبراهيم بن الحسين، كنز الولد، عني بتحقيقه: مصطفى غالب، دار الأندلس، ط1979م.

94- الحمادي اليماني أبو الفضائل محمد بن مالك، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم دراسة وتحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط ربيع ثان 1406 هـ/ ديسمبر 1985 م.

95- الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر بيروت ط1399هـ/1979م، الجزء: 1، 2، 3، 4، 5.

96- الحميدي أبو محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1417هـ/1997م.

97- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

98- الخشني أبو عبد الله محمد بن الحارث، كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

99- الخشني...قضاة قرطبة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1415ه/1995م.

100- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ط1414ه/1993م.

101- الخياط أبو الحسين عبد الكريم، الإنتصار والرد على ابن الراوندي الملحدتحقيق: د. نيبرج، القاهرة، ط1925.

102- الدباغ أبو زيد عبد الرحمان بن محمد، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، أكمله وعلق عليه: التنوخي أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى تصحيح وتعليق:إبراهيم شبوح، مكتبة الخانجي بمصر، ط2، 1388ه/1968م، الجزء:1، 2.

103- الدباغ، المصدر نفسه، أكمله وعلق عليه: التنوخي أبو القاسم بن عيسى وفي آخره: ذيل معالم الإيمان المسمى تكميل الصلحاء والأعيان لمعالم الإيمان في أولياء القيروان، لمحمد بن صالح بن علي بن عيسى الكتاني، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م، الجزء: 2، 3.

104- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط1974، الجزء: 1،2.

105- الدينوري أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تقديم وتوثيق ووضع الحواشي: عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1433ه/2012م.

106- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر تحقيق: أبو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، الجزء: 1.

107- الذهبي...سير أعلام النبلاء، إعتنى به: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 1424ه/2003م، الجزء: 4، 6.

108- الذهبي...تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمربن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1423ه/2003م،الجزء: حوادث ووفيات(61–80ه)، عهد الخلفاء الراشدين حوادث ووفيات (11 – 40 ه).

109- الذهبي...كتاب تذكرة الحفاظ، وضع حواشيه: الشيخ زكرياء عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، الجزء: 1.

110- الذهبي...ميزان الاعتدال في نقد الرجال، وبداخله: ذيل ميزان الاعتدال للعراقي أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسن، دار الفكر، بيروت، ط2009م، الجزء:3.

111- الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1407ه/1986م.

112- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان بيروت، ط 1986.

113- الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح مسند الإمام الربيع بن حبيب ترتيب: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني، المطبعة العمومية بدمشق، طبعة رمضان 1388ه الجزء:2، 3.

114- الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، تاريخ إفريقية والمغرب تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، دار المغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1990.

115- الروحي أبو الحسن علي بن محمد، بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، كتاب ناشرون، بيروت، ط 1، 2010.

116- الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، تفسير الكشاف على حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، خرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1426ه/2006م.

117- السكسكي أبو الفضل عباس بن منصور، البرهان في عقائد أهل الأديان تحقيق: بسام علي سلامة العموش، مكتبة المنار، الزرقاء الأردن، ط2، 1417ه/1996م.

118- السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد، الأنساب، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1419ه/1998م، الجزء: 4، 5.

119- السيوطي عبد الرحمان بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيداوبيروت، ط 1409ه/1989م.

120- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، الإعتصام، ضبطه وصححه: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م، الجزء:1.

121- الشماخي أبو العباس أحمد بن أبي عثمان، كتاب السير، دراسة وتحقيق: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 1، مارس 2009 الجزء:1، 2.

122- الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، دار المعرفة بيروت، ط 1403ه/1983م، الجزء: 1، 2.

123- الشيرازي أبو إسحاق إبراهيم بن علي، طبقات الفقهاء، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1401ه/1981م.

124- الشيرازي هبة الله بن موسى، المجالس المؤيدية، تلخيص: حامد بن إبراهيم الحامدي، تحقيق: محمد عبد القادر عبد الناصر، دار الثقافة، القاهرة، ط1975م.

125- الصفدي خليل بن أيبك، الوافي بالوافيات، دار الفكر، بيروتط 1، 1425ه-1426ه/2005م، الجزء:7.

126- الضبي أحمد بن يحي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمان السويفي، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1417ه/1997م.

127- طاش كبرى زاده أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1431ه/2010م.

128- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د.ت.

129- عبد الجبار أبو الحسن بن أحمد، شرح الأصول الخمسة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1990، الجزء: 1، 2.

130- عبد الجبار...طبقات المعتزلة كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ومباينتهم لسائر المخالفين، تحقيق: فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط2، 1406ه/1986م.

131- العزيزي الجوذري أبو علي منصور، سيرة الاستاذ جوذر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ط1954.

132- عياض أبو الفضل عياض بن موسى، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418ه/1998م الجزء:1.

133- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، فضائح الباطنية، اعتنى به وراجعه: محمد علي القطب، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط1423هـ/2003م.

134- الفراء أبو يعلى محمد بن الحسين، الأحكام السلطانية، دار الفكر، بيروت ط 1414ه/1994م.

135- الفراهيدي الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت ط1، 1408ه/1982 م، الجزء:6.

136- الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة بيروت، ط6، 1419ه/1998م.

137- قدامة بن جعفر أبو الفرج، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، دار صادر بيروت، د.ت.

138- القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1425ه/2004م، الجزء:1، 2.

139- القزويني أبو يحيى زكرياء بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد دار بيروت ط 1404 ه/ 1984 م.

140- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري بالقاهرة، ودار الكتاب اللبناني ببيروت، ط2، 1402ه/1982م.

141- القلقشندي...مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج عالم الكتب، بيروت، ط1، 1427 ه/ 2006 م.

142- اللمطي أبو الحسين محمد بن أحمد، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1949.

143- مالك بن أنس، الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب المصري بالقاهرة ودار الكتاب اللبناني ببيروت، د.ت، الجزء:1.

144- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، الجزء:1، 2.

145- الماوردي أبو الحسن علي بن محمد، أدب الدنيا والدين، تحقيق: طه الشيخ المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط2، 2010 م.

146- الماوردي...الأحكام السلطانية والولايات الدينية، خرج أحاديثه وعلق عليه: خالد عبد اللطيف السبع العليمي، دار الكتاب العربي بيروت، ط 1 1410ه/1990م.

147- المبرد أبو العباس محمد بن يزيد، الكامل في اللغة والأدب تعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، ط1422ه/2002م، الجزء:2، 3.

148- المجلسي محمد بن علي، حياة القلوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 4 1986.

149- المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 1426ه/2006م.

150- المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق وتعليق: قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، ط 1، 1408ه/1989م الجزء:2، 3.

151- المسعودي...التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1993.

152- مسلم أبو الحسين بن الحجاج، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، الرياض ط1419هـ/1998م.

153- المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم تعليق: محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ/2003م.

154- المقريزي أبو العباس أحمد بن علي، كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1998م، الجزء:2، 4.

155- المقريزي...جنى الأزهار من الروض المعطار، تحقيق:محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 1426هـ/2006م.

156- المقريزي...كتاب المقفى الكبير تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيديةإختيار وتحقيق:محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م.

157- المقريزي...إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق:محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، الجزء:1.

158- مؤلف مجهول، كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1989.

159- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط 1985.

160- النباهي أبو الحسن بن عبد الله، تاريخ قضاة الأندلس أو كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، المكتب التجاري، بيروت، د.ت.

161- النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، شرح وتعليق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1422هـ/2002م.

162- النسائي أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب، سنن النسائي، دار ابن حزم بيروت، ط1، 1420هـ/1999م.

163- النعمان أبو حنيفة ابن محمد، كتاب افتتاح الدعوة، تحقيق: فرحات الدشراوي الشركة التونسية للتوزيع بتونس، وديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، ط2، 1986.

164- النعمان...كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997.

165- النعمان...دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1389هـ/1969م.

166- النعمان...آداب اتباع الأئمة، تقديم وتحقيق: مصطفى غالب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1985م.

167- النوبختي أبو محمد الحسن بن موسى، والقمي أبو القاسم سعد بن عبد الله كتاب فرق الشيعة، تحقيق وتعليق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط1 1412ه/1992م.

168- النويري أحمد بن عبد الوهاب، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت.

169- الوارجلاني أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب، الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، تحقيق: عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1378م، الجزء:1، 2،3.

170- الوارجلاني أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، الدليل والبرهان، المطبعة البارونية، القاهرة، ط1306هـ.

171- يحي بن خلدون أبو زكرياء، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد تقديم وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية بالجزائر، ط1400ه/1980م، الجزء:1.

172- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ط 1892.

173- اليعقوبي...تاريخ اليعقوبي، دار صادروبيروت، د.ت،الجزء:1، 2.

المراجع العربية المخطوطة

174- أبو ستة محمد بن عمر، حاشية الوضع (مخطوط رقم: 37)، باب مسالك الدين، خزانة الشيخ بالحاج، القرارة، الجزائر.

175- أطفيش...شرح أصول تيبغورين (مخطوط تحت رقم أ.هـ:4)، مكتبة القطب، بني يزقن.

المراجع العربية المنشورة

176- إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط 1، 1426 هـ/ 2005 م.

177- إبن العماد أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، الجزء: 1.

178- أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، دار لينا، دمنهور ط1، 1423هـ/2002م.

179- أبو عذبة حسن بن عبد المحسن، الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989م.

180- إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان ط12، 1406هـ/1982م.

181- أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط10، د.ت الجزء:3.

182- أحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1965.

183- أحمدبنأحمدبنسليمانالخليلي،شرحغايةالمرادفينظمالاعتقادللإمامنورالدينالسالمي ،مكتبةالجيلالواعد،مسقط،عمان،ط7، 1433هـ/2012م.

184- أحمد بن خالد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428ه/2007م،الجزء:1.

185- أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل، بيروت ط1981.

186- أطفيش، الذهب الخالص، مطبعة البحث، قسنطينة، ط2، 1400هـ/1980م.

187- أطفيش، الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقليد، طبع قديم، د.ت.

188- أطفيش، شرح الدعائم (شرح بعض منظومات ابن النضر العماني المسماة الدعائم) طبعة قديمة، 1325هـ، الجزء:1.

189- أطفيش، هميان الزاد إلى دار الميعاد، المطبعة السلطانية، زنجبارط1305هـ، الجزء: 1.

190- أطفيش، جامعة الوضع والحاشية، د.م، ط1306هـ.

191- أطفيش، شرح عقيدة التوحيد، د.م، ط1326هـ.

192- أطفيش، وفاء الضمانة وأداء الأمانة، نشر وزارة التراث القومي والثقافة عمان، ط1982، الجزء: 5.

193- أحمد فايز الحمصي، تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنوطمؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420 ه/ 1999 م، الجزء: 1.

194- أحمد محمود صبحي، في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية في أصول الدين: المعتزلة، دار النهضة العربية، بيروت، ط5، 1405 ه/ 1985 م، الجزء: 1.

195- إسماعيل باشا البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1413ه/ 1992 م، الجزء: 3.

196- إسماعيل سامعي، دور المذهب الحنفي في الحياة الاجتماعية والثقافية في بلاد المغرب الاسلامي من القرن الثاني إلى الخامس الهجري (8–11م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 2006.

197- إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ط1983.

198- أ.ي. ونسنكوي.ب. منسنج، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدارمي وموطإ مالك ومسند أحمد بن حنبل، دار الدعوة بإستانبول ودار سحنون بتونس، ط1988، الجزء:6.

199- الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية تحقيق وفهرسة: أحمد كروم عمر بازين وعمر بن دريسو دار البعث، قسنطينة، الجزائر ط3، 1423ه/2002م، الجزء:2.

200- بكير بن سعيد أغوشت، دراسات إسلامية في الأصول الإباضية مكتبة وهبة القاهرة، ط3، 1408ه/1988م.

201- الجعبيري فرحات، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، جمعية التراث القرارة، غرداية، ط1990، الجزء:2.

202- جميل بن خميس السعدي، قاموس الشريعة، المطبعة السلطانية، زنجبار ط1299هـ، الجزء:86.

203- جهلان عدون، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد يوسف أطفيش، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، د.ت.

204- الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ومحمد اليعلاوي، مقدمه كتاب المجالس والمسايرات لمؤلفه النعمان، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط1، 1978.

205- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي دار الجيل ببيروت ومكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، ط 14، 1416 هـ/ 1996 م الجزء: 3، 4.

206- حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرةط1366هـ/1947م.

207- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر من القرن السادس إلى القرن التاسع عشر الميلاديين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1412ه/1992م، الجزء:1.

208- حسين...فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية (711م-756م)، الدار السعودية للمطبوعات جدة والدمام، ط2 1405ه/1985م.

209- خضير بن بكير بابا واعمر، الإمام إسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، نشر جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط1، 1430هـ/2009م.

210- خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، أيار/مايو 2002 الجزء:4.

211- رجب عبد الجواد إبراهيم، ألفاظ الحضارة في القرن الرابع الهجري، دراسة في ضوء مروج الذهب للمسعودي، دار الآفاق العربية القاهرة، ط1، 1423ه/2003 م.

212- السالمي أبو محمد عبد الله بن حميد، مشارف أنوار العقول، مطبعة العقيدة مسقط، ط 2، 1978 م.

213- السالمي...بهجة أنوار العقول، مطبعة الموسوعة بمصر، د.ت، الجزء:1.

214- السالمي...غاية المراد في نظم الاعتقاد، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، عمانط7، 1433هـ/2012م.

215- سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف الإسلامية بالإسكندرية، د.ت، الجزء:1.

216- السيد سابق، فقه السنة، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط2، 1419هـ/ 1999م، الجزء:3.

217- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الوسيط: دراسة تاريخية وعمرانية وأثريـة، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1981،الجزء:2.

218- الشوكاني محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.

219- صابر نعيمة، الإباضية عقيدة ومنهجا، دار الجيل، بيروت، ط1406هـ/1986م.

220- صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة وزارة التراث القومي والثقافي، مسقط، 1983.

221- صباح جمال الدين، مقدمة على: المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية لإيفانوف، دار الوراق، بغداد، ط1، 2011م.

222- صبحي الصالح، النظم الاسلامية نشأتها وتطورها، دار العلم للملايين بيروت، ط2، جمادى الآخرة 1388هـ/أيلول 1968م.

223- عبد الرحمان بدوي، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين بيروت، ط2 يناير1979، الجزء:1.

224- عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، دمشق، ط2، 1400هـ/1980م.

225- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى دار الفكر، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م.

226- عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية الدار التونسية للنشر، تونس،ط2، 1985.

227- عبد القادر صالح، العقائد والأديان، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1427هـ/2006م.

228- عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ/1986 م، الجزء:1.

229- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000، الجزء:1، 2.

230- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة ط9، 1995، الجزء:1، 2.

231- علي الشابي وأبو لبابة حسين وعبد المجيد النجار، المعتزلة بين الفكر والعمل، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1979.

232- علي يحيى معمر، الإباضية دراسة مركزة في أصولهم وتاريخهم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1407هـ/1987م.

233- علي يحيى...الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث مراجعة : بكير بن محمد الشيخ بالحاج، جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر ط3 1423هـ/2003م.

234- علي يحيى...الإباضية في موكب التاريخ: الحلقة الأولى نشأة المذهب مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج إبراهيم، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان ط3، 1429هـ/2008م.

235- عمر بن الحاج محمد صالح يا، دراسة في الفكر الإباضي،مسقط ط1406هـ/1985م.

236- فؤاد السيد، مقدمة فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، لمؤلفيه: البلخي وعبد الجبار والجشمي، الدار التونسية للنشر بتونس، والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط2 1406هـ/1986م.

237- فيصل نور، الإمامة والنص، دار الصديق، صنعاء، ط1، 1425هـ/2005م.

238- كمال اليازجي، معالم الفكر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، تموز (يوليو) 1979.

239- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط3، 1985، الجزء: 1.

240- مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمـان، ط1، 1429هـ/2008 م، الجزء: 2، 3.

241- محمد أبو زهرة، أبو حنيفة: حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي القاهرة، ط1997.

242- محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، دار أصداء المجتمع، الرياض، ط 13،1432 هـ/ 2011 م.

243- محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في المغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية ط1421هـ/2000م.

244- محمد بن صالحالعثيمين، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، ط4، رمضان 1427هـ.

245- محمد بن محمد أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث عالم المعرفة جدة، ط1، 1403هـ/1983م.

246- محمد بن مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1424 هـ/ 2003 م الجزء: 1.

247- محمد حسن هيتو، الوجيز في أصول التشريع الاسلامي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط3، 1410هـ/1990م.

248- محمد الخضري بك، أصول الفقه، دار الفكر، بيروت، ط1409هـ/1988م.

249- محمد...محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية: العرب قبل الإسلام - البعثة النبوية - الخلافة الراشدة - الدولة الأموية والدولة العباسية، مراجعة: محمد الاسكندراني دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1426 هـ/ 2006 م.

250- محمد رواس قلعة جي وحايد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس بيروت، ط2، 1408ه/1988م.

251- محمد زكي عبد البر، الحكم الشرعي والقاعدة القانونية، دار القلم الكويت ط1، 1402ه/1982م.

252- محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر، دمشق، ط1424 ه/ 2003م.

253- محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، فبراير 1990.

254- محمد عابد...التراث والحداثة دراسات...ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط1، يونيو 1999.

255- محمد عابد...فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط6، نيسان/أبريل 1994.

256- محمد عابد...بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط7، تشرين الثاني/نوفمبر 2004.

257- محمد عابد...العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، أذار/مارس 2001.

258- محمد عابد...المثقفون في الحضارة العربية الإسلامية محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، كانون الثاني/يناير 2000.

259- محمد عابد...الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، مارس 1998.

260- محمد عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، ط2، ذو القعدة 1416ه/8 أبريل 1996م، الجزء:1.

261- محمد عبد الله عنان، الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط3، 1404هـ/1983م.

262- محمد عثمان الخشت، محقق: كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وكيفية مذهبهم وبيان اعتقادهم، لمؤلفه: الحمادي اليماني أبو الفضائل محمد بن مالك، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط ربيع ثان 1406هـ/ديسمبر1985م.

263- محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث ونصوصه المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1989.

264- محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق بالقاهرة وبيروت، ط2 1418ه/1997.

265- محمد عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1984.

266- محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت، ط2، 1408ه/1997م.

267- محمد عيسى...الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي: حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160 ه - 296 ه)، دار القلم الكويت، ط 3، 1408 ه/ 1987 م.

268- محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم دار الأندلس بيروت، د.ت.

269- محمد فؤاد...اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن اسماعيل...البخاري، وأبو الحسن مسلم بن الحجاج...في صحيحهما الذين هما أصح الكتب المصنفة، دار الحديث خلف جامع الأزهر، ط1407هـ/1986م، الجزء: 3.

270- محمد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي: المقدمة التعريفية بالأصول وأدلة الأحكام وقواعد الإستنباط، الدار الجامعية، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م الجزء:1.

271- محمد...المدخل في الفقه الإسلامي: تعريفه وتاريخه ومذاهبه نظرية الملكية والعقد، الدار الجامعية، بيروت، ط10، 1405هـ/1985م.

272- محمد ناصر الدين الألباني ، سلسلة الأحاديث الصحيحة، إعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط 1، 1425ه/2004مالجزء:2.

273- محمد ناصر...سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، ط1415هـ/1995م، الجزء:4.

274- محمد ناصر...ضعيف سنن ابن ماجة، تعليق: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 1408هـ/1988م.

275- محمود إسماعيل عبد الرزاق، الحركات السياسية في الإسلام رؤية عصرية دار القلم، بيروت، ط1، أغسطس 1973.

276- محمود...الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي، منشورات الزمن، الرباط د. ت.

277- محمود...الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1406ه/1985م.

278- محمود...مغربيات، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب،ط1977 م.

279- محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، بيروت، ط2، 1405 ه/ 1985 م الجزء: 4.

280- محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر بيروت، ط3 1398 ه/ 1978 م، الجزء: 1.

281- مرمول محمد الصباح، السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الاسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1983.

282- مصطفى بن ناصر وينتن، آراء الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش العقدية (1238–1332هـ/1821–1914م)، نشر جمعية التراث، القرارة، الجزائر، جمادى الأولى1417هـ/أكتوبر1996م.

283- مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، دار الكتـاب اللبنـاني، بيروت،ط2 1403هـ/1983 م.

284- مصطفى مؤمن، قسمات العالم الإسلامي المعاصر، دار الفتح، بيروت، ط1 1394 هـ/ 1974 م.

285- المقري أبو العباس أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تعليق: مريم قاسم طويل ويوسف علـي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، الجزء: 1، 2.

286- المنجد فـي اللغة والأعلام: المنجد فـي اللغة، دار المشرق، بيروت، ط 25 1975 م.

287- موسى لقبال، المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورة الخوارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981 م.

288- موسى...دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري (11م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1979.

289- ناصر عبد الكريم العقل، الخوارج أو الفرق في تاريخ الاسلام: مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم، دار الوطن، الرياض، ط2، شعبان 1417هـ.

290- يوسف جودت عبد الحكيم، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1984.

المراجع المعربة

291- ألفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.

292- برنارد لويس، أصول الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية، ترجمة: حكمت تلحوق، دار الحداثة، بيروت، ط1، كانون الثاني 1980.

293- فرحات الدشراوي، الخلافة الفاطمية بالمغرب (296–365هـ/909-975م)، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1994.

294- فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، نقله إلى العربية: محمود فهمي حجازي طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية 1403هـ/1983م، الجزء:1 من المجلد 3.

295- كارل ألفونسو نيلينو، بحوث في المعتزلة والتراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الرحمان بدوي، دار القلم، بيروت، ط1980.

296- كريزر كلوس وديم فارنر وماير هانس جورج، معجم العالم الإسلامي ترجمة: ز. ج. كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2 1418هـ/1998م.

297- محمد الطالبي، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي (184-296هـ/800- 909م)، تعريب: المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1415هـ/1995م.

الدراسات الجامعية

298- سبع قادة، المذهب المالكي بالمغرب الأوسط حتى منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، رسالة ماجستير مرقونة، السنة الدراسية (1424–1425هـ/2003–2004م)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

299- محمد بن معمر، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط السادس الهجريين، أطروحة دكتوراه دولة مرقونة، السنة الدراسي (1422 – 1423 هـ/ 2001 – 2002)، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

المقـالات

300- عمار الهمادي في مقال له بعنوان"محمد بن سحنون المتكلم السني: دراسة تحليلية لفكرة الكلام"، ضمن محاضرات ملتقى القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى نهاية القرن الخامس للهجرة، 4 - 5 - 6 ذو القعدة 1414هـ/ 15 - 16 - 17 أبريل 1994م مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، ط1، 1995 م.

301- محمد صدقي في مقال له بعنوان"ملاحظات حول القاعدة المذهبية للإمارة الإدريسية"، ضمن سلسلة ندوات ومناظرات رقم 145، ومحور"المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب: من التعدد إلى الوحدة"، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1429هـ/2008م.

المراجع الفرنسية

302- Alfred bel la Religion Musulmane en Berberie (Esquise d'histoire et de Sociologie Religieuse), Paris, 1938, T:1.

303- Bel ochi Mohamed sadok, la conversion des berbères à l'Islam, Maison Tunisienne de l'édition 1981.

304- CharlesAndré Julien, histoire de l'Afrique dunord : Tunisie – Algérie – Maroc des origines à laconquête arabe (647 ap. j-c.) SNED, Alger, 1978.

305- Charle...Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1966, T:2.

306- Danniel Eustache, corpus de Monnaies Idrissides et Alaouites, Rabat, Banque du Maroc 1984.

307- E. cat, petite histoire de l’Algérie – Tunisie – Maroc Adolphe Jourdan, Librairie – Editeur, Alger T : 1.

308- Emile Felix guautier, le passé de l'Afrique du nord, Paris 1952.

309- Farhat dachraoui, les commencements du califat fatimide au Maghreb, Edition Critique et Analyse du kitab Iftitah Al-da'wa du cadi Al Nu’man STD, Tunis, 1986.

310- George Marçais, la berbèrie Musulmane et l’Orient au moyen age, Edition Montaigne, Paris 1946.

311- Hady Roger Idriss, la berbèrie orientale sous les Zirides Xè-XIIè, Librairie d’Amérique et d’Orient Adrien Maisonneuve, Paris1962, T :2.

312- Henri Laoust, les schismes dans l’Islam Introduction à une étude de la religion Musulmane S.N.E.D, Alger,1979.

313- Henri terasse, Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protectorat Français, casablanca, 1949, T:1.

314- Lavoix, catalogue des Monnaies Fatimides B.E.D, 1974 T :24.

315- Madeleine Grawitz, lexique des Sciences Sociales, Dalloz Paris, 8 éditions, 2004.

316- Petit Larousse illustré, librairie Larousse, Paris VI^{e}, 1984.

317- Roy E. poinssot p. inscriptions arabes de kairouan, Tunis, public de I.H.E.T, 1950-1958.

318- T.H Bianquis et C.E Booworth et E.Van Donzel et W.P Henricho, Encyclopédie de l'Islam : établie avec le concours de principaux Orientalistes, Leiden Brill, 1998, T :10.

الفـهــارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس القبائل

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الخاء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الغين

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس المصطلحات

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الواو

فهرس القوافي الشعرية

قافية الراء الساكنة

قافية اللام الساكنة

قافية النون المفتوحة

قافية الهاء الساكنة

المـحـتـويـات

الفهارس العامة 306-317